



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى

بحوث

ملتقى التربية بالقرآن

مناهج وتجارب

لعام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م

(المجلد الأول)

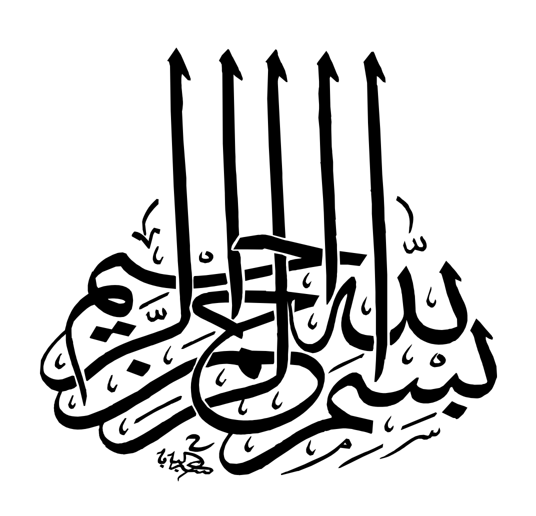
بحـوث

ملتقى التربية بالقرآن

مناهج وتجارب

المجلد الأول





تقديم

الحمد لله الذي نزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرًا ، والصلاة على من بعثه ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد :

فإن القرآن الكريم نعمة عظمى ومنّة كبرى امتن الله به على هذه الأمة ، اصطفاه لها واصطفاها له ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[يونس:٥٧-٥٨] قال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة من السلف :"(فضل الله) : الإيمان ، و(رحمته) : القرآن" .

وإن العمل بالقرآن وله شرفٌ لا يدانيه شرفٌ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾[الزخرف:٤٤] وإن حاجة العالم أجمع إلى نور القرآن وهديه لا تفوقها حاجة، وإن ضرورة الاسترشاد بمنهجه فوق كل الضرورات .

ومن هنا تأتي أهمية العمل العلمي الجاد لتقديم منهج القرآن وهديه بما يحقق سعادة هذا العالم وأمنه وتقدمه .

وإن أولى الأولويات وأعظم الضرورات بيان دور القرآن في التربية وأثره الفاعل في الإصلاح .

وإن من المقطوع به عند الموافقين والمنصف من المخالفين أن القرآن الكريم قام بأكبر تغيير شهدته البشرية ، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم قاد أعظم عملية إصلاح عرفها التاريخ .

قال تعالى:﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[البقرة:١٢٩] فهذه وظيفته صلى الله

عليه وسلم لخصتها هذه الآية بتلاوة الآيات ، وتعليم السنة والكتاب ، وتطهيرهم وتربيتهم على التوحيد ومحاسن الأخلاق .

إن صلاح العالم يبدأ من صلاح الفرد، وإن تربية الشعوب تنطلق من تربية الأفراد، وكل تربية لا تنطلق من منهج القرآن ولا تهتدي بهداه ولا تستنير بنوره فهي ضلالٌ وظلامٌ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤] .

وبعد أخي القارئ الكريم /

فهذه هي بحوث(ملتقى التربية بالقرآن—مناهج وتجارب) خطها يراع باحثين وباحثات في التخصصات الشرعية والتربوية والنفسية ، تناولوا فيها محاور الملتقى وموضوعاته المتنوعة، راجين أن يكون هذا الملتقى إسهامًا مباركًا في تعزيز العناية بموضوع التربية بالقرآن، ولبنة صالحة في علاج المعوقات والتحديات التي تقف أمام هذا الهدف العظيم .

وفي الختام فإن الشكر كله أوله وآخره وظاهره وباطنه لله رب العالمين .

ثم الشكر لمعالي مدير جامعة أم القرى أ.د. بكري بن معتوق عساس على دعمه الملتقى وبرامجه ومناشطه .

والشكر موصول لإخواني في اللجان العاملة والمنظمة التي بذلوها لإنجاح هذا الملتقى، وأخص بالشكر أصحاب الفضيلة : أ.د. عيسى بن ناصر الدريبي د. أحمد بن عبدالله الفريح د. أحمد بن علي الحريصي شكر الله سعيهم ، وكتب أجرهم ، وضاعف مثوبتهم ، وجعل ما قدموا ويقدمون في موازين أعمالهم الصالحة .

بارك الله الجهود ، وسدد الخطى ، وأصلح النيات إنه سميع مجيب .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أ.د. محمد بن سريع بن عبد الله السريع

رئيس اللجان المنظمة لملتقى التربية بالقرآن – مناهج وتجارب

١٤٣٦/٤/١هـ

مقدمات تعريفية بالملتقى

أولا : تعريف بالملتقى :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، فقد نزل الله كتابه الكريم على عبده محمد صلى الله عليه وسلم هدى للبشرية التي ضلت الطريق عن صراط الله المستقيم .وكان القرآن يربي الصحابة رضي الله عنهم منذ بداية نزوله على العبودية لله تعالى ، والاستجابة لأمره ، والطاعة لرسوله عليه الصلاة والسلام، وكان يبني فيهم المنهج الإسلامي في الالتزام بأوامر الله ورسوله ، وعلى المنهج الرشيد في التعامل والتواصل ؛ فربى القرآن خير أمة أخرجت للناس. واليوم والأمة ترشد المنهج السديد في التربية لابد لها من العودة لهذا النبع القرآني الأصيل . إن برامج التربية ومناهجها في حاجة ماسة إلى ترسم المنهج القرآني في التربية والإصلاح. وكان حقاً على المؤسسات العلمية القرآنية بحث هذا الموضوع ودراسته؛ تأصيلاً وتطبيقاً. ومن هنا فإن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه عقدت العزم لتدارس هذا الموضوع وإثرائه بالبحث والنقاش. والله الموفق .

ثانيا : أهداف الملتقى :

١- الإسهام في إبراز عموم رسالة القرآن ومنهجه في الإصلاح.

٢- تأصيل موضوع التربية بالقرآن وبيان المنهج النبوي ومنهج سلف الأمة في ذلك.

٣- دراسة أثر المؤسسات والمحاضن القرآنية في التربية بالقرآن ، وتقويمها.

٤- دعوة الباحثين للمساهمة العلمية في تجلية مفاهيم وتطبيقات التربية بالقرآن.

ثالثاً: محاور وموضوعات الملتقى :

- التربية بالقرآن (المفهوم ،والأسس ، والضوابط) .
- التربية بالقرآن (المعوقات ، والتحديات) .

- التربية بالقرآن (الآثار والنتائج) في ضوء السيرة النبوية .
- التربية بالقرآن وجهود سلف الأمة وعلمائها فيها.
- أثر التربية بالقرآن في تأصيل الدراسات الحديثة للتربية.
- دراسة تطبيقية على المحاضن القرآنية ودورها في تفعيل التربية بالقرآن.
- تقويم أثر المحاضن القرآنية على التربية بالقرآن .

رابعا : الجهات المدعوة :

١. أقسام الدراسات القرآنية والدراسات الشرعية بالجامعات السعودية .
٢. أقسام علم التربية وعلم النفس بالجامعات السعودية.
٣. الكراسي البحثية المتخصصة.
٤. وزارة التربية والتعليم.
٥. المجلس الأعلى للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.
٦. الشؤون الدينية بوزارة الدفاع.
٧. الشؤون الدينية بوزارة الداخلية.
٨. جهاز التوجيه والإرشاد بوزارة الحرس الوطني.
٩. وزارة الشؤون الاجتماعية.
١٠. الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.
١١. المهتمون بالعمل القرآني والمعنيون بشؤون التربية.
١٢. الجهات والمؤسسات والجمعيات المعنية بالعمل القرآني والتربوي.

مكان انعقاد المؤتمر : جامعة أم القرى - مكة المكرمة

زمان انعقاد المؤتمر :

يومي ٢٢ - ٢٣ /١٤٣٦/٤هـ الموافق يومي ١٢- ٢٠١٥/٢/١٣م

المحور الأول

التربية بالقرآن (المفهوم ، والأسس ، والضوابط)

وفيه خمسة أبحاث :

- التربية القرآنية منهج تأصيلي (المفهوم والأسس والضوابط نموذجا).
- التربية بالقرآن (المفهوم ، والأسس ، والضوابط) .
- التربية بالقرآن (المفهوم، والأسس، والضوابط) .
- التربية القرآنية بين النظرية والتطبيق .
- منهج القرآن الكريم في التربية .



التربية القرآنية منهج تأصيلي
(المفهوم، والأسس، والضوابط نموذجاً)

إعداد

الدكتور: احمد صالح بني سلامة

أستاذ التربية الإسلامية المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الجوف

ملخص البحث

اسم الباحث : د. احمد صالح احمد بني سلامة

الجامعة : الجوف- قسم الدراسات الإسلامية

عنوان البحث: التربية القرآنية منهج تأصيلي (المفهوم، والأسس، والضوابط نموذجاً).

ملخص الدراسة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد المرسلين وعلى اله وصحبة أجمعين، ومن سار على دربه واتبع هداه إلى يوم الدين وبعد:

فإسهاماً في إبراز أهمية.

فان علم التربية من العلوم التي اهتم بها علماء الغرب كثيراً في عصرنا الحاضر، بينما قل الاهتمام به عند العرب والمسلمين بالرغم من وجود النصوص الشرعية الكثيرة التي تبين أهمية هذا العلم وما ينبثق عنه من دلالات ومعاني ودروس وعبر، ولعل من اجل المصادر وأهمها وأولها ممن اهتم بالتربية وعلومها القرآن الكريم، فهو ملئ بالنصوص التربوية التي نحتاجها في حياتنا اليومية وكذلك لحياتنا الأخروية الدائمة.

وتأتي فكرة هذا البحث لتحاول أن تضيف معرفة جديدة تتعلق بالتربية بالقرآن من حيث مفهومها وأسسها وضوابطها، كمنهج تأصيلي.

وإسهاماً في إبراز دور القرآن الكريم في بيان معنى التربية وضوابطها وأسسها، فقد قسمت البحث إلى خمسة مباحث تناولت بالأول بيان المقصود بالتربية، وبالمبحث الثاني المقصود بالتربية القرآنية، وبالمبحث الثالث الربط بين مفهوم التربية الإسلامية والتربية القرآنية، وبالمبحث الرابع توضيح الأسس التي تقوم عليها التربية القرآنية، وبالمبحث الأخير بيان الضوابط المتعلقة بالتربية القرآنية، ثم النتائج والتوصيات، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبع النصوص القرآنية ذات الصلة بالموضوع.

أهم النتائج والتوصيات

أولا : نتائج البحث : بعد أن تناول الباحث مفهوم التربية القرآنية وأسسها وضوابطها خرج بالنتائج الآتية:

١- التربية القرآنية تربية شاملة تعنى بتغيير المفاهيم....

٢- التربية القرآنية تقوم على مجموعة من الأسس والأصول....

٣- للتربية القرآنية ضوابط وخصائص تبرز عظمة التربية القرآنية وتظهر مدى دقتها وشموليتها..

ثانيا : التوصيات- : يوصي الباحث بعد تمام هذا البحث — بحمد الله — بما يلي:

١- إبراز أهمية التربية القرآنية بشكل يناسب مكانة القرآن الكريم وعظمته، سواء بالأبحاث أو المؤتمرات أو الندوات وغيرها من وسائل المعرفة المختلفة.

٢- اقترح الباحث على الباحثين المهتمين بالتربية القرآنية تناول عدد من الموضوعات المتعلقة بالتربية القرانية .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد المرسلين وعلى اله وصحبة أجمعين، ومن سار على دربه واتبع هداه إلى يوم الدين وبعد:

فان علم التربية من العلوم التي اهتم بها علماء الغرب كثيراً في عصرنا الحاضر، بينما قل الاهتمام بها عند العرب والمسلمين بالرغم من وجود النصوص الشرعية الكثيرة التي تبين أهمية هذا العلم وما ينبثق عنه من دلالات ومعاني ودروس وعبر، ولعل من اجل المصادر وأهمها وأولها ممن اهتم بالتربية وعلومها القرآن الكريم، فهو ملئ بالنصوص التربوية التي نحتاجها في حياتنا اليومية وكذلك لحياتنا الأخروية الدائمة.

ويعد القرآن الكريم دستور حياة وكتاب نور وعلم وهداية، ومنهج شامل وبيان لكل جوانب الحياة وما يحتاجه الإنسان من معرفة تحدد له أطر العلاقة بربه ونفسه ومجتمعه، وهو كتاب تربية وإعداد سماوي فالله هو الخالق والمربي والمؤدب للإنسان من خلال الأنبياء والرسل حيث تضمنت رسالاتهم أسمى وارفع القيم الأخلاقية التي ترتقي بالإنسان وتجعله مؤهلاً لخلافة الله في الأرض.

وتأتي فكرة هذا البحث لتحاول أن تضيف معرفة جديدة تتعلق بالتربية بالقرآن من حيث مفهومها وأسسها وضوابطها.

وإسهاماً في إبراز دور القرآن الكريم في بيان معنى التربية وضوابطها وأسسها، فقد حرصت على المشاركة في ملتقى التربية بالقرآن الكريم (مناهج وتجارب) والذي تنظمه الجمعية العلمية السعودية للقران الكريم وعلومه بجامعة أم القرى- مكة المكرمة، من خلال احد محاوره وهو التربية بالقرآن (المفهوم، والأسس، والضوابط)، سائلاً الله عز وجل أن أوفق في تقديم ما هو مفيد في ذلك.

أهمية البحث : اهتم القرآن الكريم بالتربية بمختلف نواحيها ومعانيها، كيف لا والقرآن يحوي في طياته مرتكزات العلوم جميعها فهو كتاب رب العلمين الذي فيه هدايتهم، وفيه ما ينفعهم لدينهم ودنياهم، كما أن التربية القرآنية قد احتوت على معالم محددة ومنضبطة لهذا العلم شملت وضع ضوابط له وأسس وأصول يرتكز عليها.

ونظراً لأهمية القرآن وما ينبثق عنه من تربية روحية وعقلية وجسدية جاء هذا البحث ليحاول أن يضيف شيئاً من علوم القرآن الكريم المتنوعة التي لا تنقطع بأي زمن.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي :

١- المبحث الأول: بيان المقصود بالتربية .

٢- المبحث الثاني: بيان المقصود بالتربية القرآنية.

٣- المبحث الثالث: ربط مفهوم التربية الإسلامية بالتربية القرآنية.

٤- المبحث الرابع: توضيح الأسس التي تقوم عليها التربية القرآنية.

٥- المبحث الخامس: بيان الضوابط المتعلقة بالتربية القرآنية.

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع النصوص القرآنية ودراستها واستنتاج المطلوب منها، وكذلك أقوال العلماء المتعلقة بالبحث واستخراجها من مصادرها ودراستها واستنتاج المطلوب منها أيضاً.

الدراسات السابقة: بعد اطلاع الباحث على وسائل المعرفة المختلفة لم يجد بحثاً تناول الموضوع بالطريقة التي تناولها الباحث، ولكن هناك كماً من الكتب والمؤلفات تناولت الموضوع خاصة فيما يتعلق بالتربية الإسلامية بشكل عام.

المبحث الأول: مفهوم التربية لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: التربية لغة :

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة التربية أصولاً لغوية ثلاثة[1]:

الأصل الأول: رَبا يربو بمعنى زادَ ونما ،فتكون التربية هنا بمعنى النمو والزيادة، كما في قوله تعالى:﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة:٢٧٦].

الأصل الثاني:رَبى يربي على وزن خفى يخفي،وتكون التربية بمعنى التنشئة والرعاية، كما في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [الشعراء:١٨]، وقال تعالى:﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٤].

الأصل الثالث : رب يرب بوزن مدّ يمدّ بمعنى أصلحه،وتولى أمره،وساسه وقام عليه ورعاه، كما في قوله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[البقرة:٣١]، وقال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

---

(١) ابن منظور ، محمد بن مكرم، لسان العرب، ١٤١٤هـ، دار صادر بيروت، ط٣، فصل الراء المهمله، ج١٤، ص٣٠٥.وانظر، الفارابي، ابو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور، ١٩٨٧، دار العلم بيروت، ط٤، باب ربا، ج٦، ص ٢٣٥٠.وانظر، عمر، احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٠٠٨، عالم الكتب، باب ربو ، ج٢، ص ٨٥٢.

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠].

المطلب الثاني : التربية اصطلاحاً

تختلف الآراء التربوية في تحديد مفهوم التربية باختلاف الظروف التاريخية والحضارية وباختلاف الأماكن، كما قد تختلف باختلاف نظرة المتخصصين، وقد وردت تعريفات كثيرة للتربية من قبل فلاسفة وعلماء اجتماع وسياسيين ونفسانيين، ولكن لا تخرج تعريفاتهم بأي حال من الأحوال عن المعنى اللغوي للكلمة.

ويمكن القول بصفة عامة أن التربية هي : عملية يُقصد بها تنمية وتطوير قدرات ومهارات الأفراد من أجل مواجهة متطلبات الحياة بأوجهها المختلفة، لبناء شخصية الأفراد بناء شاملاً كي يستطيعوا التعامل مع كل ما يحيط بهم، أو التأقلم والتكيف مع البيئة التي يعيشون بها، وتكون التربية للفرد والمجتمع[١]، وعرفها علماء التربية الحديثة بأنها تغيير في السلوك[٢].

(١) الجندي، أنور، التربية وبناء الأجيال في الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٥، ص١٥٣، وانظر، سعيد إسماعيل علي: أصول التربية الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٢.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩، ص١٩.

كما أن هذا المصطلح لم يُستعمل في تراثنا الإسلامي لاسيما القديم منه ؛وإنما أشار إليه بعض من كتب في المجال التربوي بألفاظٍ أو مصطلحاتٍ أخرى قد تؤدي المعنى المقصود ؛أو تكون قريبةً منه(١)، ومنها ما يلي :

١- التنشئة: ويُقصد بها تربية ورعاية الإنسان منذ الصغر، وممن استخدمه ابن خلدون(٢).

٢- الإصلاح:ويعني التغيير إلى الأفضل،وهو ضد الإفساد،ويُقصد به العناية بالشيء والقيام عليه وإصلاح اعوجاجه(٣).

٣- التأديب أو الأدب:ويُقصد به التحلي بالمحامد من الصفات والطباع والأخلاق؛ والابتعاد عن القبائح، ويتضمن التأديب معنى الإصلاح والنماء، وهو وثيق الصلة بمصطلح التربية حيث يمكن أن تُشتق منه تسمية المعارف آداباً وتسمية التعليم تأديباً، وتسميةُ المربي أو المعلم مؤدباً (٤).

٤- التزكية: قال تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

فالتربية – بمعناها الشامل –: تغيُّر في السلوك وتنميته إلى الدرجة التي تمكن الإنسان من الإسهام الفعَّال في تحقيق حاجات الحاضر، ومواجهة تحدِّيات المستقبل، وتسخير موارد البيئة وخبرات الماضي عبر رحلة النشأة والحياة والمصير(٥).

---

(١) مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٢، ص٤٨.

(٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون. مطابع الشعب، القاهرة، ص ٢٣٥.

(٣) الحازمي، خالد حامد، المشكلات التربوية الأسرية وأساليبها العلاجية،ص٢٣.

(٤) شلبي، احمد، تاريخ التربية الإسلامية، ١٩٧٩، مكتبة النهضة المصرية، ص ٥٨.

(١) الكيلاني، ماجد عرسان، النظرية التربوية معناها ومكوناتها، دار التراث، المدينة المنورة، ١٩٨٥، ط١،ص ١٣.

كما أن التربية تهيئ الظروف المساعدة لنمو الشخص نمواً متكاملاً من جميع النواحي الشخصية، والعقلية، والخلقية، والجسمية، والروحية، فهي تتناول شخصية الفرد ككل متكامل، ولا تقتصر على المدرسة وحدها؛ لان التأثير متبادل بين المدرسة والمجتمع [١].

كما أنها نوع من أنواع النشاط التي تهدف إلى تنمية قدرات الفرد واتجاهاته وغيرها من أشكال السلوك ذات القيمة الايجابية في المجتمع الذي يعيش فيه، حتى يمكنه أن يحيا حياة سوية في هذا المجتمع، وهي أوسع مدى من التعليم Teching الذي يمثل المراحل المختلفة التي يمر بها المتعلم، ليرقى في المعرفة في دور العلم[٢] .

وتعمل التربية على تكوين الفرد منذ نشأته ليكون عضواً صالحاً، سليم الروح والعقل والصحة، ولا يمكن بحال عزل واحدة عن الأخرى، فميزتها في كليتها ؛ لأنه لا يمكن أن تستقيم الحياة الإنسانية برافد واحد، أو لون واحد مهما كانت الدوافع خيرة وصالحة، وإنما يجب إن تتفاعل جميعاً في سبيل تكاملها[٣].

ويرى الباحث أن كل هذه التعريفات ومدلولاتها قد تضمنها القرآن الكريم، لا بل زاد عليها الكثير، كيف لا وهو كتبا الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

---

(٢) رابح، تركي، أصول التربية والتعليم، ١٩٩٠، ديوان المطبوعات، الجزائر ،ط٢، ص١٧.

(٣) بدوي، احمد تركي، معجم مصطلحات التربية والتعليم ، ١٩٨٠، دار الفكر، القاهرة، ص٣٧.

(٤) الكبيسي، عبد الحافظ، منهجنا التربوي، ١٩٨٧، مطبعة الحوادث،بغداد،ط١، ص ٣٣.

أما التربية الإسلامية فهناك كم هائل من التعريفات لها أيضاً، ويرى الباحث أنها: مجموعة من الأصول الخاصة ببناء الإنسان المسلم والواردة في الكتاب والسنة والآراء والتطبيقات التربوية التي ترعاها الجهود الفردية والجماعية في أي زمان أو مكان، بهدف بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة النمو في جميع مراحل حياتها التي تعمل لخير دنياها وأخرتها[١].

المطلب الثالث : معنى القرآن لغة واصطلاحاً

القرآن في اللغة: اسم للمتلو، المحفوظ المرسوم في المصاحف[٢]،وقرأ الكتابَ قراءة وقُرآنا بالضم. وقرأ الشيء قُرآنا، جمعه وضمه، ومنه سمي 'القرآن'؛ لأنه يجمع السور ويضمها[٣].قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[القيامة:١٧]، أي جمعه وقراءته. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[القيامة:١٨]، أي قراءته [٤].

وتكاد تجمع معاجم اللغة على أن الأصل الدلالي لمادتي: ''قرأ'' و ''قري'' إنما هو معنى الجمع والاجتماع، وما تفرع عنه، سواء همزت آخره أم لم تهمزه، فهو في ذلك سواء، ومنه سمي «القرآن» قرآنا؛ لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص والعبر، أو لاجتماع آيه وسوره وتألفها [٥].

---

(١) علي ، سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية،٢٠٠٧، دار المسيرة، عمان،ط١، ص٢٧.

(٢) السيوطي، أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة،١٤١٥هـ،ط١، ص ٧٣.

(٣) الرازي، زين الدين الحنفي، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ،المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩، ط٥، مادة قرأ.

(٤) ابن منظور ، محمد بن مكرم، لسان العرب، ١٤١٤هـ، دار صادر بيروت، ط٣، مادة قرأ.

(١) ابن فارس، احمد ابو الحسين، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩، مجلد٤، مادة قري.

وربما كان الأصل -من حيث الوضع اللغوي- لمادة «قرأ» دالاً على الجمع، فكانت "القراءة" -بمعنى: تلاوة الحروف- من فروعه، من حيث أن القارئ يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض عند التلاوة.

ورغم أن أغلب كتب اللغة مالت إلى ترجيح الأول فإن أبا جعفر الطبري مال في تفسيره - وهو من الأصول اللغوية أيضا- إلى ترجيح الثاني، أي أن القرآن - عنده- إنما سمي كذلك؛ لأنه يقرأ بمعنى:يتلى، وليس بمعنى يُجمع (١).

والراجح -والله تعالى أعلم- أن يكون المعنيان معاً مقصودين في دلالتهما اللغوية؛ فلا يمنع ورود المعنى الجزئي أن يكون الكلي -وهو أشمل منه طبعاً- مقصوداً أيضا، فيكون القرآن قد سمي بذلك؛ لجمعه المعاني كلها، وهو معنى وجيه جداً، قال عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨] ولأنه مؤلف مجموع متناسق، ثم لأنه إنما أنزل ليقرأ ويتلى، وكل ذلك حسن جداً في معنى القرآن لغة، فلا تزاحم بين هذه المعاني جميعها، ولا تعارض، والله اعلم.

وهذا ما يفهم أيضا مما أورده الراغب الأصفهاني بقوله القراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وتسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله؛ لكونه جامعاً لثمرة كتبه،بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[يوسف:١١١] ، وقوله: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩] (٢).

---

(٢) الطبري ، محمد بن جرير، جامع البيان في تاويل أي القرآن، تحقيق احمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠، ج١، ص ٤٢٣٤.

(١) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان الداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ، مادة قرأ.

ولعل هذا المسلك التوفيقي بين الدلالتين اللغويتين، هو الأقرب إلى تفسير بديع الزمان النورسي لمفهوم القرآن الكريم، من حيث هو اصطلاح (١).

أما تعريف القرآن اصطلاحاً: فالقرآن الكريم هو كلام الله المعجز، المنزل على سيدنا محمد ﷺ ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس (٢).

المبحث الثاني : مفهوم التربية القرآنية

ويقصــد بالتربية القرآنية تربية الشــباب على أخلاق أهل القرآن، وتدريبهم على السلوكيات الإسلامية؛ حتى يصيروا يمثلوا الإسلام في كل حركاتهم وسكناتهم(٣).

ويعرف الباحث التربية القرآنية بأنها تغيير وتعديل وتنمية في الســلوك وفق المنهج القرآني، وعليه فان التربية القرآنية ينبثق عنها جميع العلوم المختلفة، حيث أن القرآن الكريم قد جمع قواعد العلوم كلها ومنها علوم التربية وما ينبثق عنها من علوم، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣]، وقال تعالى : ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾.[الأنعام:٣٨].

المبحث الثالث: علاقة مفهوم التربية الإسلامية بالتربية القرآنية

---

(٢) النورسي، بديع الزمان، إشارات في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان الصالحي، سوزلر، اسطنبول، ١٩٩٤، ط٣، ص٢٢.

(٣) العثيمين، محمد بن صالح، أصول في التفسير، ٢٠٠١، المكتبة الإسلامية، ط١، ص٦، وانظر، الدليمي، محمود حسين، مع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته،٢٠٠٦، دار الكتب العلمية– بيروت، ط ا، ص ١٩، وانظر، عبد الجواد، خلف محمد عبد الجواد، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، دار البيان العربي، القاهرة، ص٤٦، وانظر، منصور، عبد القادر محمد، موسوعة علوم القرآن، ٢٠٠٢، دار القلم العربي، حلب، ط١، ص ١٩٥.

(٤) شديد، محمد، منهج القرآن في التربية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٧٩م، ص ٣٩.

إنَّ التربيةَ القرآنيةَ متكاملةٌ متناسِقَة، فالقرآن يُرَبّي كُلّاً من الرجلِ والمرأَة، ويأَخُذُ بأَيْديهما، ويَرْتَقي بهما إِلى عالمِ التَّسامي والفضائلِ والكمالات(١).

والتربية القرآنية تعد الإنسان للحياة كما تعده للموت، وتربط بينه وبين محيطه المادي والمعنوي، وهذا الترابط ينتج عنه تكامل وتفاعل بين عناصر الوجود، وهو سر من أعظم أسرار الخليقة مكن التربية القرآنية من أن تتميز بالاستمرارية والعمومية لكل الناس في كل زمان ومكان(٢).

والتربية القرآنية منهج وسبيل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩]، كيف لا والقرآن العظيم عمدة التربية الإسلامية، لفظاً، ومضموناً، وترتيباً (٣).

ولقد حوى القرآن الكريم منهاجاً فريداً في إصلاح الأمور والقيام عليها بالرعاية والتنمية، على أحسن وجه وأكمل حالة، فتلك هي التربية الربانية التي من صنع الله الذي أتقن كل شيء، وهو الذي خلق كل شيء، فهو أعلم بما يصلحه، وهو سبحانه أحق من يرعاه، قال الله تعالى:﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

ومفردات التربية في القرآن كثيرة جداً، تشكل قاعدة تشمل الإنسان وسائر الكائنات، فصفة الشمول والكمال تحيط بهذه التربية من كل جانب، وفي كل مفردة منظومة عجيبة من الكمال التربوي الذي أودعه الله جل وعلا في كتابه الكريم.

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، ٢٠٠٧، دار القلم، دمشق، ط١، ص ٣٩٦.

(٢) حميد، صالح عبد الله، ومجموعة من الباحثين، نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة ، جدة، ط٤، ج١، ص ٥٧.

(٣) القاضي، احمد عبد الرحمن، معالم في البناء التربوي، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، العدد ٢٣٨، ص٧.

فلو نظرنا إلى تربية الإنسان في القرآن الكريم لوجدنا نظاماً محكماً يبدأ مع الإنسان منذ أول خلقه حتى يلقى الله جل وعلا ويواجه مصيره الذي ينتظره.

إن منهج التربية في القرآن الكريم ينبثق من كمال هذا الدين ومعجزة هذا الكتاب المجيد، فتربيته تسع كل المجالات، كما أنها باقية وصالحة لكل عصر وجيل، حيث إن إعجاز القرآن الكريم لا ينحصر في ألفاظه ومبانيه، ولكنه يمتد إلى معانيه ومناهجه الحياتية والحيوية[١].

أما التربية الإسلامية فهي بالرغم من كونها ترتكز على القران الكريم والسنة النبوية إلا أنها تبحر في علوم التربية الأخرى وتستفيد منها في تطبيقاتها الواقعية، ولهذا الأمر عواقبه التي لا مجال لذكرها هنا.

وبالمجمل ما التربية الإسلامية إلا جزء لا يتجزءا من التربية القرآنية بل وتسير على نهجها، لكن يكثر فيها الاجتهادات الفردية حسب حاجة كل عصر.

المبحث الرابع : الأسس التي تقوم عليها التربية القرآنية

قسم العلماء الأسس التي تقوم عليها التربية الإسلامية إلى تقسيمات عدة ومنطلقات مختلفة، أما أسس التربية القرآنية فلم يعثر الباحث على تقسيم معتبر لها، لكن الباحث اجتهد في تقسيم الأسس التي تقوم عليها التربية القرآنية وقسمها إلى قسمين حسب الاعتبار الذي يتم عليه تقسيم هذه الأسس.

فمن حيث تقسيم الأسس إلى أسس شمولية فهي تقسم إلى ثلاثة أسس وهي الأساس الاعتقادي والتعبدي والتشريعي، أما من حيث تقسيم الأسس إلى أسس

---

(٢) الدوسري، إبراهيم سعيد، البناء التربوي ومعالجته، بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ، ج٢، ص ٢٧٠.

فرعية فهي تقسم إلى تسعة أسس وهي: التاريخية والفلسفية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والقضائية والتربوية والنفسية والعلمية.

المطلب الأول: أولاً: الأسس الشمولية للتربية القرآنية[١].

١- **الأساس الاعتقادي (الفكري)**: وتتضمن الأُسس الاعتقادية (الفكرية) نظرة الإسلام إلى الإنسان والكون والحياة، وان الله خلق الإنسان لهدف وغاية، ويطالبه بتأمل وتدبر المخلوقات التي يضمها الكون كي يقبل على عبادة الله وتوحيده، وتتعدد الآثار التربوية لهذه النظرة القرآنية إلى الكون، ومنها "ارتباط المسلم بخالق الكون، وبالهدف الأسمى من الحياة وهو عبادة الله وتربية الإنسان على الجدية، فالكون كله أقيم على أساس الحق، ووجد لهدف معين وإلى أجل مسمى عند الله" [٢].

وبفضل الخصائص الفكرية للتربية القرآنية يتربى عقل المسلم على النظرة الكلية الشاملة للكون ولجميع جوانب الدنيا والآخرة[٣].

إن التربية القرآنية تعمل على ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان،وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام،وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء [٤]، فتأسيس العقيدة السليمة منذ الصغر أمر بالغ الأهمية في منهج التربية القرآنية [٥]، وذلك من

---

(١) يقصد الباحث بالأسس العامة للتربية القرآنية، الأسس الرئيسة لها، أما الأسس الفرعية، أي الأسس التي تحتاج إلى تفصيل وشرح وبيان وتندرج ضمن الأسس العامة للتربية القرآنية أصلاً.

(٢) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩، ص٣٧-٣٨.

(١) السيد، عاطف، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، بدون دار نشر، ص ١٩.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام لعلوان – (١ / ١١٥)

(٣) الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة،ص ١٢٢ . وانظر فاطمة، محمد خير،منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ،ص ٤٢٨-٤٣٠، وانظر، سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص ٢٤٠-٢٤١.

خلال سيرة النبي – ﷺ– ومنهجه التربوي في تعليم الصحابة أُسس دينهم، بإحياء بذرة الفطرة في نفوسهم، وتنزيه سبحانه الله تعالى، وحسن الظن به واللجوء إليه والخوف منه، وشكره على هدايته لنا للإسلام(١).

٢- **الأساس التعبدي:** تمثل العبادات إحدى الركائز الأساسية للتربية القرآنية، وترتبط العبادات بمعنى واحد هو العبودية لله وحده وتلقي التعاليم من الله وحده في أمر الدنيا والآخرة، فالعبادات تذكير بصلة الإنسان الدائمة بالله، وهي تنظم حياة المسلم من كل جوانبها، والعبادات ذات فوائد تربوية جليلة، فهى تعلمنا الوعي الفكري الدائم الذي يعتمد على إخلاص النية والطاعة لله طبقاً للشريعة الإسلامية.

والعبادات التي يؤديها المسلم مع الجماعة المسلمة تربي المسلم على الارتباط بالجماعة المسلمة وعلى المساواة والتعاون والعمل، فالمسلمون متساوون أمام الله، والعبادة تربيهم على العدالة في المعاملة، وتربي عندهم قدراً من الفضائل الثابتة المطلقة(٢).

وتظهر لنا العبادات والنسك الإسلامية، أعمالا تعبدية، ورياضيات روحية، عميقة الجذور، ترتبط بمعان سامية، تنبع من فطرة النفس، وبذكريات عظيمة هزت التاريخ، وتقوم بتنظيم حياة المسلم اليومية "بالصلاة"، وحياته الغذائية السنوية "بالصوم"، وحياة المجتمع المسلم الاقتصادية المتكافلة "بالزكاة"، كما تقوم بتنظيم وإحياء وحده المجتمع الإسلامي الكبير، والروابط والمشاعر الاجتماعية للأمة الإسلامية كله في شتى أصقاع الأرض "بالحج"، قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الطور:٥٦].

---

(٤) باشا، حسان شمسي، كيف تربي أبناءك في هذا الزمان، ٢٠٠١ ،دار القلم، دمشق، ط١، ص١٢٢.

(٥) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ج١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص٣٩-٤٠.

٣- **الأساس التشريعي**: الشرع في القرآن الكريم هو سن التعاليم الدينية، وبيان العقيدة التي يجب الإيمان بها، وعبادة الله على أساسها، وإصدار الأوامر والنواهي التي تحقق ذلك كله، وهو من خصائص الله تعالى، وكل من سمح لنفسه بالتشريع، أو أطاع غيره في غير ما شرع الله من أمور الدين، وما يرتبط به ومما وضع الله له تشريعاً، فقد أشرك مع الله إلها آخر(١)، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى في حق من اتخذ مشرعاً له من دون الله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال سبحانه: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال:﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ [الشورى: ١٣].

المطلب الثاني: ثانياً: الأسس الفرعية للتربية القرآنية

ويقصد الباحث بالأسس الفرعية التي تنبثق عن الأسس العامة والرئيسة، حيث أن الأسس العامة تعتبر بمثابة الأركان للتربية القرآنية، أما الأسس الفرعية فهي منبثقه عنها، كما أنها لم تذكر جميع جوانب الأساس الذي تم بيانه، إذ أن القرآن ليس مجالاً لتفصيلها بل ذكر إشارات لها، تصلح أن تكون نموذجاً يحتذى.

١- **الأسس التاريخية**: دراسة الأسس التاريخية تثري العمل التربوي عن طريق فهم الماضي بما فيه من تجارب لحل المشكلات التربوية، مما يساعد على فهم المشكلات في

(١) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ٢٠٠٧،دار الفكر، ط٢٥، ص٧١.

الوقت الحاضر ويعين على الإعداد والتخطيط للمستقبل(١).والقرآن الكريم بدايته التاريخية مسطرة فيه، حيث انزله الله إلى اللوح المحفوظ، ومن ثم إلى النبي ﷺ منجماً، وقد تناول ابرز الأحداث التاريخية للأمم السابقة، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء، ١٠٦].

وكما يقول عالم الاجتماع أوجست كنت "لا نستطيع أن نفهم جيداً قضية ما إلا إذا تتبعناها تاريخياً" (٢).

وقد وجدت التربية مع وجود الإنسان، حيث اكتشف علماء الأنثروبولوجيا مجتمعات عاشت قبل التاريخ أطلقوا عليها المجتمعات البدائية (٣)، وثقافتهم لا تتعدى إشباع الحاجات الأولية، (٤)، ثم تطورت المجتمعات شيئاً فشيئاً مع مجئ الرسالات وتنوع الحضارات(٥).

أما ما كان عليه العرب قبل الإسلام، فلا توجد دراسة تاريخية موثقة عن التربية الجاهلية للغموض التاريخي عن تلك الحقبة ولقلة المراجع فيها(٦)، لذا فمصدرنا الوحيد عن تلك الحقبة هو بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن أحوالهم، والشعر الجاهلي

---

(١) سليمان، عرفات عبد العزيز. اتجاهات التربية عبر العصور: دراسة تحليلية مقارنة. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٧م، ص٢٩.

(٢) أسعد، محمد فائز عبده، مدخل إلى علم الاجتماع: دراسة نظرية في فهم المجتمع. الرياض، دار الفيصل الثقافية، ١٤٠٤هـ، ص ٧٩.

(٣) باقارش، صالح، أصول التربية العامة والإسلامية. حائل، دار الأندلس، ١٤١٧هـ، ص ٤٦.

(٤) مرسي، محمد منير، تاريخ التربية في الشرق والغرب. القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص٣٣.

(٥) قزاز، محمد سعد الشهري، المبادئ العامة للتربية. دار المعارج الدولية للنشر، ١٤١٦هـ،ص١٩.

(١) الابراشي، محمد عطية، التربية الإسلامية، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ، ٣٩.

المتمثل في شعراء المعلقات ودواوينها، وكتب الأدب والتاريخ التي ألفت في العصر العباسي[١].

وقد كان العرب قبل الإسلام أمة أمية [٢]، قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الجمعة: ٢].

وقد قادتهم الأمية إلى تقليد آبائهم تقليداً أعمى[٣]، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[لقمان: ٢١]. و كان من نتيجة التقليد أن تناقل عرب الجاهلية عبادة الأصنام والأوثان[٤]. ولم تخلو حياة العرب قبل الإسلام من بعض المحاسن مثل الكرم والشجاعة والصراحة والنجدة ، واكتسب عرب الجاهلية عن طريق الخبرة والحاجة بعض المعارف والعلوم التي سادها الكثير من الخرافات والمعتقدات الوهمية، منها علم النجوم والأنواء، والعرافة والكهانة، والقيافة، والشعر والخطابة، ومبادئ في الطب، وارتبطت تلك المعارف والعلوم بحياتهم المعيشية ولم تؤسس علمياً أو تحلل لمعرفة حقيقتها أو لمحاولة تطويرها، إلى أن جاء القرآن الكريم فنقلهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى

(٢) عبد الدائم، عبد الله، التربية عبر العصور. بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ٤١.

(٣) مرزوقي، آمال حمزة، النظرية التربوية الإسلامية: مفهوم الفكر التربوي الغربي. جدة، تهامة، ١٤٠٢هـ، ص٧٢.

(٤) عثمان، حسن ملأ، تربية الإنسان المسلم. القاهرة، دار الصحوة، ١٤٠٦هـ، ص٦١.

(٥) كحالة، عمر رضا، جولة في ربوع التربية والتعليم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ، ٤٧.

ٱلنُّورِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٧].

٢- **الأسس الأصولية**: ترتكز الأصول التربوية على تطبيق الجوانب الفلسفية للفكرة التربوية، حيث تبحث كل فلسفة هذه الأصول حسب منطلقاتها، وهي كما يلي: الأسس الإسلامية وتعود للقرآن والسنة، والأسس الدينية وتعود إلى الديانات في مختلف المجتمعات، والأسس النفسية وتعود إلى علم النفس، والأسس الاجتماعية وتعود إلى علم الاجتماع، والأسس الميتافيزيقية "ما فوق الطبيعة" وتعود إلى علم المجردات، والأسس المعرفية وتعود إلى نظرية المعرفة، والأسس المنطقية وتعود إلى علم المنطق، والأسس الجمالية وتعود إلى علم الجمال، والأسس الأخلاقية وتعود إلى علم الأخلاق، والعلم الذي يتضمن تلك الأسس يسمى علم الفلسفة(١)، ويستخدم بعض التربويين كلمة أصول بدلاً من فلسفة، لما تحمله كلمة فلسفة من دلالات ومعاني مختلف فيها(٢).

٣- **الأسس الثقافية**: التربية بالمعنى الشامل تعني تعديل سلوك الفرد ليتوافق مع ثقافة مجتمعه، فهي تؤدي خدمة اجتماعية، تتمثل في إعداد الفرد ليكون صالحاً في مجتمعه وتعتبر الثقافة الأداة الوحيدة لتحقيق هذا الهدف(٣) .

---

(١) علي، سعيد إسماعيل، "درس في أصول التربية"، مجلة دراسات تربوية، عالم الكتب، القاهرة، الجزء الأول-نوفمبر، ١٩٨٥. وانظر،حسان، حسن محمد، وآخرون، "مدارس في الحضارة الإسلامية: دراسة نظرية تطبيقية"، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤، ص ١١٣.

(٢) يميل الباحث إلى استخدام كلمة أصول بدلا من فلسفة، لان لها دلالات معينة لا مجال لبيانها في هذا البحث..

(١) المرصفي، محمد على محمد، مقدمة في أصول التربية.١٤٠٩، جدة، دار المجتمع، ص٧٧.

فالثقافة هي المرعى الخصب الذي تعيش فيه التربية منذ ولادة الإنسان حيث يبدأ حياته بسلوك غريزي وراثي، ثم يكتسب عناصر ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه بالتعلم، فيتعلم كيف يأكل ويلبس ويتصرف لأن العناصر مكتسبة وتختلف من مجتمع لآخر[1]، والتربية هي المحور الذي يمكن الثقافة من البقاء والتطور كما أن الثقافة تستنبط مادتها وتقيم أهدافها من معتقدات المجتمع[2].

لذا عاب القرآن الكريم على الثقافات المقلدة والتي كان لها دور في ضلال الأمم والشعوب والأفراد، قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

٤- **الأسس الاجتماعية:** تركز التربية القرآنية على العلاقات الاجتماعية، وضرورة وحدة الجماعة وتماسكها لما له من اثر كبير في قوة الأمة وهيبتها وتماسكها أمام أعدائها، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة:٢].

كذلك رتب الله سنناً اجتماعية لحياة الإنسان، فأرسل على أساسها الرسل، وعذب الأمم، وأهلك بعضها، ورتب آجالها، وغير أحوالها، قال تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[آل عمران:١٣٧].

---

(٢) التل، سعيد. المرجع في مبادئ التربية، ١٩٩٣،دار الشروق، عمان، الأردن، ص٧٦.

(٣) إدريس، علي، مدخل إلى علوم التربية،١٤٠٥، مكتبة العبيكان، الرياض، ص٥٦.

وقد تأثر، بل توجه، ابن خلدون بهذه السنن الاجتماعية، المذكورة في القرآن، عند وضع معظم نظرياته الاجتماعية، بل وضع أساس علم الاجتماع في مقدمته المشهورة[1].

٥- **الأسس الاقتصادية:** وضع القرآن الكريم ركائز أساسية للاقتصاد الإسلامي تقوم على جملة من المبادئ الاقتصادية المتمثلة بمجموعة من القيم الاقتصادية، وذلك بتحريم المعاملات التجارية التي لها ضرر بالفرد والمجتمع، وإباحة المعاملات الاقتصادية التي لها دور في وحدة المجتمع والدولة وتماسكها، فقد حرم الإسلام الربا والرشوة والسرقة، وغيرها من المحرمات التجارية السلبية على المجتمع، لما لها من دور سلبي في هدم المجتمع وتفكك بنيانه، لا بل شن الله حرباً على فاعلها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٨،٢٧٩]، وقال تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[المائدة:٣٨]، بالمقابل شجع الإسلام وحث على المعاملات الاقتصادية التي لها دور في وحدة المجتمع وتماسكه وعلى رأسها الزكاة والصدقات بشكل عام، قال تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل: ٢٠].

---

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، التنشئة الاجتماعية، ص٥٠ وما بعدها.

٦- **الأسس القضائية:** يعد القرآن الكريم دستور الأمة والمصدر الأول للتقاضي والتحاكم وإقامة حدود الله، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، وقال تعالى:﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥].

٧- **الأسس التربوية:** تمتاز النظرة التربوية الإسلامية عن الكون والحياة، بوضوح الأفكار التي بني عليها نظام حياة المسلم، ومعقوليتها وملاءمتها للفطرة العقلية، والوجدانية والنفسية، وعرضها عرضاً مقنعاً إذ يستنبطها القرآن من لفت الأنظار إلى الواقع المحسوس، للتأمل فيما حولنا، وفي أنفسنا تأملاً يوصلنا إلى معرفة الله، وقدرته ووحدانيته، فالإنسان مخلوق مكرم: [١] قال تعالى:﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٠].

---

(١) المودودي، أبو الأعلى، الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها، دار العربية للطباعة -بيروت ص١١.

والإنسان مميز مختار قادر على التمييز بين الخير والشر[1]، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧-١٠].

أما النظرة إلى الكون فهي ليست عقلية محضة، فالكون كله مخلوق لله خلقه لهدف وغاية، وما كان اللعب والعبث باعثاً على الخلق[2]،قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الدخان :٣٨-٣٩]، وقال سبحانه: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾[الاحقاف: ٣].

إذاً فالكون كله قانت لله خاضع له، ولتدبيره ولأمره، ولإرادته ومشيئته، قال تعالى:﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٦-١١٧].

٨- **الأسس النفسية**: المقصود بالتربية النفسية: تربية الولد منذ أن يعقل على الجرأة والصراحة، والشجاعة، والشعور بالكمال، وحب الخير للآخرين، والانضباط عند الغضب، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق [3]، قال تعالى:

---

(١) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ٢٠٠٧،دار الفكر، ط٢٥، ص٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص٦٥.

(٣) الشحود، علي نايف، الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، ٢٠٠٩، دار المعمور ، ماليزيا، ط١، ص٣٣١.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر:٩].

٩- **الأسس العلمية**: فالعِلم هو إدراك الشيء بحقيقته ، وهو نور الله يقذفه في قلب من يحب[1]، فعندما أنزل الله تبارك وتعالى القرآن دعا فيه إلى العلم ونوّه فيه بالمعرفة وأشاد بدور العلماء في خدمة الحقيقة،لأنهم قادة الفكر، وصانعو الحضارة، وهم ورثة الأنبياء،وجعلهم الله –سبحانه وتعالى– في مصاف الملائكة[2]، قال تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨]، وأول خمس آيات نزلت على النبي – ﷺ– تدعوه إلى العلم قال تعالى:﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق:١ – ٥].

أي : اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مُفَتَتِحاً قِرَاءَتكَ بِاسْمِ رَبّكَ الذِي لَهُ وَحْدَهُ القُدْرَةُ عَلَى الخَلْقِ وهُوَ تَعَالَى الذِي عَلَّم الإِنْسَانَ أنْ يَكْتُبَ بِالقَلَمِ،وَجَعَلَ الكِتَابَةَ بِالقَلَمِ وَسِيلَةً لإِدْرَاكِ الإِنْسَانِ العُلُومَ ، وَالمَعَارِفَ،حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ ، وَبِفَضْلِ القَلَمِ

---

(١) المصدر السابق، ص٣٤٧.

(٢)سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، ص٣٦٩

حُفِظَتِ العُلُومُ،وَانْتَقَلَتْ فِي الأَرْضِ مِنْ صِقْعٍ إِلَى صِقْعٍ .وَقَدْ عَلَّمَ اللهُ تَعَالَى الإِنْسَانَ جَمِيعَ مَا هُوَ مُتَمَتِّعٌ بِهِ مِنَ العُلُومِ ، وَكَانَ فِي بَدءِ أَمْرِهِ لاَ يَعْلَمُ شَيئاً[1].

والقرآن الكريم يرى أن مادة العلم مادة الخشـية من الله، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٨].

المطلب الثالث : ميزات أسس التربية القرآنية

يرى الباحث أن أسس التربية القرآنية تمتاز بالميزات الآتية:

١- تحقق النمو المتكامل المتوازن لشخصية الإنسان: فهي لا تركز على جانب واحد من الشخصية -الروحي أو العقلي أو الجسمي أو الانفعالي أو الاجتماعي- وإنما تهتم بجميع هذه الجوانب معًا [2]، يقول تعالى:﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾[القصص:٧٧].

٢- تربية فكرية وسلوكية وعملية معاً: حيث تتعدى العقيدة الإسلامية مجال القلب إلى العمل، فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، وكثيراً اقترن العمل الصالح بالإيمان في آيات القرآن الكريم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ومبادئ

---

(١) حومد، اسعد، أيسر التفاسير، (١ / ٥٩٨٤) ، وانظر، التفسير الميسر، ٢٠٠٩، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط٢، (٦٤/١٠).

(٢) السمالوطي، نبيل، بناء المجتمع الإسلامي، ١٩٩٨، دار الشروق، ط٣، ص١٣٥ بتصرف.

الإسلام الخمسة، كلها تتطلب ترجمة الإيمان إلى سلوك، ويذم من المسلم أن يقول خلاف ما يفعل[1]، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف: ٢، ٣].

٣- تجمع بين الطابع الفردي والجماعي معاً، قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[القصص:٧٧].

٤- تنشئ الفرد على مراقبة الله سبحانه: فالتربية القرآنية تعمل منذ اللحظة الأولى على غرس الدوافع الإنسانية في نفس الفرد، فهو يراقب الله في عبادته وعمله وأكله وشربه وزواجه وعلاقته بزوجته وأبنائه.. إلخ، فاستقامة المسلم تنبع عن الالتزام الداخلي؛ لأنه يعلم أن الله مطلع على كل أموره: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥].

٥- تحافظ على فطرة الإنسان النقية وتعلي غرائزه الفطرية: يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[الأعراف: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[الشمس: ٧-١٠]، وهنا تبرز أهمية التربية في تزكية النفس

(١) المصدر السابق، ص١٣٧ بتصرف.

وتطهيرها ودعم جانب التقوى ومقاومة جانب الفجور والحفاظ على فطرة الله التي فطر الناس عليها[1].

٦- تربية موجهة نحو الخير: يستهدف الإسلام أساسًا تقدم الإنسان وتمتعه بالخيرات والرحمة به، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهناك معيار للتمايز بين البشر غير التقوى﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]، ألا وهو معيار العلم والعمل الصالح، قال تعالى:﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

٧- تربية مستمرة: فهي لا تنتهي بفترة زمنية معينة وإنما تمتد من المهد إلى اللحد، تدعم باستمرار عقيدة التوحيد عند الإنسان وتدعوه باستمرار لتحصيل المزيد من العلم والمعرفة ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥] كما تدعو إلى إعمال البصر والعقل في الكون الماديّ والعالم الاجتماعي من أجل التقدم في فهمهما وتحقيق حياة إنسانية أسعد على هذا الكوكب، والحياة لا تسير على وتيرة واحدة فهي في تغير مستمر، ولا بد على الإنسان المسلم أن يساير هذا التطور بل وأن يقوده من خلال إعداد الشباب المؤمن المتعلم المنجز[2].

٨- تربية عالمية منفتحة: فالإسلام دين لكل البشر، وليس لأقوام محددة كما هو الحال في الديانات السابقة عليه وهو يرفض التعصب ويتجاوز الانغلاق الطبقي أو

---

(١) مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ٢٠٠٥، عالم الكتب، ص١٩٥.

(٢) السمالوطي، نبيل، بناء المجتمع الإسلامي، ١٩٩٨، دار الشروق، ط٣، ص١٤٠ بتصرف.

العرقي أو اللوني أو الفئوي، ويقر معيارًا عامًا للتمايز في متناول الجميع[١]، وهو التقوى: "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى"[٢]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

٩- تربية محافظة ومتجددة: فهي محافظة بالنسبة لمجال المعتقدات وما تقوم عليه من مبادئ سماوية خالدة وتقاليد راسخة وقيم عريضة، وترفض البدع، وهي تربية متجددة باستمرار تنمي شخصية الفرد وتثري إنسانيته، كما أنها تأخذ به إلى الأمام في طريق النمو والتقدم المستمرين[٣]، يقول تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧] وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١]

---

(١) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، ص٨٢.

(٢) رواه احمد، مسند الإمام احمد بن حنبل، تحقيق شعيب الارنؤوط، ٢٠٠١، دار الرسالة، ط١، حديث رقم ٢٣٤٨٩، والحديث عن أبي نضرة عندما شهد خطبة النبي بمنى، والحديث إسناده صحيح، ورواه البيهقي بشعب الإيمان عن جابر بن عبد الله، حديث رقم ٤٧٧٤.

(٣) مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها، ص٧٤.

المبحث الخامس: ضوابط التربية القرآنية

يرى الباحث أن ضوابط التربية القرآنية يمكن تقسيمها إلى أقسام مختلفة، وذلك حسب آلية النظرة إليها، إذ لا بد من تبني التربية القرآنية كثابت رئيسي ومتفرد للتغيير الحقيقي[1]، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[الرعد:١١]، ولا بد من استمراريتها وأن لا تنقطع أو تتوقف عند فترة معينة، لأن الأمر الذي استوجبها دائم لا ينقطع ولا يتوقف حتى الموت،قال تعالى:﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر:٩٩]، وعليه فلا بد من التسليم والتعظيم لها[2]: قال تعالى:﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ [النساء:١٢٥]، وقال تعالى:﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ٢٢]، وعليه يمكن تقسيم ضوابط التربية القرآنية كما يلي:

المطلب الأول: ضوابط التربية القرآنية العامة أو الأساسية

١- ضابط خلقي[3]: عندما تتمكن تعاليم الشريعة من نفس الفرد، ومشاعره تصبح بمثابة ضابط خلقي، يحاكم المرء نفسه إليه، عندما يقف أمام أمور مشتبهات، كبعض أساليب البيع والشراء، وكذم الإنسان يجاهر بالمعصية، ونحو ذلك، والضابط الخلقي

---

(١) الهلالي، مجدي، نظرات في التربية الايمانية، ص ٥ .

(٢) عبد اللطيف، عبد العزيز محمد، ضوابط تلقي النصوص الشرعية وفهمها، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، العدد ٢٣٨، ج٤٥، ص٥٥.

(٣) النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية، ص٥٩، وما بعدها بتصرف.

هنا غير الوازع التربوي الديني، فالوازع يبعدك عن موضوع المحرمات بالكلية، ولكن الضابط هو الذي يقول لك هذه حدودك فلا تقترب منها، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧].

٢- ضابط اجتماعي: وعندما يكثر تداول أحكام الشريعة، على المستوى الاجتماعي، في حلقات الوعظ وخطب المنابر، تصبح بعض هذه الأحكام أعرافا، ومصطلحات اجتماعية، وقد ربى الإسلام هذه الفطرة الاجتماعية، فنظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحض على ذلك، وجعل تركه من علامات انهيار المجتمع، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

٣- ضابط سياسي: عندما تتولى السلطة تنفيذ أوامر الشريعة، تصبح تعاليم الشريعة، سلوكاً سياسياً تسلكه الدولة مع جميع رعاياها، فتقطع يد السارق، وترجم الزاني وتمنع الخمر، والتبرج،....الخ، فيتربى الناشئ في هذا الجو على المعاني الإسلامية يستقيها من منزلة، ومدرسته، ومن النداءات التي تتعالى في المآذن ومن منابر المساجد، ومن الإذاعة، والرائي، ومن كل شيء يحيط به، [1] قال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ

(١) المصدر السابق، ص٦١، وما بعدها بتصرف.

﴿أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

٤- ضابط داخلي: ينبع من داخل النفس، ضابطه الخوف من الله ومحبته، وتطبيق شريعته اتقاء لغضبه، وعذابه ورغبة في ثوابه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

٥- ضابط خارجي: من خلال التناصح الاجتماعي والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فالمجتمع الغيور على شريعة الله، وحرماته لا يدع منكراً، ولا يقر على ترك أصل من أصول الإسلام كالصلاة والزكاة والصوم، والجهاد، بل يأمر المقصر، ويأخذ بيده، ليعينه على نفسه، أو على تربية أولاده، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ (١) إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ (٢) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ (٣)﴾ [العصر: ١-٣].

٦- ضابط سلطوي: فالدولة التي تنفذ أحكام الشريعة، يسبب ذلك استتباب الأمن، ويسود سلطان الشرع، وينعم الناس بعدل الشريعة، لذا ذم الله بني إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، قال تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

المطلب الثاني: ضوابط محتوى التربية القرآنية(١):

١ ـ ضوابط متعلقة باللفظ في مثل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٠٤]

٢ ـ ضوابط متعلقة بالمضمون في مثل قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

٣ ـ ضوابط متعلقة بالهدف والأسلوب في مثل قوله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠].

٤ ـ ضوابط متعلقة بالتوقف والتثبت من المصدر مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

---

(١) الصلابي، علي محمد، الإيمان بالقرآن الكريم والكتب الستة، المكتبة العصرية، ط١، ص ٧٤، بتصرف، وانظر الخرعان، محمد، حرية التعبير، ص ٤٦، بتصرف.

المطلب الثالث: ضوابط التربية القرآنية التفصيلية[1]

١- الكمال: قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة:٣].

٢- موافقة للفطرة: قال تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[الروم: ٣٠].

٣- الرحمة: قال تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٦].

٤- الوضوح:قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:١٥٣].

٥- المسئولية والحساب[2]:قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ ﴾ [الإسراء:١٢]، وقال تعالى:﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧

(١) وهي اجتهاد من الباحث وذلك من خلال تتبعه الآيات القرآنية التي تتحدث عن القرآن الكريم، ثم استخراج هذه الضوابط منها بطريقة اجتهادية، اسأل الله التوفيق.

(٢) صبح، علي علي، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، المكتبة الأزهرية، ص ٢٣٩..

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:٧-٨]،وقال تعالى:﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[ق:١٨].

٦- التدرج: قال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

٧- تستخدم الترغيب والترهيب: قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم:٧١-٧٢].

٨- الهداية:[1] قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء:٩.

٩- ترك الإفراط والتفريط:قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء :٢٩].

١٠- التطابق: وذلك باستحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية : قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

---

(١) مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ٢٠٠٥، دار القلم، دمشق، ط٣، ص ١٦١ .

١١- مراعاة أحوال المخاطبين: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢].

١٢- إتباع المنهج الصحيح للنَّظر في الأنفس والآفاق[1]، قال تعالى:﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الأنعام:١١].

١٣- بيان ذات الله: وذلك بإتباع الآيات المحكمات التي تتناول الحديث عن ذات الله، كقوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، وقوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣].

١٤- الوحدة: وذلك بنبذ الخلاف والفرقة والتنازع، قال تعالى : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣].

١٥- محدودية المعرفة: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

١٦- التدبر: وعدم الهجر، قال تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد:٢٤]،وقال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحجر:٩١].

---

(١) أصول الدعوة وطرقها ٢،مناهج جامعة المدينة العالمية لمرحلة البكالوريوس ،ص ١٩٣.

١٧- التأني: وعدم التسرع، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المائدة:١٠١].

١٨- الاستماع والإنصات:قال تعالى:﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

١٩- الدقة في النقل (الصدق) : قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [يوسف :٣٧].

٢٠- عرض الأفضل: قال تعالى:﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾[يوسف:٣].

٢١- الاستعانة بالله: قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦].

٢٢- الهداية والتبشير: قال تعال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء:٩].

٢٣- التخويف: قال تعال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القرآن وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠].

٢٤- التحدي بالحق: قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء:٨٨].

٢٥- التحذير: قال تعال: ﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ [النمل:٩٢].

٢٦- التنوع : قال تعالى : ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ ﴾[الروم:٥٨].

٢٧- تأكيد أهمية العلم: قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن:١-٤].

٢٨- الخشوع: قال تعالى: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

٢٩- الترتيل: قال تعالى:﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ [المزمل:٤].

٣٠- التيسير: قال تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [المزمل:٢٠].

نتائج البحث

بعد أن تناول الباحث مفهوم التربية القرآنية وأسسها وضوابطها خرج بالنتائج الآتية:

١- التربية القرآنية تربية شاملة تعنى بتغيير المفاهيم، ليتمثلها المسلم سلوكاً تطبيقياً واقعاً في حياته، فتتم ترجمتها إلى واقع ملموس وحقيقي، كما كانت في عهد النبي ﷺ، وكذلك في عصر الخلفاء الراشدين ومن سار على منهجهم واقتفى أثرهم.

٢- التربية القرآنية تقوم على مجموعة من الأسس والأصول، وهي بمثابة أركان تقوم عليها هذه التربية، سواء الأساس العقدي(الفكري)، أم التشريعي، أم التعبدي.

٣- يندرج تحت الأسس الرئيسة بقية الأسس الأخرى والتي سماها الباحث بالأسس الفرعية، وذلك من خلال بيان جذور هذه الأسس تاريخياً، وفلسفياً، وثقافياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وقضائياً، وتربوياً، ونفسياً، وعلمياً.

٤- للتربية القرآنية ضوابط تبرز عظمة التربية القرآنية وتظهر مدى دقتها وشموليتها، سواء أكانت هذه الضوابط داخلية أم خارجية، عامة أم تفصيلية، وقد تم بيانها من خلال تتبع الآيات القرآنية التي تتحدث عن القران وفضائله وأهميته وكيفية التعامل معه.

٥- وللتربية القرآنية خصائص بارزة، فهي تربية كاملة متكاملة تلبي كل طاقات البشر واستعداداتهم على المستوى الفردي والجماعي، وتربية جهادية تهتدي بنموذج الأصحاب المجاهدين، وتربية متدرجة متوازنة، تبشر بمستقبل ذي وجه إنساني يُلقي على حياة البشر نور القرآن، لأنها علمية عملية جمالية تُبرز حملة الرسالة الخاتمة للناس بصورة جذابة تجعلهم شامة بين الأمم خُلُقا وفعلاً ومظهراً.

توصيات البحث :

يوصي الباحث بعد تمام هذا البحث – بحمد الله – بما يلي:

١- إبراز أهمية التربية القرآنية بشكل يناسب مكانة القرآن الكريم وعظمته، سواء بالأبحاث أو المؤتمرات أو الندوات وغيرها من وسائل المعرفة المختلفة.

٢- يقترح الباحث على الباحثين المهتمين بالتربية القرآنية تناول الموضوعات الآتية:

أ- التربية القرآنية للأطفال.

ب- التربية القرآنية بأدب السؤال.

ت- التربية القرآنية بالقصص .

ث- التربية القرآنية بتنمية العقل.

ج- التربية القرآنية بضرب الأمثال.

ح- موقف القرآن الكريم من النظريات التربوية الحديثة.

خ- تربية الفرد في القرآن الكريم.

د- تربية الجماعة في القرآن الكريم.

ذ- العقل والعلم في القرآن الكريم.

ر- التربية الخلقية في القرآن الكريم.

وفي الختام اسأل الله أن أكون قد وفقت في تقديم هذا البحث، فان أصبت فبتوفيق من الله ، وان أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الباحث

د. احمد بني سلامة

فهرس المصادر والمراجع

*** القران الكريم

١- الابراشي، محمد عطية، التربية الإسلامية، ١٣٩٥هـ، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٢- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ٢٠٠٩، مطابع الشعب، القاهرة.

٣- ابن فارس، احمد أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٧٩، دار الفكر.

٤- ابن منظور ، محمد بن مكرم، لسان العرب، ١٤١٤هـ، دار صادر بيروت، ط٣.

٥- احمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مسند الإمام احمد بن حنبل، تحقيق شعيب الارنؤوط، ٢٠٠١، دار الرسالة، ط١.

٦- إدريس، علي، مدخل إلى علوم التربية،١٤٠٥، مكتبة العبيكان، الرياض.

٧- أسعد، محمد فائز عبده، مدخل إلى علم الاجتماع: دراسة نظرية في فهم المجتمع، ١٤٠٤هـ، الرياض، دار الفيصل الثقافية.

٨- أصول الدعوة وطرقها ٢،مناهج جامعة المدينة العالمية لمرحلة البكالوريوس، لعام ٢٠٠٥.

٩- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين، المفردات في غريب القران، تحقيق صفوان الداوي، ١٤١٢هـ، دار القلم، دمشق، ط١.

١٠- باشا، حسان شمسي، كيف تربي أبناءك في هذا الزمان،٢٠٠١ ،دار القلم، دمشق، ط١.

١١- باقارش، صالح، أصول التربية العامة والإسلامية، ١٤١٧هـ، حائل، دار الأندلس.

١٢- بدوي، احمد تركي، معجم مصطلحات التربية والتعليم ، ١٩٨٠، دار الفكر، القاهرة.

١٣- البيهقي، أحمد بن الحسين تحقيق عبد العلي حامد، ٢٠٠٣، مكتبة الرشد، الرياض، ط١.

١٤- التفسير الميسر، ٢٠٠٩، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط٢.

١٥- التل، سعيد. المرجع في مبادئ التربية، ١٩٩٣،دار الشروق، عمان، الأردن.

١٦- الجندي، أنور، التربية وبناء الأجيال في الإسلام، ١٩٧٥، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

١٧- الحازمي، خالد حامد، المشكلات التربوية الأسرية وأساليبها العلاجية، ١٩٩٧، دار العلم، ط١.

١٨- الحازمي، خالد حامد، التربية الإبداعية في منظور التربية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢٠٠٢، العدد ١١٦.

١٩- حميد، صالح عبد الله، ومجموعة من الباحثين، نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -ﷺ-، دار الوسيلة ، جدة، ط٤.

٢٠- حسان، حسن، وآخرون، مدارس في الحضارة الإسلامية: دراسة نظرية تطبيقية، ١٩٨٤، بيروت، دار الفكر.

٢١- حومد، اسعد، أيسر التفاسير، ٢٠١٠، حسب ترقيم الموسوعة الشاملة.

٢٢- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القران ونقض مطاعن الرهبان، ٢٠٠٧، دار القلم، دمشق، ط١.

٢٣- الخرعان، محمد، حرية التعبير بين المفهوم الشرعي والمفاهيم المعاصرة، دار كنوز اشبيليا، ط١.

٢٤- الدليمي، محمود حسين، مع القران (دراسة تحليلية لمروياته، ٢٠٠٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٢٥- الدوسري، إبراهيم سعيد، البناء التربوي ومعالجته، بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية،ط٢، ١٤٢٥هـ.

٢٦- رابح، تركي، أصول التربية والتعليم، ١٩٩٠، ديوان المطبوعات، الجزائر ،ط٢.

٢٧- الرازي، زين الدين الحنفي، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ، ١٩٩٩،المكتبة العصرية، بيروت، ط٥.

٢٨- الزنتاني، عبد الحميد الصيد، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة،١٩٨٤، ليبيا، الدار العربية للكتاب.

٢٩- السمالوطي، نبيل، بناء المجتمع الإسلامي، ١٩٩٨، دار الشروق، ط٣.

٣٠- السيد، عاطف، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، ١٩٩١، بدون دار نشر.

٣١- السيوطي، أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن،١٤١٥هـ، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة،ط١.

٣٢- سليمان، عرفات عبد العزيز. اتجاهات التربية عبر العصور: دراسة تحليلية مقارنة. القاهرة، ١٩٧٧، مكتبة الأنجلو المصرية .

٣٣- سهام مهدي جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية.

٣٤- شديد، محمد، منهج القرآن في التربية، ١٩٧٩، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٥- الشحود، علي نايف، الخلاصة في أصول التربية الإسلامية، ٢٠٠٩، دار المعمور ، ماليزيا، ط١.

٣٦- شلبي، احمد، تاريخ التربية الإسلامية، ١٩٧٩، مكتبة النهضة المصرية.

٣٧- صبح، علي علي، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، المكتبة الأزهرية، القاهرة.

٣٨- الصلابي، علي محمد، الإيمان بالقران الكريم والكتب الستة، المكتبة العصرية، ط١.

٣٩- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل أي القران، تحقيق احمد شاكر، ٢٠٠٠،مؤسسة الرسالة، ط١.

٤٠- عبد الجواد، خلف محمد عبد الجواد، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، دار البيان العربي، القاهرة.

٤١- عبد اللطيف، عبد العزيز محمد، ضوابط تلقي النصوص الشرعية وفهمها، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، العدد ٢٣٨.

٤٢- عبد الدائم، عبد الله، التربية عبر العصور،١٩٨٤، بيروت، دار العلم للملايين.

٤٣- عمر، احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٠٠٨، عالم الكتب.

٤٤- علي،سعيد إسماعيل،أصول التربية الإسلامية،٢٠٠٧،دار المسيرة، عمان،ط١.

٤٥- العثيمين، محمد بن صالح، أصول في التفسير، ٢٠٠١، المكتبة الإسلامية،ط١.

٤٦- علوان، عبد الله، تربية الأولاد في الإسلام،١٩٩٤، دار السلام، القاهرة، ط ٢٥.

٤٧- عثمان، حسن ملأ، تربية الإنسان المسلم، ١٤٠٦هـ، دار الصحوة، القاهرة.

٤٨- علي، سعيد إسماعيل، درس في أصول التربية، مجلة دراسات تربوية، ١٩٨٥، عالم الكتب، القاهرة.

٤٩- الفارابي، أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور، ١٩٨٧، دار العلم بيروت، ط٤.

٥٠- فاطمة، محمد خير، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ١٩٩٨، دار الخير، القاهرة، ط١.

٥١- القاضي، احمد عبد الرحمن، معالم في البناء التربوي، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، العدد ٢٣٨.

٥٢- قزاز، محمد سعد الشهري، أبو عراد، صالح. المبادئ العامة للتربية،١٤١٦هـ، دار المعارج الدولية للنشر.

٥٣- قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ١٩٨١، دار الشروق، بيروت.

٥٤- الكبيسي، عبد الحافظ، منهجنا التربوي، ١٩٨٧، مطبعة الحوادث، بغداد، ط١.

٥٥- كحالة، عمر رضا، جولة في ربوع التربية والتعليم،١٤٠٠هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٥٦- الكيلاني، ماجد عرسان، النظرية التربوية معناها ومكوناتها، ١٩٨٥، دار التراث، المدينة المنورة، ط١.

٥٧- مرزوقي، آمال حمزة. النظرية التربوية الإسلامية: مفهوم الفكر التربوي الغربي،١٤٠٢هـ، جدة، تهامة.

٥٨- المرصفي، محمد على محمد، مقدمة في أصول التربية.١٤٠٩، جدة، دار المجتمع.

٥٩- مرسي، محمد منير، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ٢٠٠٥، عالم الكتب.

٦٠- مرسي، محمد منير، تاريخ التربية في الشرق والغرب،١٩٨٥، القاهرة، عالم الكتب.

٦١- مسلم، مصطفى، مباحث في إعجاز القران، ٢٠٠٥، دار القلم، دمشق، ط٣.

٦٢- منصور، عبد القادر محمد، موسوعة علوم القرآن، ٢٠٠٢، دار القلم العربي، حلب، ط١.

٦٣- المودودي، أبو الأعلى،الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها، دار العربية للطباعة –بيروت.

٦٤- النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ١٩٧٩، دار الفكر، دمشق.

٦٥- النورسي، بديع الزمان، إشارات في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان الصالحي،١٩٩٤، سوزلر، اسطنبول، ط٣.

٦٦- الهلالي، مجدي، نظرات في التربية الإيمانية.، ٢٠٠٦، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١.

التربية بالقرآن
(المفهوم ، والأسس ، والضوابط)

إعداد
د.علي بن عبده أبوحميدي

ملخص

القرآن الكريم جاء بمبادئ وأسس لتحقيق التربية وهي تربية رفيعة عالية فهي تشتمل على قواعد سليمة وأسس مثبتة لمن أراد التربية والتوجيه السليم المؤدي إلى التكريم وتكوين الشخصية السليمة في ضوء العناصر المكونه لها، والتي لها الأثر البارز في حياة الإنسان .

إذا لابد من إيضاح التربية بالقرآن :

- ❖ هي الأسلوب والطريقة التي يمتاز بها القرآن في آياته .
- ❖ وهي المفاهيم والقيم والأساليب المتضمنة في آيات القرآن .

إن تحقيق التربية بالقرآن الكريم والتي يحتاج إليها الناس لابد لها من أسس لتحقق التكامل لدى الشخصية المسلمة وهي أسس روحية ايمانية (عقدية) وأسس تعبدية وأسس فكرية (عقلية) وأخلاقية ونفسية واجتماعية .

وفق ضوابط :

١. الالتزام بالوسطية في كل الأمور .

٢. الالتزام بعدم التعصب والاعتزاز بالرأي واتخاذ الأمر بواقع .

٣. فهم النص القرآني وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية .

٤. عدم التكلف في فهم النص:أي لي أعناق الآيات من أجل موافقتها للقضايا التربوية.

٥. النظرة الواقعية للمعرفة والاستبصار عن القضايا العينية التي لا يترتب عليها كثير من الفائدة .

٦. تحري الدقة المتناهية في التعامل مع القرآن ، مع إخلاص النية لله سبحانه وتعالى.

توطئة

الحمد لله رب العالمين حمداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه .

والصلاة والسلام على الرسول الأمين محمد بن عبد الله صاحب الرسالة والمنزل عليه القرآن الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين...

القرآن الكريم اشتمل على جوانب تربوية لحياة الانسان من ولادته الى وفاته بجوانب هامة وضرورية وهي عدة كالجانب العقدي (الإيماني)،الجانب التعبدي ، الجانب العقلي (الفكري) ، الجانب الأخلاقي ،الجانب النفسي ، الجانب الاقتصادي، الجانب السياسي ، في كل هذه الجوانب نستنبط معاني تربوية .

القرآن الكريم جاء بمبادئ وأسس لتحقيق التربية وهي تربية رفيعة عالية فهي تشتمل على قواعد سليمة وأسس مثبتة لمن أراد التربية والتوجيه السليم المؤدي إلى التكريم وتكوين الشخصية السليمة في ضوء العناصر المكونه لها، والتي لها الأثر البارز في حياة الإنسان .

إذا لابد من إيضاح التربية بالقرآن :

- هي الأسلوب والطريقة التي يمتاز بها القرآن في آياته .
- وهي المفاهيم والقيم والأساليب المتضمنة في آيات القرآن .

إن تحقيق التربية بالقرآن الكريم والتي يحتاج إليها الناس لابد لها من أسس لتحقق التكامل لدى الشخصية المسلمة وهي أسس روحية ايمانية (عقدية) وأسس تعبدية وأسس فكرية (عقلية) وأخلاقية ونفسية واجتماعية .

إن التربية بالقرآن تقوم على أسس(إيمانية) عقدية تتحقق من خلال مراقبة الله، وإخلاص العمل له من خلال صفات هامه وضرورية صادقة معه أمينة في تعاملها مع الله .

والتربية بالقرآن تقوم على أسس نفسية وذلك من خلال إلزام النفس حدوداً مستنبطة من كتاب الله عز وجل مع مراعاة ترك الجدل ولو كان واقعه أو ظاهره الانحراف .

التربية بالقرآن تقوم على أسس عقلية (فكرية) كاحترام العقل وتكريم الإنسان .

والتربية بالقرآن تقوم على أسس عبادية بالتدرج في العباده وعدم المغالاة والتفريط.

والتربية بالقرآن تقوم على أسس أخلاقية تتكامل وتتناسق في تخلق كل فرد من أفراد المجتمع بالفضائل والكمالات .

وكل هذا وفق ضوابط :

١. الالتزام بالوسطية في كل الأمور .

٢. الالتزام بعدم التعصب والاعتزاز بالرأي واتخاذ الأمر بواقع .

٣. فهم النص القرآني وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية .

٤. عدم التكلف في فهم النص:أي لي اعناق الآيات من أجل موافقتها للقضايا التربوية .

٥. النظرة الواقعية للمعرفة والاستبصار عن القضايا العينية التي لا يترتب عليها كثير من الفائدة .

٦. تحري الدقة المتناهية في التعامل مع القرآن، مع إخلاص النية لله سبحانه وتعالى.

٧. التأهيل العلمي لكل من أراد استخراج التربية من القرآن الكريم .

أهداف الدراسة

يتحدد الهدف الرئيس فيما يلي :.

توضيح مفهوم التربية بالقرآن.

ويتفرع من هذا الهدف الرئيس الأهداف التالية :

١- بيان مفهوم التربية بالقرآن.

٢- بيان أسس التربية بالقرآن .

٣- بيان ضوابط التربية بالقرآن .

أسئلة الدراسة

حاولت الدراسة الحالية الإجابة على السؤال الرئيس التالي:

ما مفهوم التربية بالقرآن ؟

ويندرج من هذا السؤال الأسئلة الآتية:.

س١ : ما مفهوم التربية بالقرآن ؟

س٢: ما هي أسس التربية بالقرآن ؟

س٣: ما ضوابط التربية بالقرآن ؟

أهمية الدراسة

ترجع أهمية دراسة التربية بالقرآن إلى ما يلي :

١- يدل على أهمية الدراسة أن الله تعالى أنزل القرآن ليقتدي به ، ويصحح مسار الإنسان في حياته .

٢- تسهم الدراسة في توضيح مفهوم التربية بالقرآن للمربين والدعاة والمصلحين الذين جندوا أنفسهم لدعوة إخوانهم من أهل الإسلام أو ممن جندوا أنفسهم لدعوة من خالفهم في الإسلام.

٣- تسهم الدراسة في تتبع معالم الدين الإسلامي بالتطبيق والسلوك وليس فقط بالانتساب ، وحينما ابتعد الإنسان عن هذا المنهج القويم حصل التخبط والضلال في جوانب الحياة في المعتقدات والعبادات، والأخلاق ، والسلوك ، والمعاملات ، والتصورات ، ضلال لا تقره العقول السليمة.

٤-تسهم الدراسة في تعريف الآباء والأمهات على تربية أولادهم، وتعوديهم على التربية بالقرآن منذ نعومة أظفارهم وفق قدراتهم العقلية لأعمارهم.

منهج الدراسة :

من ملامح التربية بالقرآن ، فإن المنهج الذي استخدمه الباحث في هذه الدراسة الحالية:

المنهج الوصفي هو "دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ، ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو تعبيراً كمياً ، فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها ، أما التعبير الكمي فيعطينا وصفاً رقمياً يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى ." (١).

إذا فالمنهج الوصفي هو "وصف ما هو كائن ، وتفسيره ، وهو يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع . كما يهتم بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات، وطرائقها في النمو والتطور.

---

(١) ذوقان عبيدات وآخرون ، البحث العلمي ،دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان،١٤٠٨هـ. ١٩٨٧م، ص١٨٧.

قام الباحث بالتعرض لملامح التربية بالقرآن الأسس والضوابط وذلك بالرجوع إلى المصادر الإسلامية الأصلية من كتب التفسير والحديث بالإضافة إلى الكتب المعاصرة في التربية .

الطريقة الاستنباطية:- استخدم الباحث هذه الطريقة والتي تعرف بأنها "الطريقة التي يقوم الباحث فيها ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة" (١).

واستفاد الباحث من هذه الطريقة في استنباط التربية بالقرآن من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومن المصادر الأساسية والمراجع .

ومن خلال مراحل حياة التي يمر الإنسان بها فيمر بمرحلتين وهي مرحلة التربية ومرحلة التزكية وسوف استعرض هذه المراحل كما يلي:

أولا: مرحلة التربية

وهي المرحلة التي تكون في الصغر ، وهو بذلك يكون زكياً قبل بلوغه ، وقبل تدخل الوالدين في تربيته كما جاء في القرآن الكريم قال الله تعالى ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴾(سورة الكهف آية ٧٤).

---

(١) عبد الرحمن عبد الله صالح وآخرون ، المرشد في كتابة الأبحاث،مكتبة المنار، مكة المكرمة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، صـ٤.

و"كما قال جل ثناؤه مخبرًا عن نبيه موسى صلوات الله عليه: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [سورة الكهف: ٧٤] ، يعني بريئة من الذنوب طاهرة." [١].

"(قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ) أي صغيرة بغير نفس. "[٢].

" يتناولُ هذا اللفظُ الصبي الصغير...قال ابن عباس: لم يكن نبي الله يقول: أقتلت نفساً زَكيَّة بغير نفس إلاَّ وهو صبيٌّ لم يبلغ ." [٣].

من خلال الآيات السابقة يتبين أن النفس الصغيرة زكية وهذا المعنى يتبين أن التربية في الصغر وحاجة الولد لها ويكون التأثير في هذه المرحلة كما جاء في الحديث النبوي. عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوَيُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠] [٤].

---

(١) محمد بن جرير الطبري ،جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م ، ج ١، ص٥٧٤.

(٢) المرجع السابق ،ج ١٨، ص ٦٤.

(٣) عمر بن علي بن عادل الحنبلي ، اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م ، ج ١٢ ، ص ٥٣٧ .

(٤) محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري،تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، ١٤٢٢هـ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

فخلاصة القول أن التربية في الصغر كما جاء في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(سورة النساء آية ٢٣)

وقال الله تعالى ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ (سورة الشعراء آية ١٨).

وقال تعالى ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾(سورة الإسراء آية ٢٤).

فالمساهمة في تربية الأولاد التربية المثلى الملائمة لإنشاء مجتمع راقٍ كالذي نحلم ونطمح للعيش في أرجائه، البدء بالتربية القويمة منذ الصغر؛ إذ التربية في الصغر كالنقش على الحجر.

وقال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ

وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (١٩) ﴾ (سورة لقمان آية ١٣- ١٩) .

إنها آيات كريمات تضع منهجاً لتربية النشء؛ ما أجدرنا بتطبيقها على الأولاد بالأساليب القرآنية و النبوية في التربية والتعليم!

ثانياً: التزكية :

هي المرحلة التالية في حياة الإنسان وهي مرحلة التربية الذاتية والمستمرة ولذلك بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ (سورة البقرة آية ١٢٩) .

وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة آل عمران آية ١٦٤).

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة الجمعة آية ٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾.

"هذا جاء على الأصل في تقديم العلم أولا ثم (العمل) به لأن العلم شرط في العمل، ولذلك قال: كل شيء يمكن حصوله للولي الجاهل إلا العلم، لأن العلم لا يحصل له إلا بالتعلم ..وقدم هنا وفي الحزب الذي يليه بعده «يُعَلِّمُهُمُ» «يُزَكِّيهِمْ»، وآخّره في سورة الجمعة.

كان الشيخ محمد بن عبد السلام يقول: إنه بحسب المجالس فحيث تقدم التعليم تكون تلك الآية نزلت عليه بمحضر الخواص ومن هو أهل للتعليم، فيكون التعليم أَهَمّ، وحيث تقدم التزكية تكون الآية نزلت عليه في موضع أكثره عوام، فتكون التزكية في حقهم أهمّ"(١).

(١) محمد بن محمد ابن عرفة، تفسير ابن عرفة ، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٨ م، جـ ٢ ، صـ ٩٥ .

مفهوم التربية في القرآن :

معني التربية:

أ) معنى التربية لغة :

من خلال التربية في القرآن الكريم يصبح الإنسان محتاجاً لأصول ومفاهيم هامة وضرورية وهي كما يلي :

الرب هو الله عز وجل ، وهو ربَّ كل شئ أي مالكه ،ولا يقال الرب في غير الله إلا بإضافة ، فقيل ربَّ كذا ، ويقال ربُّ هذا الشيء أي ملكه له.

الربُّ : يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر و المربي والقيم والمنعم ، وربت القوم سستهم أي كنت فوقهم ،والرب : المالك والسيد والمطاع ، والمصلح ، ربَّ الشيء :إذا أصلحه

وفي الحديث :لله نعمة تربها : أي تحفظها وتراعيها وتربيها كما يربي الرجل ولده.

وترباه على تحويل التضعيف : أحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولة كأنه ابنه أو لم يكن.

والسحاب يرب المطر أي يجمعه وينميه.

وأرب فلان بالمكان : إذا قام به فلم يبرحه .

وأربت الناقة بولدها : لزمته وأحبته .

والرباني العالم الراسخ في العلم والدين أو الذي يطلب بعلمه وجه الله وقيل العالم العامل المعلم .

والربيبة : الحاضنة قال ثعلب لأنها تصلح الشيء وتقوم به وتجمعه .

وربها : نماها وأتمها وأصلحها .

ويمكننا استخلاص معاني كلمة الرب أنها : تعني المالك ـ المدبر ـ السيد ـ القيم والمصلح ـ و إحسان القيام على الطفل ـ التنمية ـ الزيادة ـ الإتمام ـ الإصلاح [(١)].

وهذا يعني :

١- وجود مرب يسود ويسيطر على المرَبَّى.

٢- هذا المربي يهدف إلى إصلاح ورعاية وتنمية المرَبَّى والمحافظة عليه.

٣- تكون العملية بالملازمة ، والقيام وفق منهج صالح ، فهي رعاية المرَبَّى وتهذيبه وتوجيهه وتنمية قدراته وتدبيره والمحافظة عليه والقيام عليه وملازمته بهدف إصلاحه.

إن "عملية التربية، هي تنمية شخصية الإنسان على أن تتمثل كل هذه الجوانب، في انسجام وتكامل، تتوحد معه طاقات الإنسان، وتتضافر جهوده لتحقيق هدف واحد تتفرع عنه، وتعود إليه جميع الجهود والتصورات، وضروب السلوك، ونبضات الوجدان." [(٢)].

معني التزكية :

أ) معنى التزكية لغة :

" زكا : الزكاء ممدود النماء والريع زكا يزكو وزكواً وفي حديث علي رضي الله عنه: المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق .

والزكاة الصلاح ورجل تقي زكي أي زاكٍ من قوم أتقياء أزكياء ، وقد زكا زكاة وزكوا وزكي وتزكى وزكاه الله وزكى نفسه تزكية أي مدحها... وقال تزكي نفسها وزكى الرجل نفسه إذا وصفها و وأثنى عليها .

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت ،ص٦٤ .٦٥.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي ،أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص٢٩،ط٢٥.

والزكاة: زكاة المال معروفة وهي تطهير ، والفعل منه زكى يزكي تزكية إذا أدى عن ماله زكاته وقوله تعالى﴿ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ قالوا تطهرهم بها. قال أبوعلي الزكاة: صفوة الشيء...وفي التنزيل العزيز﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ قال هم الذين للزكاة مؤتون ، وقال آخرون الذين هم للعمل الصالح فاعلون ، وقوله تعالى ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ ﴾ أي خير منه عملاً صالحاً ،وقال الفراء زكاة صلاحاً وكذلك قوله تعالى عز وجل ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ ﴾ قال صلاحاً.

قال أبو زيد النحوي في قوله تعالى﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا ﴾ وقرئ (مَا زَكَىٰ مِنكُم)فمن قرأ (ما زكا) فمعناها ما صلح منكم ، ومن قرأ (ما زكى) فمعناه ما أصلح ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ ﴾ أي يصلح ، وقيل لما يخرج من المال للمساكين من حقوقهم زكاة لأنه تطهير للمال وتثمير وإصلاح ونماء . وأصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح. "(١).

" زكا الرجل إذا كان ذا فضل فهو زاكٍ وزكى يزكي زكا أو زكى الغلام كان زكياً أي حسن النمو صالح الحال ذا فضل رفيع الشأن.

والزكي هو الحسن النمو الصالح الرفيع الشأن النامي على الخير ، والأزكى هو الأنفع والأدعى إلى الخير والبركة " (٢).

١) الزيادة والبركة والنماء.　　　　٢)الصلاح والإصلاح.

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، مرجع السابق ،ج ٦،ص٦٤ ،٦٥.

(٢) حسن سعيد الكرماني ، الهادي إلى لغة العرب ، دار لبنان لطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١١هـ -١٩٩١م، ج٧،ص٣٧٠.

٣) التطهير .   ٤) التثمير

٥)التعديل وهو الثناء والمدح.   ٦) السمو والرفعة والفضل .

٧) صفوة الشيء: الصفوة خيار الشيء "خلاصته " [١].

معنى التزكية الاصطلاحي :

لقد بين الرسول ﷺ معنى تزكية النفس بقوله " أن يعلم أن الله تعالى معه حيث كان." كما جاء في الحديث عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرِمَةَ وَلَا الدَّرِنَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ؛فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهَا وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهَا، وَزَكَّى نَفْسَهُ "، فَقَالَ رَجُلٌ: وَمَا تَزْكِيَةُ النَّفْسِ؟ فَقَالَ: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ» [٢].

و"هي مداومة الإنسان الراغب في الخير عل تعهد نفسه بالترقية وتنزيهها و تنقيتها من المعاصي والرذائل والعيوب ومجاهدتها وحملها على طاعة الله عز وجل و اكتساب العلم النافع والعمل الصالح والتحلي بجميع الأخلاق والأفعال و الأقوال وإرادة الخير للنفس ولمن معها في وجودها " [٣].

كما أن " التزكية هي عملية تطهير وتنمية شاملين هدفها استبعاد العناصر الموهنة لإنسانية الإنسان ، وما ينتج عن هذا الوهن من فساد وتخلف وخسران وتنمية كاملة

---

(١) محمد مكرم بن منظور ،مرجع سابق، صـ٧ ، صـ٣٧٠.

(٢) سليمان أحمد الطبري ، المعجم الصغير ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.١٩٨٣م، جـ١،صـ٢٠١.

(٣) سمر محمد العريفي ، صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية ،جامعة الملك سعود، الرياض ،١٤٢٣هـ .٢٠٠٣ م،صـ ٧.

للعناصر المحققة لإنسانية الإنسان وما ينتج عن هذه التنمية من صلاح وتقدم وفلاح في حياة الأفراد والجماعات.

فالتزكية حسب هذا التعريف نوعان:

١) تزكية معنوية ميدانها العقيدة والقيم والثقافة.

٢) تزكية مادية مادتها النظم والتطبيقات" [١].

كما أنها" هي تطهير النفس وتربيتها وتزكيتها من الشرك وما يتفرع عنه، وتخلقها بأسماء الله الحسنى مع العبودية الكاملة وكل ذلك من خلال متابعة النبي ﷺ "[٢] .

كما أن "التزكية عملية ومنهج وأسلوب بناء الذات الحرة المختارة التي تحكمت في نفسها فيسهل عليها أن تحكم العالم وتقبل الآخر ، وتبني دون تهدم، وتدفع بالتي هي أحسن ،وينشد الحكمة ، وتخالف الهوى والشطط ، وتقاوم الظلم ،فهي في النهاية تحب لأخيها ما تحب لنفسها " [٣].

وتعرف بأنها " العلم الذي يتكفل بتزكية النفس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل النفسية والخلقية والدعوة إلى كمال الإيمان والحصول على درجة الإحسان والتخلق بأخلاق النبوة وإتباع الرسول ﷺ في صفاته الباطنة وكيفياته الإيمانية."[٤].

وتعرف بأنها " تطهيرها من أمراض وآفات وتحققها بمقامات وتخلقها بأسماء وصفات فالتزكية في النهاية تطهر وتحقق وتخلق"[٥].

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، بيروت ١٤١٦هـ . ١٩٩٥م ، ص١٤٢.

(٢) إبراهيم محمد العلى ،مرجع سابق ،ص٩ .

(٣) نشأت جعفر ، الحرية في الإسلام ، د.ن، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م، ص١٧٥.

(٤) أبو الحسن علي الندوي ، ربانية لا رهبانية ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م ، ص١٠.

(٥) سعيد حوى، المستخلص في تزكية الأنفس،دار السلام للطباعة والنشر،القاهرة، ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م،ص٣.

ومن خلال ماسبق فقد وردت هذه المادة في نحو تسعة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم دون عد (الزكاة) والتي ذكرت في نحو اثنان وثلاثون موضعاً ويلحظ المتدبر للآيات في المادة المذكورة ما يلي:

١) أن فعل التزكية يأتي مسندا إلى الله تارة وإلى العبد تارة وهذا إن تحصيل التزكية يحتاج إلى جد ومثابرة ،هذا من جهة ،ومن جهة أخرى يحتاج إلى مزيد لطف وعون وفضل منه سبحانه وتعالى فلا يعتمد على نفسه دون طلب العون من ربه .

٢) أن معظم الأفعال الواردة هي من باب الفعل المضارع دلاله على أن التزكية عملية قائمة بذاتها على صاحبها قلباً وقالباً وعملاً وسلوكاً وأنها عزيمة متجددة ومتكررة لا تتوقف تشمل الدنيا والآخرة.

٣) تشير الآيات إلى عمق هذا المصطلح ؛إذ له أهمية في صياغة الشخصية المسلمة"[(١)].

إذا فالتزكية هي إدراك حقيقة لا يعرف مداها إلا من عرفها معرفة تامة فهي عبارة عن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ ، والتصديق به عقداً ، والإقرار به نطقاً والانقياد محبة وخضوعاً ، والعمل به ظاهراً ، والقيام بالدعوة لما جاء به بحسب الإمكان والمحبة في الله ، والبغض فيه والعطاء في الله ، والمنع فيه ، وأن يكون الله وحده المعبود ، ومتابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً ، وتغميض عين القلب عن الالتفاف إلى سوى الله ورسوله .

"فالتزكية شيء زائد عن العلم ؛ إذ العلم يعطي القواعد والبيان لكل شيء ، فالتزكية تطبيق لهذا العلم على النفس البشرية وأمراضها وأغراضها ، ومعرفة التطبيب وطرقه

---

(١) إبراهيم محمد العلي، رياض الإنس في بيان أصول تزكية النفس، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥م ،،صـ٩ (بتصرف).

، ومعرفة بالكمال ، وكيفية النقل إليه وأدوات ذلك فراسة خاصة بكل نفس لنقلها من حال إلى حال ،وهذا شيء للكسب فيه نصيب ولكن عطاء الله هو الأساس."(١).

قال الله تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ (سورة البقرة آية ٢٦٩).

" ولولا الله ما زكى منهم أحد ، ولا تطهر ولا ارتفع ، ولكنه أرسل رسوله ﷺ ليطهرهم ، يطهر أرواحهم من لوثة الشرك ، ودنس الجاهلية ورجس التصورات التي تثقل الروح الإنسانية وتطهرها ، ويطهر هم من لوثة الشهوات ،والنزوات فلا ترتكس أرواحهم في الحمأة ، والذي لا يطهر الإسلام أرواحهم في جنبات الأرض كلها قديماً وحديثاً ، مرتكسون في مستنقع آسن وبيء من الشهوات ،والنزوات تزوي إنسانية الإنسان ،وترفع فوقه الحيوان المحكوم بالفطرة، وهي أنظف كثيراً مما يهبط إليه الناس بدون الإيمان ! و يطهر مجتمعهم من الربا والسحت والغش والسلب والنهب..وهي كلها دنس تلوث الأرواح والمشاعر، وتلطخ المجتمع والحياة ، ويطهر حياتهم من الظلم و الغي ، وينشر العدل النظيف الصريح الذي لم تستمع به البشرية كما استمعت به في ظل الإسلام ، وحكم الإسلام ومنهجه، ويطهرهم من سائر اللوثات التي تلطخ وجه الجاهلية في كل مكان من حولهم، وفي كل مجتمع لا يزكيه الإسلام بروحه ومنهجه النظيف " (٢).

لذا قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ (سورة النور آية ١٤).

---

(١) سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٢هـ. ١٩٩١م، جـ١، ص٣٢٢.٣٢٣.

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م، ط٩، جـ ١ ، ص١٣٨.

والله عندما أمر رسوله الكريم بأخذ صدقة من أموالهم لكي يطهرهم ويزكيهم، ويزكي أموالهم ، قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة التوبة آية ١٠٣)

" أي تطهرهم من الذنوب أوجب المال المؤدي بهم إلى مثله وقرئ تطهرهم من أطهر بمعنى طهرة وتطهرهم بالجزم جواباً للأمر ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ تنمي بها حسناتهم وترفعهم إلى منزلة المخلصين." [١].

فصاحب النفس المزكاة يظهر حسن الأدب والمعاملة مع الله قياماً بالحقوق التي أمره الله بها والنهي عما نهى عنه بما في ذلك بذل النفس جهاداً في سبيله ، ومع الناس على حسب ما يقتضي المقام ،وعلى التكليف الرباني.

والإسلام "جعل أساس التزكية التهذيب لا الكبت ، والإسلام يعترف بالطاقات الحيوية في الإنسان ، و لا يعطلها عن الممارسة ، ولا يلغيها ، ولكنه ينظم عملها بما يحقق الخير والإيجابية ، ويؤدي إلى إقامة المجتمع الصالح من غير عدوان من إنسان على حق إنسان.

وهو في ذلك يجمع ضرورات الجسد وأشواق الروح، ويعطي كلاً نصيبه المعقول، ويقيم للمزاوجة بين ذلك ضوابط وحدوداً " [٢].

فلم يأمر إلا بوسطية تحقق للإنسان ما يريد ليعيش كريماً عفيفاً مؤدياً لأوامر الله مشبعاً لرغبته الفطرية في ضوء كتاب الله وسنة نبيه المصطفى ﷺ .

---

(١) عبدالله بن عمر البيضاوي، تفسير البيضاوي ، دار الكتب ، بيروت ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م، جـ١، صـ٣٢٠.

(٢) أنور سيد الجندي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٢هـ -١٩٧٥م، صـ١٥٨.

" وتربية القرآن شاملة لا تعني مفهومها المألوف فهي لا تفتصر على المسجد أو المعهد، ولا تختص بالعبادة دون السلوك، أو تهتم بالفرد وتترك المجتمع، أو تعني بالعقيدة وتهمل العمل ، وإنما تشمل طل جوانب النفس ، وتعمل في كل ميادين الحياة "(١).

ومن هذا المنطلق فإن مفهوم التربية في القرآن يمكن تحديده في الآتي :

التربية بالقرآن هي : عملية توجيه الفرد وجهة تتحقق بها مشاركته على النحو الذي وضعه القرآن الكريم في جميع جوانب حياة الإنسان الروحية الايمانية (عقدية) والتعبدية و الفكرية (عقلية) والأخلاقية والنفسية والاجتماعية .

أسس التربية في القرآن :

التربية الإسلامية هي عملية تتعلق قبل كل شيء بتهيئة عقل الإنسان، وفكره وتصوراته عن الكون والحياة، وعن دوره وعلاقته بهذه الدنيا، وعلى أي وجه ينتفع بهذا الكون وبهذه الدنيا، وعن غاية هذه الحياة المؤقتة التي يحياها الإنسان، والهدف الذي يجب أن يوجه مساعيه إلى تحقيقه.

وتقوم التربية في القرآن على أسس مترابطة متكاملة متوازنة لا غلو فيها ولا تفريط، وقد قدم القرآن هذه الأفكار كلها في منظومة من التصورات مترابطة، متينة البنيان.

أولاً: التربية الروحية

من الأسس التي جاء بها القرآن التربية الروحية والتي تقوم على أسس ومبادئ وقيم لا غلو فيها و لا تفريط .

---

(١) محمد شديد، منهج القرآن في التربية، دار التوزيع والنشر الإسلامي ، القاهرة ، ١٣هـ - ١٩٨٩م، صـ٧.

وبهذا لا تؤدي إلى" عدم التعمق وهو التكلف والمغالاة بأخذ النفس بما لا تطيق والتشدد معها في غير موضع التشديد قولا أو فعلاً مما يولد رد الفعل متمثلاً في النفور من العبادة أو الفتور عليها. "(١).

فالقيام بالتربية الروحية من غير إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير مع مراعاة أمور الدين ثم طبيعة الإنسان ، لذلك حذر الإسلام التنطع في الدين . "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».''(٢).

والله راعى في القرآن الكريم في تشريعه حاجات الإنسان وطبيعة تكوينه التي خلقها ، وعمل على اشباعها بتوازن.

فالتربية الروحية تقوم على إقامة أركان الإيمان والإسلام ، وهذه الأركان" تستهدف تزكية النفس، وترقية الخلق ، وتطهير البدن ، وتسخير قواه وقدراته في الخير، وإشباع حاجاته ونوازعه بطرق الحلال "(٣).

والتربية الروحية تشمل معنيين ، المعنى الأول يتعلق بالإحساس بالدين وهي الناحية العقدية ، والمعنى الثاني يتعلق بظواهر الدين ،وجملة الظواهر من التعاليم والأوامر والنواهي ، والأفعال فتظهر آثاره العملية على الإنسان .

---

(١) أكرم ضياء العمري ، التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ، مركز الدراسات والإعلام دار أشبيليا ، الرياض ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م ، ص٧.

(٢) مسلم بن الحجاج النيسابوري ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج٤، ص٢٠٥٥.

[ش (هلك المتنطعون) أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم].

(٣) عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ،١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، ص٣١٣.

كما أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا حياة قوة صالحة بدون عقيدة يؤمن بها أو يتمسك بها في حياته ، ويتحلى بها على النحو الصحيح على أنها إيمان وعمل يرتبط كل منهما بالآخر ارتباطاً عضوياً، وما العمل إلا تجسيد للإيمان ، وانعكاس له على روح العمل وجوهره .

فالقرآن الكريم يربد للناس العيش في الحياة مزودين بما يحتاجونه إليه مسيطرين على نزعاتهم وأهوائهم ملائمين بين ما يريدون، فلم يدعو إلى الرهبانية والتقشف ، ولم يدعو إلى الترف والبذخ ، وإنما يدعو إلى العمل للدين والدنيا معاً. قال الله تعالى ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ (سورة القصص آية ٧٧) .

" وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم. المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة. ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة. بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً ، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها.....

وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان ، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة ، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة" [١].

وهذا من أعظم مزايا هذا الدين ومحاسنه ، أنه دين يدعو إلى التوازن والتكامل في كل شيء ، بغير إفراط ولا تفريط،ولا غلو ولا تقصير ، في أمر الدين أو الدنيا ، وهذا

(١) سيد قطب الشاربي ، في ظلال القرآن ،مرجع سابق ، ج ٥، ص ٢٧١١.

ما تقرره هذه القاعدة بوضوح وجلاء : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ فالتربية الروحية يقصد بها ترسيخ القوى الروحية لدى الإنسان ، وغرس الإيمان في النفس اشباعاً لنزعاتهم الفطرية للتدين تهذيباً لغرائزهم والسمو بنزعاتهم وتوجيه سلوكهم على أساس القيم الروحية والمثل الأخلاقية التي تستمد من الإيمان بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيرة وشره [١].

إن القرآن الكريم جعل مفهوم التربية الروحية مستمد من الإيمان والعمل ، والعقيدة والأخلاق ، والموازنة بين مطالب الدنيا والآخرة بلا إفراط ولا تفريط و لا غلو ولا تقصير ، لتكوين المؤمن الكامل دينياً وروحياً وعقلياً وخلقياً واجتماعياً وبدنياً فيفلح في حياته الدنيوية والأخروية .

فالتربية الروحية أساسها الإيمان والعقيدة ، ولا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة قويمة صالحة بدون عقيدة فهو بفطرته يستشعر حاجته الطبيعية للإيمان .

ثانياً : التربية العقلية :

القرآن الكريم يهتم بتربية العقل على أسس واضحة المعالم تتفق مع فطرته ، ولقد اهتم القرآن بالعقل وأحاطه بسياج من الرعاية والعناية الخاصتين لأنه " مناط التكاليف وعليه المعول في فهم الشريعة وتطبيقها ، وإذا ما اختل هذا العقل سقطت التكاليف عن صاحبه جملة ، فيفقد الخصائص الإنسانية "[٢].

---

(١) عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، مرجع سابق ، ص ٣٢٦.

(٢) عبدالرحمن راتب عميرة ، منهج القرآن في تربية الرجال، شركة عكاظ للنشر والتوزيع ،جدة ،١٤٠١هـ.١٩٨١م ، ص٢٧.

خاطب القرآن العقل في أول نزول له بقول الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ (٢) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (٣) ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ (٥)﴾ (سورة العلق آية ١-٥)

فهذه الآيات القرآنية جاءت كتربية للعقل لتعريفه أن القراءة تعلية له وتنميته له وصقل له بالقراءة والكتابة والتعليم والتعلم .

فالقرآن يخاطب العقل بما يتناسب مع مدركاته في جميع جوانب التربية العقلية ، ومن خلال التصورات عن الألوهية ،والتصورات عن سنن الكون ، وتصوراته عن الخلق والحياة؟؟!! .

والقرآن يحترم الطاقات البشرية كلها فهي هبة الله المنعم الوهاب، ولكنه يعطيها أقدارها الصحيحة، لا يبخسها قدرها، ولا يعطيها فوق قيمتها.ويستغلها جميعا إلى أقصى طاقتها لفائدة المخلوق البشري وصلاح حاله على الأرض. ومن ثم فهو يحترم الطاقة العقلية ويشجعها ، ويربيها لتتجه في طريق الخير ، ويمزجها مع الروح .

يقول محمد قطب" ومن ثم فهو يحترم الطاقة العقلية ويشجعها ، ويربيها لتتجه في طريق الخير .

ولكي يصل إلى ذلك يمزجها بمزيج الروح ويستنبتها ... في "تربة " الروح الأريجة المشعة ، لتستمد من أريجها العذب وإشعاعها الطليق . "[1].

فمن التكامل والتوازن الذي جاء به القرآن الكريم لم يتعامل مع العقل لوحده بل مزجه بالروح وتعامل في آن واحد .

---

(١) محمد قطب الشاربي ، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م،جـ١،ص ٧٧.

ومع اندماجه بالروح يتحرر العقل من سيطرة النفس وغرائزها وبذلك ينجو من التخبط في الظلام ، وعدم الوصول إلى الحقيقة .

لذا " إذا لم يتحرر العقل من سيطرة النفس وغرائزها وبقي يتخبط في دياجر الظلام أو أوحال الشرك والضلال فإنه لا يستطيع الوصول إلى الحقيقة بسبب تلك العوائق التي بينه وبين الوصول إليها " [١].

فالقرآن الكريم يربي العقل على تفتح الذهن " وقدح التفكير ،وتوسيع المدارك ، وتنمية العقول ، وإشباع حبها للإطلاع والمعرفة ، والإجابة على التساؤلات واستفساراتها بالمنطق والعلم ، والاقتناع ، وتحفيزها على الاجتهاد والابتكار "[٢] .

إن القرآن ينظر إلى الإنسان نظرة متكاملة بجميع جوانبه الشخصية فيهتم بها لخلق توازن وانسجام بينها في جميع الجوانب .

ثالثاً : التربية الجسمية

اهتم القرآن الكريم بالتربية الجسمية والعناية بها حتى يتمكن الإنسان من القيام بأداء المهمة والرسالة التي أمر الله بها المتمثلة في عبادة الله ، والامتثال لأوامره ، والقيام بفرائضه التي افترضها الله في هذه الحياة الدنيا، ويضاف إلى القيام بمهمة الاستخلاف.

يسعى القرآن الكريم إلى تكوين الجسم القوي؛ إذ المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف [٣].

---

(١) فيصل بعلبكي ، العقل والإيمان في نظر القرآن ، دار الندوة الإسلامية للطباعة النشر ، بيروت ،١٤١٢هـ.١٩٩١م ،ص ٩.

(٢)محمد قطب الشاربي ، منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م، ج ١، ص ٧٧.

(٣) عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، مرجع سابق ، ص ٤٤٨.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١).

لا بد من جسم قوي قادر على الحركة، قادر على القيام بأعبائه الدينية والدنيوية، الإسلام فرض فروضاً، وألزم بواجبات، بعضها شعائري عبادي، وبعضها اجتماعي، وبعضها اقتصادي، هذه الأعباء لا يستطيع أن يؤديها المريض والضعيف كما ينبغي، وكما ينشد الإسلام، إنها تحتاج إلى جسم قوي.

التربية الجسمية هي" العناية بالجانب الجسمي تعني الوصول بالإنسان إلى قدر معقول من الصحة الجسمية العامة ، ومعرفة الأُسس العامة للصحة والوقاية من الأمراض "(٢).

ولهذا فإن التربية في القرآن تُعنى بهذا الجسم من الناحية الصحية ، ثم من ناحية الجمال والزينة ، هذه النواحي يريد الإسلام أن تتوفر في جسم الإنسان المسلم.

١) الناحية الصحية

ينبغي أن يحرص المسلم على أن يكون صحيح الجسم، وينبغي أن يحرص الأب على أن يكون ابنه صحيح الجسم، وأن تحرص الأم كذلك، وأن تحرص المدرسة كذلك، وأن تحرص الدولة كذلك على صحة أفرادها، وقايةً وعلاجاً ، والوقاية أولاً، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج.

---

(١) مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق ، ج ٤، ص ٢٠٥

(٢) إبراهيم عصمت مطاوع ، أصول التربية ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص ٦٤.

ومن هنا حرص الإسلام على النظافة، على الطهارة التي هي أول باب يدرسه المسلم في فقه الإسلام، باب الطهارة، النظافة من الأحداث والأخباث، ومن هنا كان الغسل، وكان الوضوء، وكان تطهير الثوب والبدن والمكان شرطا لصحة الصلاة، فلا يقبل الله صلاة بغير طهارة.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآَنِ – أَوْ تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»(١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَقٌّ، أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا»(٣).

الإسلام يحرص على النظافة، نظافة البدن كله، ونظافة أجزاء معينة من البدن، نظافة الأسنان ونظافة الشعر، نظافة الأطراف، نظافة البدن كله، ونظافة البيت، ونظافة الطريق، ليكون المسلم نظيفاً في ظاهره وباطنه.

جاء الإسلام ليوفر للإنسان الصحة في بدنه بالوقاية، حتى إن كل شيء إن أكله الإنسان يعلم أنه يُضَرّ به ينبغي أن يمتنع عنه، ولذلك ينبغي أن يمتثل للتوجيهات

---

(١) مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق ، جـ ١، ص ٢٠١ .

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، مرجع سابق ، جـ ٢، ص٣.

(٣) المرجع السابق ، جـ ٢، ص٥.

الصحية والتعليمات الطبية، التي تقول إياك والطعام الفلاني، أو: الأطعمة الفلانية فاسدة، ينبغي أن يطيع ذلك، وهذه الطاعة واجبة دينًا وشرعًا، لأنه لا يجوز للإنسان أن يتصرف تصرفًا يضر به نفسه.

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (سورة البقرة آية ١٩٥)

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة النساء آية ٢٩)

فالقرآن الكريم يربي الإنسان على أكل الحلال وتحريم الخبائث ؛لذا أحلّ لنا الطيّبات وحرّم علينا الخبائث. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الأعراف آية ١٥٧).

٢) التجمل والتزيّن

ثم هناك عنصر في التربية الجسمية، هذا العنصر هو: التجمل والزينة، ربما يظن الناس أن القرآن لا يريد الإنسان الذي يكون حسن المظهر حسن الثياب جميل الهندام

طيب الرائحة ، هذه هي التربية الجسمية التي يريدها القرآن، يريد القرآن أناساً في أجسامهم أقوياء أصحاء سالمين، هذا هو الذي ينشده القرآن ، وما تسعى إليه التربية بالقرآن ، وما ينبغي أن نحرص عليه في تربيتنا لأنفسنا من الناحية الصحية والجسمية.

والإنسان المنصف لنفسه ولجسده يتبع حالة الوسطية ، والاعتدال في كبح جماح هذه الشهوات ، ولنتأمل قول الله الحق سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ (سورة البقرة : آية ١٦٨)

" فإنما أذن للناس أن يأكلوا مما في الأرض بشرطين أن يكون طيباً ، وأن يكون حلالاً "(١).

فالطيبات التي أحلها وأباحها المطاعم النافعة للعقول والأخلاق والخبائث هي الضارة للعقول كالخمر أو الخبائث لأنها تفسد العقول والأخلاق.

لذا خاطب الله سبحانه وتعالى الناس ، ودعاهم لأن يأكلوا مما في الأرض ، ويدعوهم إلى أكل الحلال لا لشيء إلا لمصلحتهم " وحين يأمر الحق سبحانه وتعالى المؤمنين أن يأكلوا من طيبات مما رزقهم الله فإن حكمة ذلك أن يكون المؤمنون قدوة لغيرهم. "(٢).

---

(١) أحمد عبد الحليم بن تيمية ، الإيمان ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، ص٤٢.

(٢) محمد متولي الشعراوي ،منهاج الصالحين ، دار العصرية ،بيروت ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م ، ص٢٣٢.

وبالحلال يربي الإنسان نفسه ، وهو سبب لحماية الدين والعرض ، فالدعوة لأكل الحلال ، هي صيانة للإنسان من الشيء الضار ، وسبب لحماية الدين و العرض " أي البراءة من النقص في الدين وعرضة من الطعن فيه " [١].

عَنْ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ"[٢].

إن هذا الحديث عظيم الموقع كثير الفوائد[٣]، "وهو أحد الأحاديث الأربعة التي عليها مدار الإسلام وثانيهما هو حديث"إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ"[٤] وثالثهما حديث " إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ" [٥]ورابعهاحديث " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ "[٦].

---

(١) أحمد علي بن حجر العسقلاني،فتح الباري شرح صحيح البخاري،المكتبة السلفية،القاهرة،١٤٠٧هـ.١٩٩٧م،جـ١، صـ١٥٥.

(٢) محمد إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ، جـ١،صـ٢٠.

(٣) يوسف المرعشلي، تزكية النفس،دار المعرفة،بيروت،١٤٢٤هـ.٢٠٠٣م.، صـ١١١.

(٤) محمد إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، جـ١،صـ٦.

(٥) أحمد بن محمد بن حنبل ،مسند الإمام أحمد بن حنبل ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، د عبد الله بن عبد المحسن التركي،مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، جـ٣،صـ٢٥٩.

(٦) محمد إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ، جـ١،صـ١٣.

فالحاجة اليوم إلى تعلم الحلال لنلتزمه ، والحرام لنجتنبه حتى تتربى الأنفس ، وتصل إلى مرتبة عند الله سبحانه وتعالى ، وبذلك يتربى الجسم .

فالذي تربت نفسه أخذ كل أمر صادر من عند الله ، وهو متيقن أن الله سبحانه وتعالى لا يأمره إلا بشيء نافع له ، والضار الذي نهى عنه ضار ،وإن كانت فيه منفعة.

وبعض الناس تأكل أكثر مما تحتاج في أوقات لا يحس بالجوع ، وقد يأكل ويشرب ما يضره ، و قد ينكح لا لبقاء النوع واستمرارية الذرية، ويكون ذلك بوسائل وأشكال تتسبب في تدمير النوع ، وعقم منابعه أي أنه قد ينزل إلى مستوى السلوك الحيواني ، وينطبق عليه الوصف الإلهي. قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾(سورة الأعراف آية١٧٩)

لذلك احتاج الجسم الإنساني إلى تنظيم حاجاته ، وتربية جسمه بغية تحقيق هدفين اثنين :

" الأول: إباحة كل ما أحله الله للإنسان ، والذي أحله الله هو الطيب النافع الذي يتفق مع قوانين الخلق ، ويوفر النمو والعافية للجسم ، ويوفر للنوع البشري الاستمرار ، ويمكِّن الإنسان من القيام بوظائفه التي خُلق من أجلها .

الثاني : – منع كل ما حرمه الله على الإنسان ، والذي حرمه الله هو الخبيث الضار الذي يصطدم بقوانين الخلق ، ويهدد نمو الجسم وعافيته ويتسبب بالأخطار التي تهدد بقاء النوع البشري ، ويفقد الإنسان عن القيام بمسؤولياته "(١).

(١) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤١٦هـ –١٩٩٥م، ص١٥٢،ط٢.

قال الله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة المائدة آية ٤)

قال الله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(سورة الأعراف آية ١٥٧)

والإسلام يراعي الإنسان في المشاق حيث تختلف هذه" المشاق بالقوة والضعف، وبحسب الأحوال ، وقوة العزائم وضعفها ، وبحسب الأزمان والأعمال ، وقد ترك الشارع كل مكلف على ما يجد ، كما ترك كثيراً موكولاً إلى الاجتهاد كالمرض فكثير من الناس يقوى في مرضه على مالا يقوى عليه الآخر" [(١)].

وعندما نظر العلماء في النصوص المخففة من أجل المرض والسفر ، وحالات الإكراه ،والاضطرار كانت لهم نظرات متعددة عند تغير الحكم الشرعي من وضعه الأصلي إلى ما هو من أجل العذر ، فبعضهم نظر إلى إعمال الدليل المحرم ، وقيام الحرمة أو عدمها ، وانبنى على ذلك تقسيمات للرخصة إلى حقيقة ومجازية .

---

(١) إبراهيم موسى الشاطبي ، الموافقات، دار الفكر، بيروت، د.ت ، جـ١، صـ٢١٣-٢١٥.

والإنسان المسلم الذي تزكت نفسه عليه أن يستجيب لأمر الله ورسوله ﷺ في قبول الرخص التي رخص بها حتى يؤدي العبادات التي فرضت عليها .

قال الله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة البقرة آية ١٨٥)

وقال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾(سورة النساء آية ٢٨)

فالمراد عموم التخفيف ، وأخذ الرخصة كما جاءت الشريعة به .

عَنْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً» [(١)].

إن إتباع اليسر والسهولة ، والأخذ برخص الله هو منهج الحبيب المصطفى ﷺ ، فهو أعلم الناس بما أنزل ، وأشدهم خشية له .

---

(١) أحمد على العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري،المكتبة السلفية،القاهرة،١٤٠٧هـ ـ١٩٩٧م، جـ١٠، صـ٥١٣.

والرسول ﷺ أعلمهم " وإن كان الله قد غفر له لكنه مع ذلك أخشى الناس لله ، وأتقاهم فما فعله من عزيمة أو رخصة فهو غاية التقوى والخشية. "(١).

لذا فالتقوى والخشية من صفات الذين تزكت أنفسهم ،ورسول الله ﷺ زكاه ربه فلا بد من متابعته ﷺ .

ولقد راعى القرآن حاجة الجسم إلى الترويح لإعطاء الجسم قسطاً من الراحة، وعدم قضاء الوقت كله في الصرامة والتوتر " والمقياس في براءة الترويح هو أن لا يتعدى اللهو، والترويح سرور اللاهي ليلحق الأذى والألم بالآخرين والمخلوقات الأخرى" (٢).

والترويح واللهو المباح الذي يمارسه الإنسان المسلم لأحد سببن:

الأول : الاقتداء برسول الله ﷺ .

ثانياً: تحقيق فوائد لا تتم إلا به.

وتتم ممارسة اللهو في ظل الضوابط الشرعية التي تكفل له الانضباط بالشريعة الإسلامية حتى تتربي النفس، ويكون هذا الترويح واللهو المباح.

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ وَجَابِرَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَنْصَارِيَّيْنِ يَرْمِيَانِ قَالَ: «فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَجَلَسَ» فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: «أَكَسِلْتَ؟» قَالَ: «نَعَمْ» فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ فَهُوَ لَعِبٌ، إِلَّا يَكُونُ أَرْبَعَةٌ: مُلَاعَبَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَتَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وَمَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ ، وَتَعَلُّمُ الرَّجُلِ السَّبَّاحَةَ "(٣).

---

(١) المرجع السابق ، ج١٣، ص٢٧٩.

(٢) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص١٥٣.

(٣) نور الدين الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت، ج٥، ص٢٦٩.

" ففي الحديث نص على أن هذه الألوان من الترويح محمودة ، ،إنها من ذكر الله، وما ذلك إلا لأنه تحقق أهدافاً كبرى : كالاستعداد للجهاد بتقوية الجسم ، وإعداد النفس ، وتعويد الإنسان على نبذ الكسل " [(١)].

والقرآن راعى الطبيعة الإنسانية " وجعل لهذا المخلوق المكلف الضعيف فسحة في الأمر.

قال الله تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (سورة البقرة آية ١٨٥) ...الأسمى الذي يكدح الإنسان من أجله "[(٢)].

فأباح الله سبحانه وتعالى للإنسان بعد الجد والكدح ، وأن يأخذ شيئاً من الراحة والاستجمام يريض به جسمه ، ويعيد بها نشاطه ، ويحي بها نفسه ، ويعيد إليها تجددها، ويرح عقله ، ويعيد له صفاءه وتوقده .

والإسلام يحث النظر إلى الكون المليء بآيات الجمال ، وعلى الإنسان أن يفكر دائماً في سر الإبداع في نفسه وفيما حوله ، ويشد الأذهان إلى الجمال ، والقرآن يحوي منهجاً تربوياً متكاملاً يتضمن هذه الناحية الجمالية .

والقرآن الكريم يلقي الضوء على الانعكاسات التربوية ، والتي لها دور في تحقيق الأهداف ، ومنها الزينة ، والتي لا غنى للإنسان عنها حتى لقد أمر الله بها "ولكن التوسط و الاعتدال حتى لا تكون سبيلاً إلى الفتنة والفساد"[(٣)].

---

(١) محمد بن أبي بكر بن القيم ، الفروسية ، دار التراث، المدينة المنورة ، ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م ، صـ٤٣.

(٢) خالد فهد العودة، الترويح التربوي،دار مسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٤هـ.١٩٩٤م ، صـ٣٣.

(٣) أحمد فؤاد الأهواني ، القيم الروحية في الإسلام ، من سلسلة دراسات في الإسلام ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ،القاهرة ، ١٣٨٢هـ. ١٩٦٢م، صـ١١٨.

وجعل لهذه الفسحة ما يضبطها من قواعد حتى لا يخرج عن الإطار الذي حدد لها، وحتى لا تفسد الهدف ، وحتى تتربى النفس بهذا التوسط والاعتدال ، والإسلام يحل الزينة ،ويزجر من يحرمها ، ويصف الله الجمال ويعده" من آيات قدرته وسوابغ نعمه على عباده" (١).

حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة الكهف آية ٤٦)

"والزينة والعبادة تتفقان ولا تفترقان بل تجب الزينة في محراب العبادة "(٢).

حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (سورة الأعراف آية ٣١)

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (سورة القصص آية ٦٠)

ولكي يدخل الإنسان في هذه التوجيهات الجمالية لابد من التنفير من القذارة والرثاثة و شعث الهيئة واصطناع الزهد والخشوع في الأشكال دون الأصول ؛ إذ "ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطأطئ الرأس ولكن الخشوع أن ترى الشريف والدنيء في الحق سواء ، وتخشع لله في كل فرض افترض عليك " (٣).

---

(١) عبد الجواد سيد بكر ، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م،ص٢٤٤.

(٢) عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م،ص٦٨.

(٣) محمد أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت،١٤٢٢هـ ٢٠٠١م ، ج١، ص٢٦١.

فهذا المظهر الخارجي في الخشوع ليس المطلوب ، ولكن الذي تتزكى بها النفس هو الخشوع لله ،وإعطاء الحق الواجب عليك .

فالمظهر الجمالي يكون بجمال الثياب والملبس دون التكبر والتعالي على الناس والتشبه بمن لا يليق لنا أن نتشبه بهم .كما قال تعالى﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ (سورة القصص آية ٧٩).

تربية القدرات الإرادية : هي الدوافع والانفعالات

الإرادة هي القوة الثانية للقلب وهي الدوافع.

" الدوافع هي القوى المحركة التي تبعث النشاط في الكائن الحي ، وتبدئ السلوك، وتوجهه نحو الهدف أو أهداف معينة "(١).

"وتعرف بأنها قوة المشيئة والاختيار "(٢).

وتصنف الدوافع أو الإرادة إلى قسمين رئيسين :

١) الدوافع الفطرية أو الانفعالات الفطرية (الأولية): وهي التي تهمنا في هذه الدراسة.

٢) الدوافع المكتسبة

الدوافع الفطرية :

"هي تلك الدوافع التي لم يكتسبها الفرد من بيئته عن طريق الخبرة والمران والتعلم، إنما هي عبارة عن استعداد يولد الفرد مزوداً به، لهذا فهي تسمى بالدوافع الفطرية"(٣).

---

(١) محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، مرجع سابق ، ص٢٧.

(٢) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق،ص١٤٢.

(٣) مصطفى فهمي ، في علم النفس ، دار الثقافة ، القاهرة ، د.ت ، ص٤٥.

وتزبى هذه الدوافع الفطرية إذا نظمت نحو أهدافها التي خلقت من أجلها ، وهذه تساعد على التوافق من أجل حفظ الذات ، وبقاء النوع.

وتنقسم الدوافع الفطرية إلى ما يلي :

أولا : الانفعال أو دوافع الغضب:

إن انفعال الغضب له جانبان أحدهما إيجابي والآخر سلبي . فالغضب حينما يتعدى أي فرد على حد من حدود الله محمود من قبل الله ،و به يتربى الإنسان لأن فيه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر .

أما الغضب السلبي فهو غضب من أجل إشباع شهوة ، وملذات النفس البشرية التي تولد في القلب الحقد والغل والحسد وإضمار السوء والشماتة إلى غير ذلك من ألوان السلوك اللاسوي لذا فهذا نوع مذموم وغير مقبول(١).

ومن الغضب المذموم حينما تضعف النفس والذي يـ" سمى وهن ،ويكون نتيجة الهوان والاستضعاف ؛إذ فيه الهلاك والضرر بالجسد البشري والنوع الإنساني"(٢).

وبهذا النوع من الغضب لا تتربى النفس لأنها تبعت الشهوات.

وأما الذي يكون فيه تربية النفس هو الجانب الإيجابي الذي لحدود الله ، والذي فيه الانفعال ،وليس فيه حسد ولا غل ولا هوان ، وبذلك لا يفقد الإنسان تربيته لنفسه ، فالغضب المحمود " ينتظر إشارة الدين والعقل فينبعث حيث تجب الحمية ،

---

(١) محمد محمود محمد ، علم المعاصر في ضوء الإسلام ، دار الشروق ، جدة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص١٧٩.

(٢) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص١٤٣.

وينطفئ حين يحسن الحلم ، وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده ، وهو الوسط الذي وصفه رسول الله ﷺ"(١).

فالوسطية في الغضب لله سبحانه وتعالى وهذا يعتبر شجاعة ، " ولكي يتم علاج الغضب في التربية الإسلامية بما يلي :

١) ذكر الله سبحانه وتعالى .

٢) قراءة القرآن الكريم ؛ إذ يبعث الطمأنينة في النفس .

٣) الانصراف للعبادة كأداء صلاة نافلة .

٤) إجراءات تصحيح موقف الخطأ: . عن طريق التحكيم والمصالحة أو إزالة الضرر"(٢).

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (سورة فصلت آية٣٤)

ثانياً : الانفعال ودوافع الخوف

الخوف له جانبان إيجابي من ذلك الخوف من الله سبحانه وتعالى ، وسلبي مثل الهلع والجبن وهو إفراط؛إذ "الخوف هو إحساس نفسي بالضيق مصحوب في أغلب الأحيان بتغيرات أداء وظيفية معظم أداء أعضاء الجسم. "(٣).

ولقد وصف القرآن الكريم الخوف بقوله تعالى ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ

---

(١) محمد محروس الشناوي، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي ، دار غريب ، القاهرة ، ١٤٢١هـ ،-٢٠٠١م، ص٣٤٥.

(٢) المرجع السابق ، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٣) عدنان الشريف ، من علم النفس القرآني ، دار العلم للملايين ،بيروت ، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م ، ص٦٣.

سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ (سورة الأحزاب آية ١٩)

فالخوف حينما يشتط الإنسان يصيبه جبن وهلع وهذا إفراط ، وحينما يضعف أو يتوقف يسمى تهور وهذه الحالتين تلحق بالإنسان الضرر والخوف ، والخوف فضيلة كما قال الله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (سورة الرحمن آية٤٦)

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (سورة النازعات آية٤٠-٤١)

فالله يكافئ العبد الذي يخاف قيامة بين يديه للحساب بالجنة ونعيمها ، لذلك جعل الورع والتقوى خصوصاً للخائفين من حساب الله يوم القيامة . لقوله تعالى ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ (سورة الأعلى آية١٠-١٧)

وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(سورة الأنفال آية٢)

وقال تعالى﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(سورة السجدة آية ١٥ -١٧)

فالخوف من الله يؤدي إلى تربية النفس ؛ إذ يجنبه ارتكاب المعاصي فيقيه غضب الله ، ويحثه على أداء العبادات، والقيام بالأعمال الصالحة ابتغاء مرضات الله كما " يؤدي إلى تحقيق الأمن النفسي؛ إذ يغمر المؤمن شعور الرجاء في عفو الله تعالى ورضوانه. "(١).

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (سورة فصلت آية ٣٠)

فالإنسان المسلم الذي تربت نفسه يحقق صفة الوسطية ، فيلتزم الخوف ويكون صادقاً في قوله وعمله ومعاملاته مما يغرز في حياة الأفراد والجماعات كمنهج حياة ، وهذا المنهج هو الاستقامة على الصراط المستقيم ، وأما الذين لم تتربى نفسه فيصيبه الطغيان والضعف ، وكلاهما يؤديان إلى عدم طاعة الله سبحانه وتعالى ، والخروج من كل أوامره وإتباع نواهيه.

" عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ شَيْبَانَ يَقُولُ: " الْخَوْفُ إِذَا سَكَنَ الْقَلْبُ أَحْرَقَ مَوْضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهُ، وَطَرَدَ رَغْبَةَ الدُّنْيَا عنه، وَأَسْكَتَ اللِّسَانَ عَنْ ذِكْرِ الدُّنْيَا "(٢).

---

(١) محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م، ص٧٩.

(٢) أحمد الحسين البيهقي، شعب الإيمان،حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٣م، جـ ٢، ص٢٦٨.

والله سبحانه وتعالى جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة ، وكذلك الرجاء ، ومن علم أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾(سورة المؤمنون آية ٥٧- ٦١)

" فالقلب أي القدرة الإرادية في سيرها إلى الله عزوجل بمنزلة الطائر فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه ،وقيل أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف ، وغلبة الحب فالمحبة هي المركب ، والرجاء حاد ينشد ، والخوف سائق ، والله الموصل بمنه وكرمه"[(١)].

التعصب:-

التعصب من الدوافع و الانفعالات" وهو يقوم على اعتقاد المتعصب أن قبض على الحقيقة النهائية التي تدفع به إلى وجوب الالتزام الكامل برأيه أو مذهب أو جماعة أو قبيلة أو فترة تاريخية معينة مما يجمع عادة بيت الفضيلة والرذيلة والحسن والقبح والخطأ والصواب"[(٢)].

وحتى تتربى النفس لابد لها من البعد عن التعصب ، وإحقاق الحق وعدم الانحياز لأي من التعصبات التي تؤدي إلى عدم تربية النفس .

أنواع التعصب: -

١) التعصب لمذهب ٢) التعصب للانتماء إلى البلد والقبيلة والقومية.

---

(١) محمد بن أبي بكر بن القيم،مدارج السالكين،دار الكتاب العربي،بيروت،١٤٢١هـ٢٠٠٣م،جـ١،صـ٥١٣.

(٢) عبد الكريم محمد بكار ، فصول في التفكير الموضوعي ، دار القلم ،دمشق ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، صـ١٨٦.

٣) التعصب للرأي وهو المهم في البحث .

فالتعصب من الأمور التي قام الإسلام بإبعاد الناس عنه ، وهو غير مرغوب فيه؛ إذ يؤدي إلى التفرقة بين الناس ، والبعد عن إحقاق الحق ، والإسلام يدعو التمسك بالدين هو الواجب على المسلم أن يتمسك به .

ولقد صور القرآن هذه العصبية العمياء .قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (سورة غافر آية ٤٧-٤٨)

ومن هنا حمل القرآن الأتباع تبعة ضلالهم ، فقد منحهم الله القدرات والآلات ما يمكنهم من إتباع الهدى ، فعطلوا ذلك ، وساروا في ركاب المضلين .

" ويكون التعصب فيما يقبل النظر والتأمل ، فالتعصب ضرب من ضروب الأنانية ولا يكون مبني على أساس"(١).

فالعقيدة مظهر من مظاهر الحياة الحرة الكريمة للأفراد فهو حق من حق الأفراد ، والتمسك بها من دلائل الخير في الفرد ودلالة على تزكية النفس ، "ذلك لأن العقيدة إن كانت دينية فهي اضبط المقاييس لأهواء الفرد ونزعاته، و أقوى الروادع بين الجماهير والجماعات ، وإن كانت فكرية فهي دليل الوعي ، والوعي دليل الشخصية الحسية التي تعقل وتفكر"(٢).

---

(١) المرجع السابق ، صـ١٨٦.

(٢) مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية،المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م،صـ١٤٢.

فليس عيباً أن يتمسك الإنسان بدينه ، ويعمل بعقيدته، بل العيب أن يعتنق ديناً فلا يعمل به ، ولا يخضع لنظمه ، ولا يضحي بأهوائه احتراماً لدينه ولقيمه.

ومن هنا نلمس سر عظمة التمسك بدين الله من أبي بكر رضي الله حين وقف ذلك الموقف الحازم الشديد حينما " ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ، ومنعوا الزكاة ، فنهض أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقتالهم فأشار عليه عمر رضي الله عنه وغيره أن يفتر عن قتالهم ، فقال : والله لو منعوني عقالاً أو عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها "(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ "، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ»(٢).

هذا هو حقيقة التعصب (التمسك) الكريم للعقيدة والدين ، وتلك حدودها وآثارها .

أما التعصب الذميم فهو أن تضطهد مخالفيك في العقيدة ، وتمتد عليهم ، وتسيء معاملتهم ، و تسلب أموالهم ، وتهين كرامتهم ، كما يفعل الجهلاء من أصحاب العقائد

---

(١) محمد أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء ، دار الفكر، بيروت ،١٤١٧هـ. ١٩٩٧م،ج٢، ص٤٩٢، ط٨.

(٢) محمد إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ، ج٩،ص٩٣.

والديانات ، فهذا سبيل الشقاء والخراب في حياة الأفراد ، ودلالة على عدم تربية النفس وتزكيتها، وهذا ما نهى عنه كل دين حق .

تربية السمع والبصر :ـ

والسمع والبصر أدوات تتلقي العلم والمعرفة ثم ترسلها إلى القوى العقلية لتقوم بفهمها ووعيها ؛ إذ أن هذه الأدوات إذا كان يحسن استعمالها الاستعمال الذي خلقها الله من أجله ، فالقرآن الكريم يوجه إلى استخدام هذه الأدوات ويوضح المسؤولية التي عليها . قال الله تعالى ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾** ﴾ (سورة الإسراء آية ٣٦).

والقرآن يربي الإنسان المسلم على أن يستخدم حواسه في الخير الذي خلقت من أجله ليكشف عن الحق والحقيقة ، ولا يستخدمها فيما تسول له نفسه " فالهوى والضلال والرغبات المنحرفة جعلت من العيون لا تبصر،والأذن لا تميز بين الخير والشر فسقطت في غفلة لا تنتج معرفة يعتد بها "[(١)].

قال الله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾** ﴾ (سورة الأعراف آية ١٧٩)

فتربية السمع والبصر من كل المرئيات والمسموعات الفاحشة أو الخبيثة أو الضارة، والتي يؤول إليها إفراز عناصر بشرية . وصفها القرآن الكريم ﴿ **صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾** ﴾(سورة البقرة آية ١٨).

---

(١)أحمد الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء ،دار الفرقان ، عمان ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص٣٥٧.

لذا فهم "صم عن سماع الخير ، وبكم عن النطق به ،و عمي عن رؤية الحق ،فهم لا يرجعون لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه ، فلا يرجعون إليه"[1].

ومن خلال صممهم فتراهم لا يستفيدون مما يسمعون ولا يقبلونه ، وهم بكم فاقدون للقدرة عن البيان والتعبير عنه ، وهم عمي لأنهم مشتتو البصر لا يستفيدون مما يبصرون ، وهم فاقدون البصر عن النظر الموصل للعبرة التي تؤديهم إلى الهدى ، وفاقدون للبصيرة .

لذلك من أراد أن يربي بصره فليلتزم ما أمره الله به . قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)﴾(سورة النور آية ٣٠)

الإنسان يولد مزوداً بدوافع كثيرة منها دافع الطعام والشراب ، دافع التملك ، دافع الخلود ، دافع النكاح ، وتطلق عليها شهوة الطعام والشراب " والحكمة من شهوة الطعام والشراب الحفاظ على الجسد ، والحكمة من شهوة النكاح المحافظة على النوع البشري"[2].

فالإنسان إذا اتبع شهواته ، وطغت عليه أصبح في حالة سرف وإفراط وطغيان، أما إذا قتر وفرط فيها ، ورغب عنها أصبح في حالة ضعف وخور ، وهذه الحالتين تعرض الجسد إلى خطر لضياعه ،وبسبب الشهوة وعدم الرغبة في النكاح ينقطع الجنس البشري .

---

(١) عبد الرحمن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٣هـ.٢٠٠٢م، صـ٤٤.

(٢) ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، صـ١٥١.

النتائج :-

١) أكد القرآن على تربية النفس ، وبيان الفلاح بهذه التربية وهي ضرورية لأفراد المجتمع إذ بها تصلح الحياة ،ويعيش الأفراد في المجتمع متاع حسن في الدنيا و سعادة في الآخرة .

٢) ورد مصطلح التربية في القرآن وهي جزء من رسالة المصطفى ﷺ حث عليها الإسلام بغية ارتقاء الإنسان إلى أهل الله وطاعته .

٣) تزكية النفس مصطلح يشمل التربية الذاتية والتربية المستمرة ليحقق ما يرجوه الإنسان من متاع حسن في الحياة الدنيا، وسعادة الآخرة.

التوصيات :.

١) أن تكون تربية النفس أحد أهم الأهداف التربوية والتعليمية ، وغايتها العليا التي يتوخى تحقيقها في العملية التربوية من خلال عناصرها التي جاءت في القرآن الكريم .

٢) توجيه الأئمة والدعاة وأهل العلم إلى الاهتمام بتربية النفس بهدف تحذير الأمة من كل ما يخالف الله ورسوله من عقائد، وعبادات، وأخلاق، ومعاملات، والالتزام والتمسك بالعقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات التي جاءت في القرآن.

فهرس المصادر والمراجع

١- إبراهيم عصمت مطاوع ، أصول التربية ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .
٢-أبو الحسن علي الندوي ، ربانية لا رهبانية ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
٣- أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان،حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند،مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٤- أحمد رجب الأسمر ، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء ،دار الفرقان ، عمان ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٥- أحمد فؤاد الأهواني ، القيم الروحية في الإسلام ، من سلسلة دراسات في الإسلام ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ،القاهرة ، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م.
٦- أحمد محمد بن حنبل ،مسند الإمام أحمد بن حنبل ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، د عبد الله بن عبد المحسن التركي،مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٧- أكرم ضياء العمري ، التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ، مركز الدراسات والإعلام دار أشبيليا ، الرياض ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .
٨- أنور سيد الجندي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٥م.
٩- حسن سعيد الكرماني ، الهادي إلى لغة العرب ، دار لبنان لطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

١٠- خالد فهد العودة، الترويح التربوي،دار مسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١١- ذوقان عبيدات وآخرون ، البحث العلمي ،دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان،١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

١٢-سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

١٣- سعيد حوى،المستخلص في تزكية الأنفس،دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٤- سليمان أحمد الطبري ، المعجم الصغير ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٥- سمر محمد العريفي ، صلاحية مصطلح التزكية الإنسانية ،جامعة الملك سعود، الرياض ،١٤٢٣هـ -٢٠٠٣ م.

١٦- سيد قطب الشاربي، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، ط٩.

١٧- عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٨- عبد الجواد سيد بكر ، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ، دار الفكر ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٩- عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا- تونس ،١٤١٣هـ- ١٩٩٣م .

٢٠- عبد الرحمن راتب عميرة ، منهج القرآن في تربية الرجال ، شركة عكاظ للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٢١- عبد الرحمن عبد الله صالح وآخرون ، المرشد في كتابة الأبحاث ، مكتبة المنار ، مكة المكرمة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٢- عبد الرحمن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

٢٣- عبد الكريم محمد بكار ، فصول في التفكير الموضوعي ، دار القلم ،دمشق ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٤-عبدالله بن عمر البيضاوي، تفسير البيضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٥- عدنان الشريف ، من علم النفس القرآني ، دار العلم للملايين ،بيروت ، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م .

٢٦- علي أبوبكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي ، بيروت، د.ت.

٢٧- فيصل بعلبكي ، العقل والإيمان في نظر القرآن ، دار الندوة الإسلامية للطباعة النشر ، بيروت ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٢٨- ماجد عرسان الكيلاني ، مناهج التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٩- محمد أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، دار الفكر، بيروت ،١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ط٨ .

٣٠-محمد أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
٣١- محمد بن أبي بكر بن القيم ، الفروسية ، دار التراث، المدينة المنورة ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٣٢- محمد بن أبي بكر بن القيم ، مدارج السالكين ، ،دار الكتاب العربي ،بيروت،١٤٢١هـ ـ٢٠٠٣م.
٣٣- محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري،تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، ١٤٢٢هـ، ـ ٢٠٠٢م.
٣٤- محمد بن جرير الطبري ،جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٣٥- محمد بن محمد بن عرفة، تفسير ابن عرفة ، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٨ م.
٣٦-محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.
٣٧- محمد شديد ، منهج القرآن في التربية، دار التوزيع والنشر الإسلامي ، القاهرة، ١٣هـ ـ ١٩٨٩م.
٣٨- محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٩-محمد قطب الشاربي ، منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م.

٤٠- محمد محروس الشناوي، بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي، دار غريب ، القاهرة ، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

٤١-محمد محمود محمد ، علم المعاصر في ضوء الإسلام ، دار الشروق ، جدة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٢- مسلم بن الحجاج النيسابوري ،المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٤٣- مصطفى حسني السباعي ، أخلاقنا الاجتماعية ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

٤٤- مصطفى فهمي ، في علم النفس ، دار الثقافة ، القاهرة ، د.ت.

٤٥- نشأت جعفر ، الحرية في الإسلام ، د.ن، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م.

التربية بالقرآن الكريم
(المفهوم، والأسس، والضوابط)

إعداد:

د. محمد مصطفى أحمد شعيب

رئيس قسم البحوث والمناهج بالهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، بجدة

ملخص بحث

(التربية بالقرآن الكريم، المفهوم، والأسس، والضوابط)

للمشاركة بها في : ملتقى التربية بالقرآن الكريم (مناهج وتجارب) والمنعقد في جامعة أم القرى بمكة المكرمة في ٢٢- ٢٣/٤/ ١٤٣٦هـ . للدكتور/ محمد مصطفى أحمد شعيب/ رئيس قسم البحوث والمناهج في الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم/ وممثل الهيئة في المؤتمر.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فإن تربية النفس وتزكيتها مقصد عظيم من مقاصد هذه الشريعة، وهدفٌ من أهداف بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا شك في أن القرآن الكريم هو أعظم وأهم وسيلة لتربية النفس وتزكيتها، كيف لا ، والله جل وعلا يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] ، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في كل شيء، في العقائد، والتشريعات، والأخلاق، وطرائق التربية والتزكية، وفي كل شيء، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

والقرآن هو معين التربية الأول، وعندما تتأمل القرآن تجد أن مادة (الرب) قد تكررت فيه أكثر من ألف مرة، مما يدل على عناية القرآن الكريم بشأن تربية النفس وتزكيتها، وقد تعرضت في هذا البحث بإيجاز للمحور الأول من محاور الملتقى: (التربية

بالقرآن؛ المفهوم والأسس والضوابط)، فبينت فيه من خلال التمهيد: الحاجة إلى التربية القرآنية وأهميتها، ومسيس الحاجة إليها.

كما تحدثت في المبحث الأول عن مفهوم التربية القرآنية، وبينت ماهيته.

وعددت في المبحث الثاني: بعض أسس التربية القرآنية الفريدة الفذة.

وفي المبحث الثالث: تحدثت عن شيء من ضوابط التربية القرآنية.

ولخصت في الخاتمة أهمَّ ما تطرق له البحث.

كل ذلك بإيجاز اقتضته ظروف الملتقى وضوابطه، وإن كان الموضوع يستحق البسط، ولعلي بإذن الله جل وعلا أعود إلى أصول هذا البحث ومسودته لأحاول توفيته حقه بمزيد من البحث والاستقصاء.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وكتبه / د . محمد مصطفى شعيب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، أحمده سبحانه حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على عبده ورسوه محمد ﷺ صاحب الخلق العظيم، والقلب الرحيم، من أرسله ربه رحمة للعالمين، وهداية للبشرية أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه واتبع سنته إلى يوم الدين، وبعد:

فإن تربية النفس وتزكيتها مقصد عظيم من مقاصد هذه الشريعة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١) ولا شك في أن القرآن الكريم هو أعظم وأهم وسيلة لتربية النفس وتزكيتها، كيف لا، والله جل وعلا يقول:﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(٢)، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في كل شيء، في العقائد، والتشريعات، والأخلاق، وطرائق التربية والتزكية، وفي كل شيء، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾(٣).

(١) سورة الجمعة: آية ٢.

(٢) سورة الإسراء: آية ٩.

(٣) سورة الإسراء: آية ٨٢.

والقرآن هو معين التربية الأول، وهو مصدر الهدى والنور الذي أشرقت له الظلمات، وهو الرحمة الكبرى التي بها صلاح جميع المخلوقات، وهو شفاء الصدور، ونور الأبصار، وطمأنينة القلوب، إنه النعمة الباقية، والعصمة الواقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، كيف لا وهو كلام الحق جل وعلا؟!.

وعندما تتأمل القرآن تجد أن مادة (الرب) قد تكررت فيه أكثر من ألف مرة، وقد ذكر المفسرون وعلماء اللغة أن الرب هو المربي الذي يسوس من يربيه ويدبر أمره، وربوبية الله للإنسان تظهر بتربيته إياهم.

وهذا يدل على عناية القرآن بشأن تربية النفس وتزكيتها، ويؤكد لنا كذلك أهمية هذا الملتقى (ملتقى التربية بالقرآن الكريم – مناهج وتجارب) وأهمية الموضوعات والمحاور التي طرحها للدراسة والبحث، وقد رأيت أن أسلط الضوء بإيجاز على المحور الأول من محاور هذا الملتقى، والذي عنوانه (التربية بالقرآن ؛ المفهوم والأسس والضوابط)، وسأتناول هذا الموضوع – بإذن الله تعالى – من خلال خطة تحتوي على تمهيد، وثلاثة مباحث رئيسة، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

التمهيد: وأتناول فيه الحاجة إلى التربية القرآنية وأهميتها.

المبحث الأول: مفهوم التربية القرآنية .

المبحث الثاني: أسس التربية القرآنية.

المبحث الثالث: ضوابط التربية القرآنية.

الخاتمة وتشتمل على أبرز نتائج الدراسة.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين .

كتبه /

د. محمد مصطفى أحمد شعيب

التمهيد

(الحاجة إلى التربية القرآنية وأهميتها)

إن البشرية منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا قد عرفت منهجين للتربية لا ثالث لهما:

أحدهما : المنهج الإلهي الذى أنزله الله على أنبيائه ورسله ليبينوا للناس ما نزل اليهم .

والثاني : المنهج الأرضي على اختلاف أنواعه، وتعدد أغراضه، تبعاً لتصورات الناس لطبيعة الحياة والإنسان، ولطبيعة الفرد والمجتمع، وهي تصورات مهما اختلفت وتنوعت فإنها – جميعها– تبقى قاصرةً عن تحقيق التربية المثلى للفرد أو المجتمع، وهي فاقدة للتوازن والاعتدال، شأنها شأن كل منهج من مناهج البشر القاصرة.

من هنا كانت الحاجة ماسة إلى معرفة منهج الله تعالى في مجال التربية، بل وفي كل مجال من مجالات الحياة، بغية امتثاله وتطبيقه وجني ثماره غضة طرية في واقع الحياة؛ استقامة وصلاحاً، وسعادة ورضى، وطمأنينة ورُقِي.

ولا يخفى ما كانت عليه حال البشرية، قبل البعثة النبوية، من بعد عن هدي الرسالات السماوية، فقد كان الشرك مهيمناً على حياة الناس، والظلم فاشياً، والجهل عاماً، والفساد ظاهراً، والفسوق منتشراً، ولم يكن لهم عاصم من دين أو خلق، ولا رادع من قانون أو نظام، ولا وازع من وعى أو مروءة، عالمٌ تحكمه شريعة الغاب، يأكل القوي منهم الضعيف، فبعث الله نبينا محمداً ﷺ بالهدى والنور، فدعا إلى التوحيد، وقاوم الظلم، وأباد الجهل، وأزال الفساد من الأرض، وربَّى النفوس تربية فريدة من نوعها، تلك التربية التي أخرجت لنا خير جيل عرفته البشرية، جيل الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم.

وانطلقت تلك التربية الفريدة للنفس البشرية، من النظرة الصحيحة للإنسان، فهو مخلوقٌ كرَّمه الله تعالى، وفضله على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا﴾[1].

فالإنسان محل العناية الربانية، كرَّمه سبحانه وتعالى بالعقل ليميز النافع من الضار، ويعرف الخير من الشر، ويحقق عبادة الله في الأرض، ويتحلى بمكارم الشريعة، من طهارة النفس، وجميل الأخلاق، والحكمة، والعفة، والصبر، والعدل، والإحسان، وغيرها من مكارم هذه الشريعة وفضائلها.

كما أرسل له – سبحانه – الرسالات السماوية لإقرار وتأكيد ما ركز في فطرته من معرفة ربه وخالقه، وأنعم عليه بشتى النعم، وأحاطه بعنايته وحفظه وتسخير ملائكته؛قال تعالى:﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[2].

وسخر له جميع ما في الأرض، وجعله خليفة فيها لعمارتها، وتحقيق عبودية الله، ونشر الخير، وإقامة العدل، ودفع الظلم، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[3].

(١) سورة الإسراء: آية ٧٠.

(٢) سورة الرعد: آية ١١.

(٣) سورة البقرة: آية ٣٠.

والإنسان سيد هذا الكون، وكل ما فيه مسخَّر لأجل منفعته وخدمته، وقد خلقه الله تعالى من بين سائر الكائنات خلقة تؤهله للدارين– الدنيا والآخرة – ؛ قال الراغب الأصفهاني – رحمه الله –: «وذلك أن الله تعالى قد أوجد ثلاثة أنواع من الأحياء، نوعاً لدار الدنيا وهي الحيوانات، ونوعاً للدار الآخرة وهو الملأ الأعلى– يعني: الملائكة –، ونوعاً للدارين وهو الإنسان، فالإنسان واسطة بين جوهرين؛ وضيع وهو الحيوانات، ورفيع وهو الملائكة، فجمع فيه قوى العالمين، وجعله كالحيوانات في الشهوة البدنية والغذاء والتناسل والمهارشة والمنازعة وغير ذلك من أوصاف الحيوانات، وكالملائكة في العقل والعلم وعبادة الرب والصدق والوفاءِ، ونحو ذلك من الأخلاق الشريفة.

ووجه الحكمة في ذلك: أنه تعالى لما خلقه لعبادته وعمارة الأرض والخلافة فيها، وهيأه مع ذلك لمجاورته في جنته، اقتضت الحكمة أن يجمع له القوتين، فإنه لو خُلق كالبهيمة معرىّ عن العقل لما صلح لعبادة الله تعالى وخلافته، كما لم يصلح لذلك البهائم، ولا لمجاورته ودخول جنته، ولو خلق كالملائكة معرًّى عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه، كما لم يصلح لذلك الملائكة، حيث قال تعالى في جوابهم: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]؛ فاقتضت الحكمة الإلهية أن تجمع له القوتان، وفي اعتبار هذه الجملة تنبيه على أن الإنسان دنيويٌّ وأخرويٌّ، وأنه لم يُخلق عبثاً كما نبه الله عليه بقوله: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾[2]»[3].

(١) سورة البقرة: آية ٣٠.

(٢) سورة المؤمنون: آية ١١٥.

(٣) الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، (ص ٣٧، ٣٨).

وتحقيق الإنسان للعبودية الحقة لله، وخلافة الأرض وعمارتها على الوجه المطلوب، لا يكون إلا بتربية الإنسان وتهذيبه، فرداً وجماعةً وأمَّةً، ومن هنا كانت التربية القرآنية فريضة في أعناق الجميع، وأمانة يحملها الجيل للجيل الذي بعده، ويؤديها المربون لأنفسهم ولغيرهم.

إنها تربية الإنسان على تحكيم شريعة الله في جميع أقواله وأفعاله، مع التسليم التام والانقياد المطلق لها، ومن دون أن يجد أدنى حرجٍ في نفسه تجاهها؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١).

إنها تربية الإنسان على التوحيد والعقيدة، والإيمان بالله واليوم الآخر والرسل والملائكة والكتب والقدر خيره وشره، وتربيته على العمل الصالح، والتطبيق والامتثال لتعاليم الشريعة، وتربيته على الدعوة إلى الله والتواصي بالحق مع أفراد مجتمعه، والتعاون على تحقيق عبودية الله في الأرض، وتربيته على الصبر بكل أنواعه، صبر على طاعة الله تعالى، ويدخل ضمنه الصبر في إحقاق الحق ومحاربة الباطل، وتحمل تبعات ذلك الطريق أياً كانت شاقةً ومؤلمة، وصبر عن معاصيه، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وبمثل هذه التربية ينجو الإنسان من الخسارة، ويحقق الفوز والنجاة بإذن الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(٢).

---

(١) سورة النساء: آية ٦٥.

(٢) سورة العصر: الآيات ١-٣ .

إنَّ المصائب التي تنزل بالمجتمع الإنساني عامة، والكوارث التي تصيب المجتمعات الإسلامية خاصة، وظلم الإنسان للإنسان، واحتكار الأمم القوية لخيرات الأمم الضعيفة، كل ذلك نتيجة لسوء تربية الإنسان، والانحراف به عن فطرته وطبيعته، وعن ابتغاء كماله من خلال تطبيقه لتعاليم ربه، وامتثاله لشريعته.

ولا نجاة ولا صلاح للبشرية، إلا بالعودة إلى تربية الإنسان تربية إسلامية قرآنية، فالإسلام هو المنهج الرباني المتكامل والمتناغم مع فطرة الإنسان، وقد أنزله الله جل وعلا لصياغة الشخصية الإنسانية صياغة متزنة متكاملة، ليجعل منها خير نموذج على وجه الأرض، يحقق العدالة الإلهية في المجتمع الإنساني، ويستخدم ما سخَّر الله له من قوى الطبيعة، استخداماً معتدلاً متوازناً، لا غلو فيه ولا شطط، ولا تقصير فيه ولا تفريط.

فالتربية القرآنية ضرورة حتمية لتخليص البشرية من التيه والضلال، والشهوات والشبهات، والظلم والقهر والاستبداد الذي تعيشه البشرية بابتعادها عن تعاليم الوحي.

المبحث الأول: مفهوم التربية القرآنية

المطلب الأول: معنى التربية لغة واصطلاحاً:

التربية لغة: إذا رجعنا إلى كتب اللغة ومعاجمها، تبين لنا ثلاثة معاني رئيسة لكلمة التربية:

أولها: الزيادة والنمو والعلو، تقول: ربا يربو، بمعنى: زاد ونما، ومنه كلمة (الربا)؛ لأنه زيادة على رأس المال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾(1)، والربوة هي المكان المرتفع .

والمعنى الثاني : النشأة ، تقول : ربى يربى- بوزن خفي يخفى -، أي: نشأ وترعرع، ومنه قول ابن الأعرابي:

فمن يك سائلاً عني فإني ... بمكة منزلي وبها ربيت.

والمعنى الثالث: الرعاية والإصلاح، تقول: ربَّ يرب- بوزن مد يمد — بمعنى: أصلحه وتولى أمره، وقام عليه ورعاه، وتقول: ربت الأمر أربه رباً، ورباباً: أصلحته، و(الرب) بمعنى القيم والمصلح، والله تعالى هو الرب؛ لأنه مصلح شؤون خلقه، ومدبر أمورهم، و(الربيبة) بمعنى الحاضنة؛ لأنها تتكفل بشأن من تحضنه، ومنه (ربة الدار) التي تتعهدها.

هذه معاني عامة لهذا الأصل الثلاثي (ربا)، والفعل المزيد عليه بحرف هو الفعل (ربَّى)، ومصدره القياسي (تربية)(2)؛ ونلحظ في هذه المعاني أن مادة التربية – أو التربيب — تدور على الزيادة والإصلاح، أي: الإصلاح للموجود، والإضافة إليه.

---

(1) سورة الروم : آية ٣٩ .

(2) انظر: الجوهري، الصحاح،(١٣٠/١)؛والهروي،تهذيب اللغة، (١٩٧/١٥)؛ وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (١٧٩/٢، ١٨٠)؛ وابن منظور، لسان العرب، (٣٠٤/١٤- ٣٠٦)، والزبيدي، تاج العروس، (٤٦٣/٢).

والتربية اصطلاحاً :

قال الإمام الغزالي- رحمه الله - : «ومعنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته، ويكمل ريعه»[١] .

وقال الإمام البيضاوي- رحمه الله - : «الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً»[٢].

وقال الراغب الأصفهاني- رحمه الله - : «الرب في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام»[٣].

وعرَّف بعضهم التربية بأنها: «تنشئةُ وتكوينُ إنسانٍ سليم مُسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة، من الناحية الصحية، والعقلية، والاعتقادية، والروحية، والإدارية، والإبداعية»[٤].

والتربية الصحيحة المثمرة تتكون من عدة عناصر، وهي:

الأول: تصفية النفس من الشوائب والكدورات، وهو ما يسمى بالتخلية .

الثاني: تعليمها ما ينفعها في الحياة العملية، وهو ما يسمى بالتحلية، ويدخل في ذلك: تنمية المواهب والقدرات والإمكانيات لدى الشخص، واستعداداته كلها، وهي كثيرة متنوعة.

الثالث: المحافظة على الفطرة ورعايتها، ويدخل في ذلك: توجيه الفطرة إلى ما فيه صلاحها وكمالها اللائق بها.

---

(١) الغزالي، أيها الولد، (ص ١٢٨).

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل، (١/٢٨).

(٣)الراغب الأصفهاني، المفردات، (ص ٣٣٦).

(٤) مقداد يالجن، أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، (ص ٢٠).

الرابع: التدرج، فالتربية تحتاج إلى وقت وتدرج، وهذا واضحٌ في قول البيضاوي: «شيئاً فشيئاً»، وقول الراغب: «حالاً فحالاً».

والتربية نشأت منذ نشأ الإنسان الأول (آدم عليه السلام)، ومهمتها: الاهتمام بالكائن البشري وتزكيته في كافة جوانبه: البدنية، والعقلية، والنفسية، والروحية، فالتربية كما تعنى بالظاهر من خلال الاهتمام بما يكون به نمو الإنسان واكتمال قوته البدنية، فهي أشدُّ عناية بالباطن، من خلال الاهتمام بحالته الروحية والنفسية والعقلية بما يوحيه الله للإنسان بواسطة رسله، ليكمل له فطرته، ويزكي له روحه ونفسه بعلوم الشريعة، بتعلمه لها وعمله بها .

فالغرض من التربية هو الإعداد للحياة الفاضلة بتكوين العقل السليم والجسم السليم، وبناء الشخصية على أسس متينة من الأخلاق الكريمة، وهداية البشرية إلى ربها ومعبودها، كي تقوم بعبادة الله تعالى، إذ هي الغاية من الخلق، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

والغاية من التربية وثمرتها: حصول السكينة والطمأنينة للنفس الإنسانية، وبالتالي قيام المجتمع الفاضل الذي يسوده الحب والوئام، وينتشر في أرجائه العدل والسلام .

---

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦.

المطلب الثاني: التربية القرآنية

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو الأساس الأول للتربية والثقافة في المجتمع الإسلامي، وهو المثل الأعلى للمسلمين فيما يقرره من عقائد وعبادات، ومعاملات وأخلاق، وقصص وحكم وأمثال؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ... ﴾[1].

وإذا كان القرآن كتاب عقيدة وتشريع، فإنه في الوقت ذاته كتاب تربية وعلم وتهذيب وإصلاح، وميزة القرآن في هذا المجال أنه ألقى على التربية ثوباً إلهياً قدسياً، فصارت جزءاً من الدين والعبادة، ولأمر ما كان أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى: ﴿**اقرأ**﴾ والقراءة باب العلم والتربية، وكانت الآية الأولى من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[2] وكلمة ﴿رَبِّكَ﴾ ذات صلة قوية بالتربية، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك .

وتتميز التربية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم بأنها تشمل جميع الجوانب الإنسانية، فهي تهتم بالحواس والعقول، كما تهتم بالقلوب والأرواح.

فالقرآن يدعو إلى استخدام الحواس –كالسمع والبصر– في النظر والتأمل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[3].

ويدعو إلى استخدام العقل للإدراك، والتفكير، وتحصيل العلم والمعرفة؛ قال جل وعلا: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ

(١) سورة الإسراء: آية ٩ .

(٢) سورة العلق: آية ١ .

(٣) سورة الإسراء: ٣٦.

(٤) سورة الرعد : آية ٤، وسورة النحل: آية ١٢.

يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3]،وقال تعالى:﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[5].

ويدعو إلى تطهير النفس والقلب ليكون هناك إشراق روحي، وتعليم وفتح رباني، قال الله جل وعلا: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿**إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**﴾[7] أي: نوراً يكشف لكم الحق من الباطل، والصواب من الخطأ.

إن القرآن الكريم يخاطب أعماق الفطرة، ويستجيش الوجدان، ويحرك القلوب الحية، والعقول النيرة، لتوحِّد الله جل وعلا، وقد بلغ من إعجاز القرآن الكريم، وأسلوبه الرائع الخلاب أن خاف المشركون على قلوبهم وأنفسهم من استماعه حتى لا يتحولوا من الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، حتى كانت وصية بعضهم للبعض

(١) سورة الحج: آية ٤٦.

(٢) سورة البقرة : آية ٢٣٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٤) سورة الملك: آية ١٠.

(٥) سورة الأنفال: آية ٢٢.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

(٧) سورة الأنفال: آية ٢٩.

الآخر- كما حكى الله عنهم - ألا يسمعوا للقرآن؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[1].

وإنك لتعجب كل العجب، عندما تعلم أنَّ كفار مكة سجدوا لله - رغم كفرهم- تأثراً بروعة القرآن؛ فقد ذهب النبي ﷺ في يوم من أيام شهر رمضان المبارك، في السنة الخامسة من البعثة المحمدية المباركة، إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، حيث يجلس السادة والكبراء من المشركين، وأخذ النبي ﷺ يقرأ عليهم القرآن الكريم، وافتتح بسورة النجم، وقرع آذانهم كلام إلهي رائع خلاب، يستجيش الوجدان، ويلامس القلوب، ويحرك العواطف، لقد أنصت المشركون جميعاً لكتاب الله، وانشغلوا عن كل شيء بسماع القرآن، وقرأ النبي ﷺ حتى وصل آخر السورة، وفيها قوارع تطير لها القلوب، وتأخذ بالألباب: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ﴾[2]؛ فخرَّ النبي ﷺ ساجداً لله، ولم يشعر المشركون بأنفسهم إلا وهم سجود لله خلف رسول الله! إي وربي، لم يتمالك المشركون أنفسهم فخرّوا ساجدين لله، تأثراً بروعة القرآن وبهائه وجلاله، وكيف لا وهو كلام الله يتلوه رسول الله ﷺ!.

وقد بوَّب البخاري في صحيحه: (باب سجود المسلمين مع المشركين، ...) ثم روى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون، والمشركون، والجن، والإنس[3].

---

(١) سورة فصلت: آية ٢٦.

(٢) سورة النجم : الآيات ٥٧- ٦٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب سجود القرآن، باب سجدة النجم، (١٠٧١) (٢/٤١).

كما روى عن ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد بها، فما بقي أحدٌ من القوم إلا سجد[1].

إنَّ القرآن هو المصدر الأول والأساسي للتربية الإسلامية، وهو معينها الذي لا ينضب، وهو الهدى الذي يمحو الله به الجهالة والضلالة، والنور الذي أشرقت له الظلمات، وهو الرحمة الكبرى التي بها صلاح جميع المخلوقات، وهو نور الأبصار من عماها، وشفاء الصدور من أذاها، كلما ازدادت فيه الأبصار تدبراً وتفهماً وتفكيراً زادها القرآن هداية واستقامة وتبصيراً، كيف لا وهو كلام الله رب العالمين، وهو سبحانه الخالق للإنسان والمربي له، من خلال كلامه وشرعه الذي أوحاه إلى أنبيائه ورسله.

لقد ترك القرآن أثراً -لا تخطئه العين- في تربية النبي ﷺ، ولما استنكر الكفار نزول القرآن مفرَّقاً على الحوادث والأزمان، ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾[2]، وشهدت السيدة عائشة رضي الله عنها بأثر القرآن في حياة النبي ﷺ، فعن سعد بن هشام بن عامر، قال: أتيت عائشة، فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله ﷺ، قالت: «كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن، قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[3] [4].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب سجود القرآن، باب سجدة النجم، (١٠٧٠) (٤١/٢).

(٢) سورة الفرقان: آية ٣٢ .

(٣) سورة القلم: آية ٤.

(٤) رواه أحمد في مسنده، (٢٤٦٠١) (١٤٨/٤١، ١٤٩)، وقال محققو المسند : «حديث صحيح».

وحياة الرسول ﷺ في حله وترحاله، وسلمه وحربه، وغضبه ورضاه، وهو وحده أو مع أهله أو بين أصحابه، بل حياته كلها في كل أحواله وأوقاته، تشهد بما شهدت به السيدة عائشة – بل والناس جميعاً – من أنه ﷺ «كان خلقه القرآن»، فلم يخرج عن تعاليم القرآن وإرشاداته طيلة عمره قيد أنملة ﷺ .

ورسول الله ﷺ هو المربي الأول لهذه الأمة بالقرآن، فقد أشرف على تربية جيل الصحابة بالقرآن الكريم تربية شاملة متكاملة، حتى ارتقوا إلى القمة التي يصبوا إليها كلُّ بني الإنسان، فكان ذلك الجيل ظاهرة فريدة عجيبة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً حتى الآن، فقد استطاع النبي الكريم ﷺ بهذا القرآن أن يعيد بناء الإنسان العربي الجاهلي، ويخرجه من ظلمات التصحر الفكري والعقائدي والأخلاقي والاجتماعي، إلى نور الإيمان والمعرفة وسمو الخلق وسماحة النفس؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

واستطاع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم تحويل هذا القرآن إلى منهج حياة، وواقع متحرك، ومجتمع منظور؛ وذلك أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم ينتقلوا عنها حتى يعملوا بما فيها من العمل؛ قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «كان الرجل منّا إذا تعلَّم عشر آيات لم يُجاوزهنَّ حتى يعرفَ معانِيَهُنَّ، والعمل بهنَّ»[2].

وقال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان ابن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما، أنهم كانوا إذا تَعَلَّموا من النبي ﷺ عشر

---

(١) سورة الجمعة: آية ٢.

(٢) الطبري، جامع البيان، (٧٤/١).

آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً[(١)].

ولهذا استحق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الثناء من الله جل وعلا – هم وتابعوهم بإحسان – في قوله جل وعلا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[(٢)].

وكما كان للقرآن أعظم الأثر التربوي في نفس النبي ﷺ ونفوس الصحابة الكرام، فقد كان للقرآن كذلك وقعٌ عظيمٌ، وأثر تربوي بالغ في نفوس المسلمين، هداية وطمأنينة، واستقامةً وصلاحاً.

والسرُّ في ذلك أن للقرآن أسلوباً رائعاً، ومزايا فريدة في تربية النفس البشرية (إنه يفرض الإقناع العقلي مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية، فهو بذلك يربي العقل والعاطفة جميعاً، متمشياً مع فطرة الإنسان في البساطة، وعدم التكلف، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة.

يبدأ القرآن من المحسوس المشهور المسلم به؛ كالمطر، والرياح، والنبات، والرعد، والبرق، ثم ينتقل إلى استلزام وجود الله، وعظمته وقدرته، وسائر صفات الكمال، مع اتخاذ أسلوب الاستفهام أحياناً، إما للتقريع، وإما للتنبيه، وإما للتحبيب والتذكير بالجميل، أو نحو ذلك، مما يثير في النفس الانفعالات الربانية؛ كالخضوع، والشكر، ومحبة الله، والخشوع له، ثم تأتي العبادات والسلوك المثالي تطبيقاً عملياً للأخلاق الربانية.

---

(١) ابن تيمية، الإيمان، (ص ١٣٥).

(٢) سورة التوبة: آية ١٠٠.

ولعل أوضح مثال على هذا الأسلوب التربوي القرآني يتضح في «سورة الرحمن»، حيث يُذكِّرنا الله جل جلاله بنعمه ودلائل قدرته، بادئاً من الإنسان، وقدرته على التعليم، إلى ما سخَّر الله له من الشمس والقمر، والنجم والشجر، والفاكهة والثمر، وما خلق من السماء والأرض، وعند كل آية أو عدة آيات استفهام يضع الإنسان أمام الحسِّ والوجدان، وصوت القلب والضمير، فلا يستطيع أن ينكر ما يحس به، ويستجيب له عقله وقلبه، وقد تكرر ذلك هذا الاستفهام: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1] إحدى وثلاثين مرة في هذه السورة، وفي كل مرة يثير انفعالاً بحسب الآية التي تسبقه.

والقرآن قد بدأ نزوله بآيات تربوية، فيها إشارة إلى أن أهم أهدافه تربية الإنسان بأسلوب حضاري فكري، عن طريق الاطلاع، والقراءة، والتعليم، والملاحظة العلمية لخلق الإنسان منذ كان علقة في رحم الأم ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[2].

والله تعالى أقسم أحدَ عشرَ قسماً ليقرر أن النفس الإنسانية قابلة للتربية، والتزكية والتسامي[3] [4].

---

(١) سورة الرحمن: آية ١٣.

(٢) سورة العلق: الآيات ١- ٥ .

(٣) وذلك في سورة الشمس، من قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: الآيات ١-١٠] .

(٤) النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، (ص ٢٤، ٢٥).

المبحث الثاني : أسس التربية القرآنية

التربية بالقرآن تقوم على أسس لا بد منها، ولا تؤتي التربية القرآنية ثمارها إلا بارتكازها على تلك الأسس، وسأتناول أبرز وأهم الأسس، من خلال خمسة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: الأساس الإيماني (صحة العقيدة):

إنَّ الأساس الأول للتربية القرآنية، هو التوحيد والعقيدة، وهي أول لبنة وضعها القرآن الكريم في البناء التربوي، فعرَّف الناس بربهم وخالقهم، وعرَّفهم بالغاية التي خلقوا من أجلها، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، قال جل وعلا: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[1] .

وقال جل وعلا مخاطباً أعماق الفطرة، ومستنطقاً لها لتعترف بوحدانية الله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾... إلى آخرالآيات [2].

---

(١) سورة الذاريات: الآيات ٥٦- ٥٨.

(٢) سورة النمل: الآيات٦٠- ٦٥.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾... إلى آخر السورة[1]، والآيات في هذا كثيرة جداً.

وكما عرَّفهم القرآن بخالقهم وربهم جل وعلا فقد عرَّفهم باليوم الآخر، يوم العرض على الله جل وعلا، يوم الحساب والجزاء، قال الله جل وعلا: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾[2]، وتأمل ما ورد في سورة الزلزلة، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والمعارج، والحاقة، والواقعة، والرحمن، والحج، وغيرها كثير، تجدها تعرض لتفاصيل مما يقع في اليوم الآخر، والحساب والجزاء، والصراط والميزان، والجنة والنار.

وهذه التربية التي تقوم على الإيمان بالله وباليوم الآخر هي التي تحفظ التوازن للإنسان في هذه الحياة الدنيا، ثم تدخله الجنة وتنجيه من العذاب في الآخرة.

وهكذا بقية أركان الإيمان، من الإيمان بالرسل، والكتب، والملائكة، والقدر خيره وشره، كل ذلك تعرَّض له القرآن بأسلوب بديع، يجمع بين التعليم والتربية، فيُنشئ جيلاً متوازناً، يؤمن بكافة الرسل الذين أرسلهم الله تعالى، ولا يفرق بين أحد منهم،

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٩٠- ٢٠٠.

(٢) سورة الحاقة : الآيات ١٣- ١٨.

فكلهم أنبياء الله ورسله، كما يؤمن بملائكة الله تعالى، ويسلم بقضاء الله وقدره، ويؤمن بالكتب المنزلة من عند الله تعالى.

قال جل وعلا : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1]، قال جل وعلا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[2].

ويربي القرآنُ أتباعه على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فليس الإيمان ادعاء يدعى، ولا كلمة تقال، وإنما هو منهج يظهر على السلوك والجوارح، وتشهد بها أقوال الإنسان وأفعاله؛ قال الله تعالى: ﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ... الآيات[4]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٥.

(٢) سورة القمر: آية ٤٩.

(٣) سورة البقرة: آية ١٧٧.

(٤) سورة الأنفال: آية ٢- ٤.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(١)،وقال تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾(٢) يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، سمَّى الصلاة إيماناً، وهي جامعة لعمل القلب واللسان والجوارح.

وقال جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾(٣)، وقال عز وجل: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾(٤).

وأكَّد ذلك حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(٥).

وكما ربى القرآن أتباعه على الإيمان بأركانه الستة، وثبت ذلك في قلوبهم بأساليب عديدة وبليغة، فقد عرَّفهم بأنفسهم، وبضعفهم وعجزهم، وأجابهم عن تلك الأسئلة تتعلق بالإنسان ونشأته ومصيره، تلك الأسئلة التي حيَّرت الفلاسفة من غير المسلمين؛ من أنت؟ ومن أين؟ وإلى أين؟ وما هو المصير؟ .

فجاء القرآن بإجابات واضحة شافية كافية، يقنع بها العقل السليم، وتستقر في الوجدان، ويطمئن لها القلب والعقل، وتمنح النفس الإنسانية السعادة والطمأنينة، وتحميه من الوقوع في القلق والشك والحيرة والاضطراب، الذي وقع فيه كثير ممن ابتعدوا عن القرآن، وآثروا مناهج الدنيا وقدموها على المنهج الرباني، منهج الله جل وعلا .

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٥.

(٢) سورة البقرة: آية ١٤٣.

(٣) سورة الفتح: آية ٤.

(٤) سورة المدثر: آية ٣١.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، (٣٥) (٦٣/١).

وعبر عن هذه الحيرة وعن هذا الشك وعن هذا القلق أحد أولئك المتشككين، فقال بلسان المقال: جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت! ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت! وسأمضي في طريقي شئت هذا أم أبيت!؟ كيف جئت؟! كيف أبصرت طريقي؟! لست أدري؟! [1].

إنه يعيش حالة شك وحيرة وقلق واضطراب، إنه يحيا حياة البهائم والأنعام!!، لا يعرف لحياته معنى، ولا يدرك لوجوده هدفاً ولا غاية، وصدق ربي إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2]، إنه وصف الله جل وعلا لهذا الإنسان الذي ابتعد عن منهج الله، وابتعد عن القرآن، ولهذا فهو لا يدري! .

أما المسلم المؤمن، فإنه يعلم ويدري، يدري أن الله هو الذي خلقه ورزقه وأحياه ورباه بالنعم مذ خُلق إلى أن يموت، وأنه خلقه لغاية عظيمة، وهي عبادته جل وعلا، وعمارة الكون بطاعته وتحكيم شرعه ومنهجه، ويدري أن المصير: إما نعيم أبدي وخلود في جنة عرضها السماوات والأرض، وإما عذابٌ وجحيم ونار تلظى، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

التربية على العقيدة الصحيحة والتوحيد لله تعالى، والإيمان الصادق، ذلك هو الأساس الأول من أسس التربية القرآنية الفذة الفريدة .

---

(١) قصيدة (الطلاسم) لإيليا أبو ماضي، ديوان ايليا أبو ماضي، نيويورك، ١٩١٩م. ص (١٩١)، نقلاً عن: الجربوع، الأمثال القرآنية، (٧١٩/٢، ٧٢٠) .

(٢) سورة الأعراف: آية ١٧٩.

المطلب الثاني: الأساس العلمي (العلم النافع)

العلم هو أساس التربية، بل هو أساس كل عمل، وهو يسبق كل قول أو فعل، وقد بوب الإمام البخاري في «صحيحه»: (باب: العلم قبل القول والعمل) ثم استدل بقول الله تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾[1]، قال: (فبدأ بالعلم)[2].

والعلم الصحيح النافع هو طريق الصلاح، ومفتاح الاستقامة والتهذيب، وباب الخشية والتقوى، وأساس التربية والرائد إلى تحقيقها، وإذا كان العلم بهذه المثابة فإن القرآن يعظم شأن العلم والعلماء، ويرغب في طلب العلم ويحث عليه، بل إنَّ أوَّل ما بدأ الله به كتابه هو كلمة ﴿**اقرأ**﴾، والقراءة هي باب العلم والتربية، مما يدل على أهمية العلم واقترانه بالتربية.

كما قرنت آية أخرى بين العلم والتزكية، وبينت أنها وظيفة النبي ﷺ؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[3].

(١) سورة محمد: آية ١٩.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، (١/٢٤).

(٣) سورة آل عمران: آية ١٦٤.

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1]؛ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام»[2].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]، وقال جل وعلا: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

والله جل وعلا خلق هذه النفس البشرية بلا أي رصيد من العلم والمعرفة، لكنه سبحانه هيأ أمامها وسائل التعلم والتثقيف والتربية، ثم ألهمها ما فيه زكاتها وطهارتها، ثم علمها، وبين أن طاعته وتقواه سبيل زيادة العلم، قال جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[6]،وقال تعالى:﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[7]، وقال عز وجل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾[8].

---

(١) سورة المجادلة: آية ١١.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١/٥).

(٣) سورة الزمر: آية ٩.

(٤) سورة النحل: آية ٤٣، وسورة الأنبياء: آية ٧.

(٥) سورة النحل: آية ٧٨ .

(٦) سورة البلد: الآيات ٨ -١٠.

(٧) سورة العلق: آية ٥.

(٨) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

ومن واجب المجتمع المسلم أن يعمل على توفير مجموعة من العلماء الفقهاء تكفي لتربية الناس وتفقيههم، قال جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(1).

وإذا كان هناك من يفرق بين التربية والتعليم، فيجعل عماد التعليم قائماً على الحفظ وشحن الذهن بالمعلومات، ويجعل عماد التربية قائماً على التدريب والتهذيب، فإن مفهوم العلم عند البصراء من رجال هذه الأمة يضم معنى التأثر والتهذيب بما يعلمه الإنسان، وقد قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(2)؛ قال ابن مسعود ﷺ : «ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية»(3).

ومهنة التربية والتعليم في نظر الإسلام أشرف المهن، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(4)، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(5).

---

(1) سورة التوبة : ١٢٢.

(2) سورة فاطر: آية ٢٨.

(3) أحمد بن حنبل، الزهد، (٨٦٧) (ص ١٣١)، وانظر أيضاً: السيوطي، الدر المنثور، (٢١/٧).

(4) سورة البقرة: آية ١٢٩.

(5) سورة الجمعة: آية ٢.

المطلب الثالث: الأساس العملي (العمل بالعلم- صحة العبادة)

العمل بالعلم، وضرورة أن يُطلب العلم للعمل، وأهمية التجربة، والتطبيق، ونبذ التقليد:

فمن أهم أسس التربية القرآنية أن يكون العلم للعمل، وألا يكون للتباهي، أو التفاخر أو غيرها من المقاصد، فما لم ينتفع العالم بعلمه بأن يوصله لتقوى ربه وطاعته، كان علمه هذا حجة له لا عليه.

قال عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، ومجاهد، وعكرمة رحمهما الله – وغيرهم من أئمة السلف – في تأويل قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾[1]؛ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قالوا: ((يتَّبعونه حق اتباعه، ويعملون به حق عمله))[2].

وروى ابن جرير الطَّبري بسندِه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((والذي نفسي بيده إنَّ حقَّ تلاوته أن يُحِلَّ حلاله ويُحَرِّم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلمَ عن مواضعه، ولا يتأوَّل منه شيئاً على غير تأويلِه))، وورد مثله عن قتادة، والحسن، وغيرهما من السلف[3].

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢١.

(٢) انظر: الطبري، تفسير الطبري، (٢/٤٨٨-٤٩٠)، وابن تيمية، الإيمان، (ص ١٣٥)، وابن حجر، فتح الباري، (١٣/٥٠٨).

(٣) الطبري، تفسير الطبري، (٢/٤٨٩).

وعن مجاهد في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾[1] قال: «عمرك أن تعمل فيه لآخرتك»[2].

وقال سبحانه عن حال نبيه شعيب –عليه السَّلام– مع قومه : ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ﴾[3].

وأمَر سبحانه رسوله بالتمسك بهذا الوحي، وإلزام نفسه العمل به؛ فقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[4].

وأخبر سبحانه وتعالى أن أهل خشيته والخوف منه هم العلماء، قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[5].

وبين سبحانه أن تقواه وحسن عبادته والخوف منه ومراقبته سبيل زيادة العلم؛ قال الله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾[6].

والتزام العبادات، والاستمرار على طاعة الله تعالى، سبيل تربية النفس وتهذيبها.

---

(١) سورة القصص: آية ٧٧ .

(٢) ابن المقرئ، المعجم، (ص ١٥٧).

(٣) سورة هود: آية ٨٨.

(٤) سورة الزخرف: آية ٤٣.

(٥) سورة فاطر: آية ٢٨.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

قال الله جل وعلا في شأن الصلاة: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى في شأن الصيام: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

وقال جل وعلا في شأن الزكاة والصدقة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾[3].

وقال عز وجل في شأن الحج: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[4].

وقال سبحانه في الاستقامة على صراطه المستقيم، واجتناب كل سبيل سواه: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5].

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٤٥.

(٢) سورة البقرة: آية ١٨٣.

(٣) سورة التوبة: آية ١٠٣.

(٤) سورة البقرة: آية ١٩٧.

(٥) سورة الأنعام: آية ١٥٣.

وقال جل وعلا في شأن الطاعات والعبادات عموماً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(1).

وقال تبارك وتعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(2).

وتدبر معي مدى التحذير من الانزواء على النفس، وبيان عاقبة التفريط في الدعوة إلى الله، وترك السعي للإصلاح - بعد العمل - قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾(3)، قال: مصلحون، ولم يقل: صالحون، أي: أن صلاح الشخص في نفسه فحسب لا يكفي للنجاة، فالتربية القرآنية تتطلب من الفرد أن يكون صالحاً مصلحاً، وراشداً مرشداً.

ويؤكد ذلك: سورة العصر، حيث ذكرت أربع صفات لا بد منها لينجو الإنسان من الخسران، ومنها: التواصي بالحق، وهو الدعوة إلى الله تعالى، والسعي للإصلاح.

فأهل القرآن هم العالمون بمعانيه، العاملون بما فيه، وإن لَمْ يحفظوه عن ظهر قلب،وأما مَنْ حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله، وإنْ أقام حروفه إقامة السهم.

عن النواس بن سمعان ﷺ أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحآجَّان عن صاحبهما»(4) .

---

(1) سورة البقرة: آية ٢١.

(2) سورة النحل: آية ٩٧.

(3) سورة هود: آية ١١٧.

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، (٨٠٥) (١/٥٥٤).

فتأمل قوله: «الذين كانوا يعملون به في الدنيا».

ولقد كان أصحاب النَّبيّ ﷺ ، ومَنْ جاء من بعدهم من التابعين ومن سلك سبيلهم يعملون بما يتعلَّمون، وما أكثروا من العلم إلا وأكثروا معه من العمل، وتقدَّم قول أبي عبد الرحمن السُّلمي في ذلك، عندما ذكر أن الصحابة الكرام لا يتجاوزون العشر آيات إلى غيرها حتى يتعلموا معناها ويعملوا بها.

(ولذلك نستحسن أن توضع المناهج في تحفيظ القرآن على هذا الأساس، فلا يَكْتَفِي التلميذ المبتدىء بحفظ نص الآيات وتجويدها، بل يُعطى شيئاً من تفسيرها وفقهها، على قدر مستواه والمرحلة التي يجتازها، فيُقسَّمُ منهج الحفظ إلى دروس، كل درس يتكوَّن من خمس آيات أو عشر آيات يتعلم تجويدها، وحفظها، وتفسيرها، وما فيها من فقه في وقت واحد، فهذا أقوى حتى لحفظ النص، ومن التزم ذلك نرجوا أنه يُبارَكُ له جزاءَ اقتدائه بالمنهج النبوي)[1] .

وقد ذمَّ الله أقواماً في كتابه الكريم لأنهم تركوا العمل بما علموه من العلم والخير، فقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3].

أين عقولكم يا من تعلمون الخير الكثير ولا تعملون به؟!.

أين عقولكم يامن تُوجِّهون الناس إلى الخير وتدعونهم إليه، ثُمَّ تخالف أعمالكم ما لاكته ألسنتكم! وأمَرتم به غيركم؟!!.

---

(١) عبد العزيز القاري، سنن القراء ومناهج المجوِّدين، (ص ٢٩).

(٢) سورة البقرة: آية ٤٤.

(٣) سورة الصف: آية ٢، ٣ .

قال الإمام القرطبي- رحمه الله -: « اعلم وفقك الله أنَّ التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر، ولهذا ذمَّ الله تعالى في كتابه قوماً كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها؛ وبَّخهم به توبيخاً يُتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة فقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ الآية.

وروي عن أبي جعفر بن علي، في قول الله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ﴾[1] قال: قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم وخالفوه إلى غيره»[2].

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

وهذا مثل كل من أوتي علماً وفقهاً في الدين، وحفظاً لنصوص الوحي الكريم ثُمَّ لا يعمل بذلك، مثله في الدنيا «كالحمار يحمل أسفاراً» ويا قبحه من مثل.

قال عمر بن الخطاب ﵁ : «لا يغررنَّكم مَنْ قرأ القرآن، إنما هو كلام يُتكَلَّم به، ولكن انظروا مَنْ يعمل به»[4].

وقال الشافعي- رحمه الله -: «ليس العلم ما حُفظ، إنما العلم ما نفع»[5].

---

(١) سورة الشعراء: آية ٩٤ .

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠/١).

(٣) سورة الجمعة: آية ٥.

(٤) الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، (١٠٩) (ص٧١).

(٥) الأصبهاني، حلية الأولياء، (١٢٣/٩) .

وقال ابن الجوزي – رحمه الله –: «فالله الله في العلم بالعمل، فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم مفلساً، على قوة الحجة عليه»(١).

وإنَّ لكل شيءٍ زكاة، وزكاة العلم العمل به، فما أديت زكاته بورك فيه، وحصل به النفع، وإلا محقت بركته .

المطلب الرابع: الأساس الفكري (سلامة التفكير):

القرآن يقرر حرية التفكير، واستقلال الشخصية في البحث والاقتناع والاعتقاد، ويستنكر التقليد الأعمى، وينهى عن اتباع الغير بلا دليل ولا برهان ولو كانوا الآباء أو الأجداد، ويفسح المجال للعقل البشري ليفكر ويتدبر ويعتبر.

قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٣)، وقال جل وعلا: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(٤) .

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(٥)، وقال جل

---

(١) ابن الجوزي، صيد الخاطر، (ص ١٥٩).

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٩، و٢٦٦.

(٣) سورة المائدة: آية ٧٧.

(٤) سورة الإسراء: آية ٣٦.

(٥) سورة البقرة: آية ١٧٠.

وعلا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

ونجد في هذه الآيات الكريمة – وما في معناها — أن الله تعالى ذم المقلدين لآبائهم في الكفر والفواحش، من ناحيتين:

إحداهما: الجمود على ما كان عليه الآباء، والاكتفاء به عن الترقي في العلم والعمل، وليس هذا من شأن الإنسان الحر العاقل، فإن الحياة تقتضي النمو والتوليد، والعقل يطلب المزيد والتجديد.

والثانية: أنهم باتباعهم لآبائهم قد فقدوا مزية البشر في التمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، والحسن والقبيح، بطريق العقل والعلم، وطريق الاهتداء في العمل، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

وقال تعالى في عبادة العرب للملائكة: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم

---

(١) سورة المائدة : آية ١٠٤.

(٢) سورة لقمان: آية ٢١.

(٣) سورة الأعراف: آية ٢٨.

مُّهۡتَدُونَ ﴾[1]. والقرآن يدعو إلى النظر والتدبر والتأمل في آيات الله الكونية والقرآنية، بغية إيقاظ المشاعر والحواس للتفكر والاعتبار والعمل والتطبيق، ومن هنا كثرت الآيات القرآنية التي تتحدث عن مشاهد الكون ومظاهر الطبيعة، وتلفت الأبصار والبصائر إلى الليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم والأفلاك، والأرض والسماء، والهواء والماء، والأنهار والبحار، والأشجار والأطيار، وغيرها من مظاهر إبداع الله تعالى في خلقه في هذا الكون.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الزخرف: الآيات ٢٠- ٢٢.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٨٥.

(٣) سورة الحج: آية ٤٦.

(٤) سورة ق: الآيات ٦-١١.

والقرآن يذمُّ أولئك الذين يُعطِّلون حواسَّهم فلا ينتفعون بها في الإدراك والملاحظة والاعتبار، قال الله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[2]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[4].

وإذا كان عصرنا يفخر بأنه قد وضع في مجال التفكير والتعليم مراحل يسلكها العالم في مجال البحث العلمي، ويتوصل بها إلى تحقيق المعرفة، فمن الإنصاف للحقيقة والتاريخ، بل من الإنصاف لأنفسنا وشخصيتنا العربية الإسلامية أن نقرر أن التربية القرآنية، سبقت إلى وضع المنهج القويم للتفكير والبحث والمعرفة منذ قرون.

فقد أشار القرآن إلى مراحل هذا المنهج، وهي تبدأ بمرحلة التجرُّد من الميول والأهواء والمؤثرات والتقليد، قال جل وعلا: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[5]، ثم تأتي مرحلة النظر والتأمل، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨.

(٢) سورة البقرة: آية ١٧١.

(٣) سورة الأعرف: آية ١٧٩.

(٤) سورة الأنفال: الآيات ٢٢– ٢٣.

(٥) سورة المؤمنون: آية ٧١.

مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[2]. ثم تأتي مرحلة البحث والموازنة والاستقراء، حيث يدرك العقل مواطن الاتفاق ومواطن الافتراق بين الأشياء، وأوجه الشبه أو أوجه الاختلاف، تمهيداً لاستخلاص النتائج والأحكام، والقرآن ينبه إلى ملاحظة الموازنة في كثير من الآيات، ومن ذلك قوله جل وعلا: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[5].

ثم تأتي مرحلة الحكم المؤيد بالدليل والبرهان، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[6]، وقال عز وجل: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ

---

(١) سورة يونس: آية ١٠١.

(٢) سورة الذاريات: آية ٢٠، ٢١.

(٣) سورة فاطر: آية ١٢.

(٤) سورة فاطر: الآيات ١٩- ٢٢.

(٥) سورة غافر: آية ٥٨.

(٦) سورة البقرة: آية ١١١، وسورة النمل: آية ٦٤ .

مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾[1]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[4].

وعلى هذا فالتربية القرآنية تدعو إلى حرية التفكير، واستقلالية العقل، وحصانة البحث، ومقاومة التقليد والجمود على ما كان فيه السابقون، وهذا هو الأساس الرابع من أسس التربية القرآنية: الأساس الفكري.

المطلب الخامس: الأساس النفسي (طمأنينة النفس)

لقد جاءت تعاليم القرآن متناسبة مع كافة احتياجات النفس الإنسانية، فالله سبحانه وتعالى هو خالق هذه النفس، وهو الذي وضع لها ما يناسبها ويحقق لها الطمأنينة والسعادة في كتابه العظيم (القرآن الكريم)، فهو دواؤها من أي أمراض نفسية مهما بلغت حدتها ومضاعفاتها، ولا يمكن أن تتوفر حالة الاطمئنان والرضا والسكينة والسعادة بشكل كامل وتام إلا من خلال هذا القرآن العظيم، وبذكر ربنا الرحمن الرحيم، ومن أعظم ذكره التعبد بتلاوة القرآن والعمل به.

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٤.

(٢) سورة القصص: آية ٧٥.

(٣) سورة الإسراء: آية ٨١.

(٤) سورة يونس: آية ٣٦.

قال جل وعلا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[3]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[4].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وتلا الآية[5].

فالتربية التي جاء بها القرآن، وتربى عليها أهل الإيمان، هي التي تكفل سعادة الإنسان والمجتمع؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذه النفس، ويعلم ما يعتريها من حالات ضعف أو فتور أو مرض، ويعلم أسباب ذلك وعلاجه، والقرآن كلامه سبحانه الذي أنزله لتصلح بتطبيقه وامتثاله أحوال البشرية.

---

(١) سورة الإسراء: آية ٩.

(٢) سورة الإسراء: آية ٨٢.

(٣) سورة الرعد: آية ٢٨.

(٤) سورة طه: آية ١٢٣، ١٢٤.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١١/٢٥٨).

قال تعالى مبيناً سعة علمه وإحاطته بخائنة الأعين وبما تخفيه الصدور: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[1]، وبين ظلم الإنسان وجهله بقوله جل وعلا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[2].

وبيَّن القرآن حال النفس البشرية يوم القيامة، وكيف تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾[3]، وفي هذا خير رادع لتلك النفس عن ارتكاب المعاصي والموبقات، وخير محفِّز للطاعات والقربات.

وهناك حاجة نفسية للقرآن الكريم، فلا يحصل للنفس رضا وطمأنينة إلا بالقرآن، وتربية القرآن، وهناك أبحاث سيكولوجية متطورة تذكر أن في مخ الإنسان فراغ لا يملأ إلا بالتربية الروحية، والتعلق الوجداني، وتستند لأننا ضعفاء ويظهر ضعفنا جلياً حين المرض، أو حين يلوح علينا شبح الموت المخيف، فإذا لم تهتد البشرية إلى دين الله القيم الحق الذي يملأ ذلك الفراغ النفسي والروحي والوجداني عندها؛ تلجأ إلى الخرافات، وعبادة أنواع شتى من الآلهة المزعومة، كعبادة الأصنام، أو عبادة البقر، أو عبادة الأضرحة والقبور، أو عبادة الفئران، أو عبادة النجوم والكواكب، أو حتى عبادة

---

(١) سورة غافر: آية ١٩.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٧٢.

(٣) سورة النور: آية ٢٤، ٢٥.

الفرج!!، في محاولة يائسة لملء الفراغ الذهني بتلك المعتقدات وأنواع العبادات – السخيفة –، خوفاً من حالة الضياع القاتلة التي يسببها لهم الفراغ الروحي والوجداني، وأظن أننا لا نحتاج إلى أدلة في هذا الحديث، وخاصة حينما نرى البلدان المتقدمة مادياً وتكنولوجياً وعلمياً مثل الدول الأوروبية، أو اليابان أو السويد، ونحوها من الدول، فإننا نرى إلى جانب التطور التكنولوجي هنالك الضياع المر القاتل الذي يعاني منه قطاع كبير من المجتمع عندهم، وبالرغم من الترف المادي الذي يعيشونه، وتوفر كل وسائل الراحة لهم، إلا أنهم يعيشون أمراضاً نفسية شتى، كالقلق والاضطراب، والإحباط، يعيشون ضيقاً نفسياً وضنكاً، لا يملؤه إلا أن يؤمنوا بالله تعالى إيماناً حقيقياً، ويستجيبون لتعاليم شرعه، فعندها يشعرون بالرضا والسكينة والطمأنينة.

والتربية القرآنية لا تملأ الفراغ الوجداني والروحي والنفسي فحسب، بل إنها تحارب العقد النفسية أولاً بأول، ولا تسمح لها أن تنمو وتنتشر، بل تهيء التربية القرآنية مناخات مضادة لتلك العقد فتقضي عليها وتحاصرها وتمنع نموها، فلا تتحول إلى حالة مرضية عسيرة، كمرض الحسد، أو الحقد، أو التكبر، أو الغيبة، أو النميمة، أو الخوف، أو الجشع، أو التسلط، أو حب السيطرة، أو الانتقام، أو الغرور، أو الوسواس، ... الخ تلك الأمراض النفسية .

ويكون علاجها ومحاصرتها بمجاهدة النفس التي يدعو لها القرآن ويحث عليها، وحملها على أن تتعلم أمور الدين وتعمل بها، وبمخالفة الهوى، فالنفس تميل إلى الهوى وتستميلها الشهوات، فيجب إلزامها ما أمر الله به، وإلزامها ترك ما تهوى مما نهى الله عنه، كمنع العين عن رؤية المحرم، وإمساك اللسان عن قول السوء، ومنع الأذن من الاستماع للمحرم، ومنع اليد أن تمتد للحرام، أو أن تلمس حراماً، وهكذا في سائر

الجوارح، فمراقبة النفس ومنعها عن معصية الله وإلزامها طاعته، هو سبيل تزكيتها وتربيتها وتطهيرها وتربيتها.

وقد نقل الإمام القرطبي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] عن أبي سليمان الداراني – رحمه الله – قوله: ليس الجهاد في الآية: قتال الكفار فقط، بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله، وهو الجهاد الأكبر[2] .

فالتربية القرآنية تعالج كل تلك الأمراض النفسية، وتملأ وجدان المسلم وقلبه وروحه بكل سعادة ورضا وطمأنينة، وهذا ما قصدته، بالأساس النفسي، الذي هو أحد الأسس التي تقوم عليها التربية القرآنية الفذة الفريدة.

المبحث الثالث:

ضوابط التربية القرآنية

كما أن للتربية بالقرآن أسساً تقوم عليها، ولا يمكن وجودها إلا بتوفرها، فإن لها كذلك ضوابط، تحدد مسارها، وتضبط توجهاتها، وتزيد من ثمرتها المرجوة، بإذن الله تعالى، وسأتناول أبرز خمس ضوابط، من خلال خمسة مطالب، على النحو التالي:

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٩.

(٢)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣٦٥/١٣).

المطلب الأول: شمولية التربية:

فالتربية القرآنية تربية عامة شاملة؛ دينية ودنيوية، روحية ومادية، علمية وعملية، فالقرآن لا يفصل بين دنيا الإنسان وآخرته، بل يعتبر دنياه وسيلة للنجاة والسعادة في آخرته، كما أنه يدله على سبيل سعادته في دنياه قبل آخرته، قال جل وعلا: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[١].

وعلماء الإسلام ودعاته ومفكروه لم يفرقوا في كتاباتهم التربوية والتوجيهية بين دين المسلم ودنياه، ولا بين حياته وآخرته، بل مزجوا بينهما مزجاً بديعاً عجيباً، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما كتبه الإمام الماوردي - المتوفى سنة خمسين وأربعمائة للهجرة - في كتابه القيم الماتع (أدب الدنيا والدين).

ويوجه القرآن النفس البشرية إلى القوة في الحياة على اختلاف أنواعها، سواء أكانت قوة مادية أو معنوية،علمية أو عملية،عبادية أو أخلاقية، سياسية أو اقتصادية، أو غير ذلك من أنواع القوة؛ قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٢].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»[٣].

---

(١) سورة القصص: آية ٧٧.

(٢) سورة الأنفال: آية ٦٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه،كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، (٢٦٦٤) (٢٠٥٢/٤).

فأي نوع من أنواع القوة، يأمر به القرآن ويدعو إليه، كما تأمر به السنة أيضاً وتدعوا إليه.

والقرآن يهدف إلى صيانة المجتمع، وتحصينه ضد عوامل الضعف أو الفناء؛ قال جل وعلا: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[(١)]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[(٣)].

ومن شمولية التربية القرآنية: أنها تعنى بتربية الفرد، كما تعنى بتربية الجماعة على حدٍّ سواء.

فمن الأمثلة على تربية القرآن للفرد:

تحذير القرآن له من عداوة الشيطان، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[(٤)].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾[(٥)].

---

(١) سورة البقرة: آية ١٩٥.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٣٩.

(٣) سورة النساء: آية ١٠٤.

(٤) سورة يوسف: آية ٥.

(٥) سورة الفرقان: آية ٢٩.

وتحذيره من الغرور وعاقبته، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ (٦) ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ (٨)﴾[1].

وتحذيره الطغيان وعاقبته: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ (٦) أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ (٨)﴾[2].

وتذكيره بتحمل تبعات ما يفعل: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا (١٣) ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا (١٤) مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا (١٥)﴾[3].

وبالجملة، فإنَّ التربية القرآنية شملت الإنسان في كل تصرفاته وحركاته وسكناته، فكل ما يتعلق بالفرد قد وضعت له التربية القرآنية ما يصلحه، وما فيه سعادته في دنياه وآخرته، قال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾[4].

---

(١) سورة الانفطار: الآيات ٦ – ٨.

(٢) سورة العلق: الآيات ٦–٨.

(٣) سورة الإسراء: الآيات ١٣– ١٥.

(٤) سورة القيامة : آية ٣٦.

ومن الأمثلة على تربية القرآن للجماعة:

مطالبته لها بالتماسك والوحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[1].

ويعلمنا القرآن روح الجماعة، حتى في دعاء الله ورجائه، قال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] .

ويذكرها باشتراك أفرادها في تحمل التبعات، قال جل وعلا: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾[4].

ويعلمها أن الخير في الجمع بين التفكير الفردي والتفكير الجماعي، كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ

(١)سورة آل عمران: آية ١٠٣.

(٢) سورة الفاتحة: الآيات ٥- ٧.

(٣) سورة الحشر: آية ١٠.

(٤) سورة المائدة: آية ٣٢.

تَتَفَكَّرُواْ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[2]، وقوله جل وعلا: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[3].

ويبين لها أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، والسعي للإصلاح فريضة على الجماعة المسلمة في مجموعها، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4]، وقال جل وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[5]، وقال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[6] .

وبالجملة، فإنَّ التربية القرآنية شملت البشرية في كل تصرفاتها وحركاتها وسكناتها، ووضعت لها التربية القرآنية ما يصلحها، وما فيه سعادتها في الدنياه والآخرة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة سبأ: آية ٤٦.

(٢) سورة الشورى: آية ٣٨.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٥٩.

(٤) سورة آل عمران: آية ١٠٤.

(٥) سورة آل عمران: آية ١١٠.

(٦) سورة المائدة: آية ٢.

(٧) سورة المؤمنون: آية ١١٥، ١١٦.

المطلب الثاني : الاقتصاد والتدرج

يقرر القرآن الكريم أن التربية ليست عملية تحول مفاجئ في السلوك، وإنما هي عملية تحول تدريجي، يعتمد على التدرج في التوجيه شيئاً فشيئاً، حتى تؤتي التربية ثمارها المرجوة.

وهذا التدرج قد اختاره الله تعالى لنفسه في إنشاء هذا الكون، فالله جل وعلا بالرغم من قدرته المطلقة التي لا تحدَّها حدود، كما قال جل وعلا: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2]؛ بالرغم من ذلك فإنه سبحانه لم يخلق الكون دفعة واحدة، وإنما تدرج في خلقه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[3]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[4]، وغيرها من آيات؛ ليكون ذلك دلالة لخلقه أن يتدرجوا في كافة أمورهم.

ومن طبع الإنسان أنه لا يتغير فجأة، وإنما تمر عليه مراحل من التفكير والتجريب والنظر والتأمل والإدراك حتى يتغير سلوكه .

---

(١) سورة البقرة: آية ١١٧.

(٢) سورة النحل: آية ٤٠.

(٣) سورة الأعراف: آية ٥٤، وسورة يونس: آية ٣.

(٤) سورة هود: آية ٧.

وقد راعت التربية القرآنية هذا التدرج، فأنت إذا نظرت في ترتيب نزول القرآن، رأيت أن أول الآيات والسور نزولاً كانت تتحدث عن العقائد وتثبيت الإيمان في القلوب، وذكر أحوال الأمم السابقة، والكلام على الجنة والنار وأحوال القيامة، ولم ينزل فيها أول الأمر شيئاً من العبادات والحلال والحرام والتكليفات الشرعية، ولو نزل ذلك أول الأمر لما استجاب الناس لذلك في الغالب الأعم، فهو حدثاء عهد بإيمان، ويحتاجون إلى تربية متدرجة حتى يقبلوا الحلال والحرام والتكليفات الشرعية، فكان أول ما نزل من القرآن تبشير وتحذير، وتنبيه إلى عاقبة الأمم السابقة التي كذبت رسلها، وماذا فعل الله بهم، ثم في مرحلة لاحقة، نزلت الأوامر بالعبادات، وتحريم المنكرات، مع مراعاة التدرج في ذلك.

تقول عائشة رضي الله عنها: «إنما نزل أولُ ما نزلَ منه — أي: من القرآن – سورةٌ من المفَصلِ، فيها ذكرُ الجنة والنارِ، حتى إذا ثابَ الناسُ إلى الإسلامِ، نزلَ الحلالُ والحرامُ، ولو نزل أولَ شيءٍ: لا تشربوا الخمرَ، لقالوا: لا ندعُ الخمرَ أبداً، ولو نزل: لا تزنُوا، لقالوا: لا ندعُ الزّنا أبداً، لقد نزلَ بمكةَ على محمدٍ ﷺ، وإنّي لجاريةٌ ألعبُ:﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[1]، وما نزلتْ سورةُ البقرةُ، والنساءِ إلا وأنا عندَهُ »[2].

بل إن نزول القرآن مفرَّقاً على الأيام والليالي، والوقائع والأحداث، ما هو إلا مراعاة لسنة التدرج، وتثبيتاً وتربية للنبي ﷺ ولأمته من بعده، وقد قال الله تبارك وتعالى:

---

(١) سورة القمر: آية ٤٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، (٤٩٩٣) (١٨٥/٦).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[١].

قال عبد العظيم الزرقاني – رحمَه الله – في معرض حديثه عن الحكمة من نزول القرآن مُفَرَّقاً: (أن في التنجيم تيسيراً من الله في حفظه وفهمه، ومعرفة أحكامه وحكمه، وذلك مُطَمْئِن له – أي: للنبي ﷺ – على وعي ما يوحى إليه حفظاً وفهماً، وأحكاماً وحكماً، كما أن فيه تقويةً لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله)[٢].

وقال في الحكمة الثانية من نزول القرآن مفرَّقاً: (التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة، علماً وعملاً) [٣].

ومن مظاهر هذا التدرج: تحريم الخمر، فقد كان شرب الخمر منتشرا في الجاهلية وفي صدر الإسلام، ولا بُدَّ من تحريمها لما يترتب عليها من أضرار لا تخفى على ذي عينين، ولو نزل تحريمها فجأة لشق ذلك على الناس، وربما لم يستجب الكثيرون للنهي، لإلفهم شربها، وتعودهم عليها، فجاء تحريمها متدرجاً، على ثلاثة مراحل.

المرحلة الأولى: بين الله جل وعلا فيها أن للخمر منافع للناس، وأنها تشتمل على إثم كبير، وأن إثمها أكبر من نفعها، فقال جل وعلا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[٤]،

---

(١) سورة الفرقان: آية ٣٢.

(٢) الزرقاني، مناهل العرفان، (٥٣/١)، ومعنى التنجيم: أي التفريق، والمراد نزول القرآن مُفرَّقاً على الحوادث والأزمنة المختلفة في ثلاث وعشرين سنة، فقد كانت السورة تنزل دفعة واحدة، أو ينزل مقطع منها، أو تنزل الآية الواحدة أو مقطع منها، قال تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾(الإسراء: ١٠٦)، أي: لتقرأه على مهل، فيتمكَّنوا من حفظه والعمل بما جاء فيه.

(٣) الزرقاني، مناهل العرفان، (٥٥/١).

(٤) سورة البقرة : آية ٢١٩.

فكان ذلك تنبيهاً على خطرها ، ومشعراً بإمكانية تحريمها .

والمرحلة الثانية : حصل فيها تحريمها قبيل وقت الصلاة، بحيث يقبل المرء على صلاته وهو عاقل لها، مدركاً لأقواله وأفعاله فيها، غير سكران؛ فقال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ ﴾[1] .

وفي المرحلة الثالثة، وبعد أن أدرك الناس شرَّ الخمر، وأن إثمها أكبر من نفعها، وبعد أن اعتادوا على البعد عنها على مدار اليوم والليلة قبيل الصلوات وفي أثنائها، نزل تحريمها النهائي، والمستمر في كل الأوقات، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[2].

ولأجل التدرج في التربية، كان النبي ﷺ يتخوَّلُ أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم[3].

وهكذا كان الصحابة الكرام، والسلف الصالح من بعدهم، يأخذون أنفسهم بالاقتصاد والتدرُّج وينصحون غيرهم بذلك، وسار على منوالهم مَنْ جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم إلى أيامنا هذه.

وتقدم أثر أبي عبد الرحمن السُّلَمي – رحمه الله — عندما ذكر عن الصحابة الكرام أنهم كانوا يتعلمون عشر آيات ولا ينتقلوا لغيرها إلا عندما يفهموا معناها ويعملوا بها.

---

(١) سورة النساء : آية ٤٣.

(٢) سورة المائدة: الآيات ٩٠ –٩١ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة، (٧٠) (٢٥/١)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة (٢٨٢١) (٢١٧٢/٤).

المطلب الثالث : الواقعية وعدم المثالية

فالتربية القرآنية تنطلق من منهج واقعي، فهي تنظر إلى الطبيعة الإنسانية من خلال كون البشر مختلفون فيما بينهم، متنوعون في صفاتهم، متعددون في فصائلهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[1]، وقال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2] .

وهذا المنهج التربوي الواقعي يتعامل مع الفرد من منطلق أنه بشر يصيب ويخطئ، بعيداً عن المثالية والكمال – إذ الكمال لا يكون إلا لله عز وجل وحده –، فالتربية القرآنية لا تتعامل مع مثاليات لا وجود لها في عالم الواقع ، بل تتعامل مع الإنسان في عالم الواقع، وفي حدود إمكاناته وقدراته التي خلقه الله بها، ولم تكلفه فوق ما يطيق، بل تستهدف الوصول به إلى أن يأتمر بما أمره به ربه، وينتهى عما نهاه عنه، في حدود طاقته واستطاعته.

إن التربية القرآنية تأخذ الإنسان بواقعه الذى هو عليه، تراعي حدوده وطاقاته، وتراعي مطالبه وضروراته، وتراعي ضعفه أمام الفتن والمغريات، وضعفه أمام الفرائض والتكاليف؛ فتجدها تساير فطرته[3] في جميع ذلك، ولا تفرض عليه من التكاليف ما يفوق قدرته، أو يعجز عن أدائه .

---

(١) سورة الروم : آية ٢٢.
(٢) سورة الحجرات: آية ١٣.
(٣) الفطرة : هي الخِلقة التي خلق الله الخلق عليها. انظر، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة فطر (٤/٥١٠). وفطرة الناس واحدة في كل زمان ومكان، ما لم تتغير بعوامل التغيير المختلفة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(سورة الروم: آية ٣٠).

قال تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، وقال جل وعلا: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾[3]، وقال تبارك وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[4]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا﴾[5]، وقال جل وعلا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[7]،وقال تعالى:﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٣٣.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

(٣) سورة الأنعام: آية ١٥٢، وسورة الأعراف: آية ٤٢.

(٤) سورة الطلاق: آية ٧.

(٥) سورة المؤمنون: آية ٦٢.

(٦) سورة التغابن : آية ١٦.

(٧) سورة النساء: آية ٢٧، ٢٨.

(٨) سورة الحج: آية ٧٨.

المطلب الرابع: الوسطية والاعتدال

فالتربية القرآنية تنضبط بوسطيتها واعتدالها، وكلمة (الوسط) تعني: الأفضل والأخير والأعدل، وهو التوسط بين الأطراف، فلا إفراط ولا تفريط، ولا مغالاة ولا تساهل، وإنما وسطية واعتدال.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وإذا كان الإنسان يتكون من جسد وروح، ولكل منهما حاجاته ومتطلباته، فإن منهج التربية القرآنية قد راعى ذلك بشكل متوازن، بحيث لا يطغى الاهتمام بجانب على حساب جانب آخر، فأولت كلاً من الجسد والروح من العناية والاهتمام ما يصلحهما معاً، ولم تهتم بالجسد على حساب الروح كما فعل اليهود، ولا بالروح على حساب الجسد كما فعل النصارى، وإنما اهتمت بالروح والجسد على حد سواء، وبطريقة متوازنة متناغمة، ولذلك تعتبر التربية القرآنية حسنة بين سيئتين، وفضيلة بين رذيلتين، وهى بذلك تقف موقفاً وسطاً بين تطرف الماديين وتشدد الرهبانين.

ومن مظاهر الوسطية والاعتدال في التربية القرآنية: دعوة القرآن إلى العمل للآخرة مع عدم نسيان الدنيا، فالدنيا مزرعة الآخرة، والاعتدال والوسط يكون في عدم طغيان

---

(١) سورة البقرة: آية ١٤٣.

أحدهما على الآخر، قال تعالى : ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾(1).

ومن ذلك: دعوة القرآن للتوسط في الأكل والشرب، وعدم الإسراف؛ قال جل وعلا: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾(2) .

ومن ذلك: دعوة القرآن إلى التوسط والاعتدال في الإنفاق، من غير إسراف وتبذير، ومن غير بخل وتقتير؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾(3)، وقال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾(4) .

قال الإمام الشاطبي- رحمه الله -: « مقصد الشارع من المكلَّفِ الحملُ على التوسط من غير إفراط ولا تفريط ... والوسط هو معظم الشريعة وأم الكتاب، ومن تأمل موارد الأحكام بالاستقراء التام عرف ذلك»(5).

---

(1) سورة القصص : آية ٧٧ .

(2) سورة الاعراف : آية ٣١.

(3) سورة الإسراء : آية ٢٩.

(4) سورة الفرقان : آية ٦٧.

(5) الشاطبي، الموافقات، (٢٧٦/٥، ٢٧٨).

والتشريع الإسلامي كله حاملٌ على التوسُّط والاعتدال، فدين الله الذي ارتضاه لخلقه هو الوسط والاعتدال، وهو الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

المطلب الخامس : الموضوعية والتجرد ومحاربة الهوى:

وهذا الضابط من أبرز ضوابط التربية القرآنية: فمحاربة المرء لهواه، والتجرد، والبعد عن المؤثرات في تكوين الرأي، أو تحصيل المعلومات، من أبرز أسس التربية السليمة، ولذلك يقول القرآن الكريم: "ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن"، ويقول "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين."

(١) سورة الأنعام: آية ١٥٣ .

الخاتمة

– انطلقت التربية القرآنية الفريدة من النظرة الصحيحة للإنسان، فهو مخلوقٌ كرَّمه الله تعالى، وفضله على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً.

– تحقيق الإنسان للعبودية الحقة لله، وخلافته في الأرض وعمارتها على الوجه المطلوب، لا يكون إلا بتربية الإنسان وتهذيبه، فرداً وجماعةً وأمَّةً، ومن هنا كانت التربية القرآنية فريضة في أعناق الجميع، وأمانة يحملها الجيل للجيل الذي بعده، ويؤديها المربون لأنفسهم ولغيرهم.

– **التربية لغة:** تدور على ثلاثة معاني رئيسة: الزيادة والنمو والعلو، والنشأة، والرعاية والإصلاح، والتربية اصطلاحاً: تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، والتربية الصحيحة المثمرة تتكون من عدة عناصر، وهي:

الأول: تصفية النفس من الشوائب والكدورات، وهو ما يسمى بالتخلية.

الثاني: تعليمها ما ينفعها في الحياة العملية، وهو ما يسمى بالتحلية، ويدخل في ذلك: نمية المواهب والقدرات والإمكانيات لدى الشخص، واستعداداته كلها، وهي كثيرة متنوعة.

الثالث: المحافظة على الفطرة ورعايتها، ويدخل في ذلك: توجيه الفطرة إلى ما فيه صلاحها وكمالها اللائق بها.

الرابع : التدرج، فالتربية تحتاج إلى وقت وتدرج.

– القرآن الكريم هو الأساس الأول للتربية والثقافة في المجتمع الإسلامي، وهو المثل الأعلى للمسلمين فيما يقرره من عقائد وعبادات، ومعاملات وأخلاق، وقصص وحكم وأمثال.

- تتميز التربية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم بأنها تهتم بالحواس والعقول، كما تهتم بالقلوب والأرواح؛ فالقرآن يدعو إلى استخدام الحواس -كالسمع والبصر- في النظر والتأمل، ويدعو إلى استخدام العقل للإدراك، والتفكير، وتحصيل العلم والمعرفة، ويدعو إلى تطهير النفس والقلب ليكون هناك إشراق روحي، وتعليم وفتح رباني.

- للقرآن الكريم أسلوب رائع، ومزايا فريدة في تربية النفس البشرية، فهو يفرض الإقناع العقلي مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية، وهو بذلك يربي العقل والعاطفة جميعاً، متمشياً مع فطرة الإنسان في البساطة، وعدم التكلف، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة.

- التربية بالقرآن تقوم على أسس لا بد منها، ولا تؤتي التربية القرآنية ثمارها إلا بارتكازها على تلك الأسس، وأهم هذه الأسس خمس، وهي:

الأول: الأساس الإيماني (صحة العقيدة) .

الثاني: الأساس العلمي (العلم النافع).

الثالث: الأساس العملي (العمل بالعلم- صحة العبادة).

الرابع: الأساس الفكري (سلامة التفكير).

الخامس: الأساس النفسي (طمأنينة النفس).

- للتربية بالقرآن ضوابط، تحدد مسارها، وتضبط توجهاتها، وتزيد من ثمرتها المرجوة، وأبرز هذه الضوابط، خمس ضوابط، وهي:

الأول: شمولية التربية.

الثاني: الاقتصاد والتدرج.

الثالث: الواقعية وعدم المثالية.

الرابع: الوسطية والاعتدال.

الخامس : الموضوعية والتجرد ومحاربة الهوى.

فهرس المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٢. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، **صيد الخاطر**، بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٣. ابن المقرئ، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ)، **المعجم**، تحقيق: أبي عبد الحمن عادل بن سعد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤. ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، **الإيمان**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٥. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: ٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٦. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٧. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .

٨. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق**: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٩. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، **الزهد**، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٠. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١١. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية، بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢. البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، **معالم**

التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

١٣. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٤. الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، **الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٥. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٦. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، **اقتضاء العلم العمل**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ .

١٧. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

١٨. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

١٩.الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـــ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٢٠.الزرقاني، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

٢١.السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، **الدر المنثور**، الناشر: دار الفكر، بيروت.

٢٢.الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، **الموافقات**، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٣.الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، والدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢٤.عبد العزيز القاري، الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، **سنن القراء ومناهج المجوِّدين**، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ.

٢٥.الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٢٦.الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـــ)، **رسالة أيها الولد**، تحقيق: علي محيي الدين علي القره داغي الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

التربية القرآنية بين النظرية والتطبيق

بقلم

د.عبد الله موسي محمد أبو المجد

الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين – قسم القرآن وعلومه .

١٤٣٦هـ – ٢٠١٤م.

ملخص البحث

القرآن كتاب الله الخالد، ودستوره وشرعه التالد، ومأدبته سبحانه لخلقه، جمع فيه علم الأولين والآخرين، ومنحه لهذه الأمة المباركة، بعد أن بلغت البشرية نضجها، وأوج كمالها، وجعل فيه من معالم التربية ما يكون كفيلًا بصلاح الأمة بجميع أفرادها في العاجل والآجل، ونوّع لهم هذه التربية القرآنية من إيمانية ونفسية وجدانية وخلقية واجتماعية واقتصادية... حتى لا ترنو أبصارهم إلى غيره، ولا تتطلع نفوسهم إلى سواه...

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية وريادة الدور العظيم الذي نيط بهذه الأمة في بيان هذه التربية القرآنية لنفسها أولًا ثم للناس ثانيًا، وتظهر منه أيضًا أهمية الموضوع والذي بعنوان " التربية القرآنية بين النظرية والتطبيق" للمشاركة به في (ملتقى التربية بالقرآن) والذي تقيمه جمعية "تبيان" بمكة المكرمة بالتنسيق مع جامعة أم القرى...

ويقع البحث في مبحثين، أولهما: عن مفهوم التربية القرآنية، ومتعلقاته، وثانيهما: عرضت فيه بعض تجاربي الخاصة في التربية القرآنية مع الطلاب ثم مع الأهل، وأخيرًا أسأل الله العلي العظيم أن يوحّد الصفوف، ويخلص النوايا، ويكلِّل الأقوال والأعمال بالنجاح والتوفيق والسداد، وأن يهدينا جميعًا لما صلاح العباد، والخير للبلاد، الحاضر منها والباد، بما ينفعنا به يوم التناد، يوم يقل الزاد، ولا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، نسأل الله تعالى أن نكون جميعًا منهم، اللهم آمين .

والله الموفق والمعين.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير المربين والمعلِّمين، وخاتم النبيين والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى أصحابه وآل بيته أجمعين... ثم أما بعد :

فإن حاجة المسلمين اليوم ماسّة للعودة إلى القرآن الكريم قراءة وتدبراً واستنباطاً، وفهماً وتطبيقاً- وهو الأهم - من أجل استئناف المسيرة الحضارية، وتقويم ما ظهر من اعوجاج وتحريف في الفهم والسلوك ، باعتبار أن القرآن الكريم المصدر الرئيس في التشريع والمعرفة والتربية والأخلاق... وغيرها.

وهو كتاب الله الخالد، ودستوره وشرعه التالد، ومأدبته سبحانه لخلقه، جمع فيه علم الأولين والآخرين، ومنحه لهذه الأمة المباركة، بعد أن بلغت البشرية نضجها، وأوج كمالها، وجعل فيه من معالم التربية ما يكون كفيلًا بصلاح العالم أجمع في العاجل والآجل، ونوّع للبشرية هذه التربية القرآنية من إيمانية ونفسية وجدانية وخلقية واجتماعية واقتصادية...حتى لا ترنو بأبصارها إلى غيره، ولا تتطلع نفوسها إلى سواه...

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية وريادة الدور العظيم الذي نيط بهذه الأمة في بيان هذه التربية القرآنية لنفسها أولًا ثم للناس ثانيًا، وتظهر منه أيضًا أهمية الموضوع والذي بعنوان " **التربية القرآنية بين النظرية والتطبيق**" للمشاركة به في (ملتقى التربية بالقرآن- مناهج وتجارب) والذي تقيمه الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه "تبيان" بمكة المكرمة بالتنسيق مع جامعة أم القرى حماها الله تعالى وجميع بلاد المسلمين،... وأسأل الله تعالى أن ينفع به البلاد والعباد...اللهم آمين.

هذا وإن البحث يتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة، فأما المقدمة فتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث ومنهجه ...

وقد ألمحت فيما سبق إلى أهمية الموضوع، وأعرّج الآن إلى:-

أسباب اختيار هذا الموضوع :

هذا وتتركز أسباب اختياري لهذا الموضوع في النقاط التالية:-

أولًا: مدى حاجة الأمة الماسَّة اليوم للعودة إلى المنهج القرآني القويم في التربية بجميع أنواعها وألوانها، لتسعد بها في دنياها وأخراها.

ثانيًا: اكتواء كثير من أبناء هذه الأمة المباركة بنيران النظريات والفلسفات التربوية الغربية الوافدة، والتي تضر أكثر مما تنفع، وتهدم أكثر مما تنفع غالبًا.

ثالثًا: خوضي لكثير من التجارب التربوية القرآنية، والتي وجدت عظيم نفعها، وأثرها على طلابي وطالباتي بالجامعة، وأهل بيتي، فلما علمت بهذا الملتقى المبارك استخرت الله تعالى في أن أبادر بالمشاركة فيه بعرض مثل هذه التجارب لعل الله تعالى أن ينفع بها أحدًا من المسلمين.

هذا وإن خطة البحث كما يلي:-

المبحث الأول : مفهوم التربية القرآنية، ومتعلقاته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : المراد بـ" التربية القرآنية" في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني : مقترحات وضوابط في التربية القرآنية.

والمبحث الثاني : من تجاربي الخاصة في التربية القرآنية.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : من تجاربي في التربية القرآنية مع طلابي.

المطلب الثاني : من تجاربي في التربية القرآنية مع أهل بيتي، ثم الخاتمة، وبها النتائج والتوصيات.

منهج البحث وخطواته :

سيسلك البحث "المنهج النقدي" وذلك برصد بعض الظواهر التربوية ثمّ نقدها نقداً بنّاء ، وعرضها على المنهج العلمي القويم ، ثم طرح بعض الحلول والمقترحات والتجارب كطريقة لإحياء التربية بالقرآن، والعودة إلى منهج السلف، هذا وتتسم خطوات معالجتي لهذا الموضوع بما يلي :-

أولاً : عرضت بعضًا من المسائل المتعلقة بالتربية القرآنية وتعريفها، والضوابط التي ينبغي أن تُضبط بها بشيء من الاختصار طلبًا لتركيز الفائدة، وعموم النفع بإذن الله تعالى.

ثانيًا : ثنَّيت البحث باقتراح بعض المقترحات والتجارب التربوية التي قمت بها بالفعل مع الطلاب على اختلاف مستوياتهم، والأبناء في بيتي، والتي كان لها عظيم النفع على الصعيدين، وسقتُها هنا لعل الله تعالى أن ينفع بها أحدًا من المسلمين، كما أرجو به النفع والقبول عند رب العالمين سبحانه.

ثالثًا : بالنسبة لتوثيق المراجع في هوامش الصفحات كنت أذكر معلومات المصدر كاملة، حينما يُذكر في أول مرة، وإذا تكرر ذكره ثانية أكتفي باسمه فقط أو مع مؤلفه وذكْر الجزء والصفحة.

رابعًا : قمت بتخريج الأحاديث الواردة في البحث وتتبعها من مصادرها الأصيلة – قدر المستطاع– مع عزو كل قول إلى قائله، فإن من بركة العلم نسبته إلى قائليه.

... وبعد فإن كنت وُفّقت في عرض هذا الموضوع وخدمته خدمة علمية تليق بجلال القرآن الكريم وعظمته فلسان حالي ومقالي يرددان:﴿**وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[هود:٨٨]**.** وإن كانت الأخرى – وأسأل الله أن لا تكون – فدعائي :﴿ **لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾[البقرة:٢٨٦] ، **وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

بقلم د/ عبدالله موسي محمد أبو المجد

المبحث الأول : مفهوم التربية القرآنية، ومتعلقاته

أول ما يُعنى به كل باحث في مطلع كلامه أن يوضّح المراد من بحثه ، ويحدِّد ما يتعلق به من جزئيات وتفاصيل ، حتى تتضح معالمه كلها للناظرين والمطالعين[١] لذا فإن معالم ومطالب هذا المبحث متعددة نظرًا لأن العنوان يشتمل على كلمتي " التربية القرآنية" وسيقف البحث مع كل كلمة على حدة، مجلّيًا كلًا منهما في اللغة والاصطلاح كما يلي :

المطلب الأول : المراد بـ"التربية القرآنية"في اللغة والاصطلاح

أولاً : التعريف اللغوي للفظ "التربية".

من خلال النظر في معاجم العربية نجد أن لفظ "التربية" مشتق من الثلاثي "رَبَبَ"، أو "رَبَا" وهاتان المادتان يدوران في اللغة حول عدة معان:-

أولها: المُلْك.

من أول معاني هذه "الملك والامتلاك" يقال: فلان ربُّ هذا الشيء، أي: مُلْكه له، والله تعالى رَبُّ كلِّ شيء، أي: مالكه، وله الرُّبوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو ربُّ الأرباب، ومالك الملوك والأملاك، ولا يقال الرَّبُّ في غير اللهِ إلا بالإضافة، فيقال: هو رَبُّ الدَّابة، ورَبُّ الدَّار، وفلان رَبُّ البيت... والرَّبُّ يُطلق على المالك، والسَّيِّد، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنعِم[٢]... ونحوه.

---

(١) اعتاد كثير من الباحثين في مثل هذا الموطن أن يضعوا الفاصلة المنقوطة (؛) متعلِّلين بأنها توضع بين جملتين، الثانية علة للأولى ، وهذا خطأ شائع لأن الثانية في هذا الموضع وأشباهه ليست جملة ، إنما هي شِبْه جملة ، بُدئت بحرف علة ، وكذلك لا تُوضع قبل كل جملة بُدئت بـ "لام العلة" والله أعلم (يراجع : الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية أ/ محمود عبد الرازق جمعة ص٣٠٩).

(٢) يراجع : تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، ١/١٣٠،تح أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين – بيروت ١٤٠٧ هـ ، و لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ) ، ١/ ٣٩٩ ط دار صادر، بيروت"ربب"..

ثانيها: القيام على الشيء وحفظه وإصلاح شأنه.

من معاني مادة "ربب" في العربية أيضًا: القيام على الشيء وحفظه وإصلاح شأنه.

يقال: رَبَّ ولَدَه يَرُبُّهُ رَبّاً، ورَبَّبَه تَرْبِيبا، بمعنى رَبَّاه، وربِيبةُ الرجل: ابنة امرأته من غيره، لِأَنَّهُ يَقُومُ بِهَا غَالِبًا تَبَعًا لِأُمِّهَا، والرَّبِيبَةُ: الحَاضِنَةُ، وسُميت بذلك لأَنها تُصْلِحُ الشيءَ، وتَقُوم بِهِ، وتَجْمَعُه، والرَبِيبَةُ أيضاً: واحدةُ الرَبائِبِ من الغَنَم التي يُرَبِّيها الناس في البيوت لألبانها، والربَّانِيُّون مِنَ الرَّبِّ، بِمَعْنَى التربيةِ، كَانُوا يُرَبُّونَ المتَعَلِّمينَ بِصغار العُلوم قبلَ كبارِها، والرَّبَّانِيُّ: الْعَالِمُ الرَّاسِخُ فِي العِلم وَالدِّينِ، أَو الَّذِي يَطْلُب بِعلْمِه وجهَ اللهِ تعالى.

وفي الحديث "هل لك نِعْمة تَرُبُّها؟..."[١]، أي: تحْفَظُها وتُراعِيها وتُرَبِّيها، كَمَا يُرَبِّي الرَّجُلُ ولدَه[٢].

ثالثها: الزيادة والنماء.

ومن أظهر معاني مادة "رَبَا" أيضًا: الزيادة والنماء، يقال: رَبَّب النِّعْمةَ يَرُبُّها رَبّاً: نَمَّاها،وزادَها،وأَتَمَّها، وأَصْلَحَها، وَيُقَالُ: رَبَّيْتُهُ وَتَرَبَّيْتُهُ، إِذَا غَذَوْتُهُ، ونَمَا وَزَكَا وَزَادَ، ومنه قوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[الحج: ٥]،أي:زَادَتْ وَنمَتْ،وانْتَفَخَتْ وَعَلَتْ[٣].

---

(١) صحيح: رواه مسلم في صحيحه ك (البر والصلة والآداب) ب (فضل الحب في الله) ح (٢٥٦٧) يراجع الصحيح ١٩٨٨/٤.

(٢) لسان العرب ١/ ٤٠٣، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ص ٢١٤، ط المكتبة العلمية - بيروت ، وتاج العروس ٤٦٨/٢ "ربب".

(٣) لسان العرب ١/ ٤٠٣، تاج العروس ٣٨٦/١٥ "ربب"و"هز".

رابعها: الإقامة واللزوم.

يقال: أَرَبَّت الإبلُ بِمَكَانٍ كَذَا: لَزِمَتْه وأَقامَتْ بِهِ، فَهِيَ إِبِلٌ مَرابُّ، لَوازِمُ، وأَرَبَّتِ الناقةُ بِوَلَدِهَا: لَزِمَتْه وأَحَبَّتْه، مِن أَرَبَّ بالمكانِ وأَلَبَّ إِذا أَقامَ بِهِ ولَزِمَه؛ وَكُلُّ لازِمِ شيءٍ مُرِبٌّ، وأَرَبَّ فُلَانٌ بِالْمَكَانِ، وأَلَبَّ، إِرْباباً، وإِلباباً إِذا أَقامَ بِهِ، فَلَمْ يَبْرَحْه(١).

خامسها: الجمع والكثرة.

من المعاني أيضًا: الجمْع والعدد الكثير، ومن ذلك قولهم: فلَان مَرَبٌّ، أَي مَجْمَعٌ يَرُبّ النَّاس ويَجْمَعهم ، ومكانٌ مَرَبٌّ، أَي يَجْمع النَّاس، والأَرِبَّة: الجَماعاتُ؛ واحدتها: رَبَّةٌ. وَقَالَ عزّ وجلّ:﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ** ﴾[آل عمرَان: ١٤٦].

قَالَ الفرّاء: الرِّبِّيُّوْن: الأُلوف، وَقَالَ الزّجاج: رِبّيون، بِكَسْر الرَّاء وَضمّهَا، وهم الجماعةُ الكَثِيرة(٢).

والخلاصة: أنه من خلال النظر في هذه المعاني اللغوية السابقة نجد أن مادتي "ربب" و "ربا" تتسعان لتشمل هذه المعاني كلها وأكثر، لكني اقتصرت على أبرزها، ويُعدُّ المعنى الثاني: "**القيام على الشيء وحفظه وإصلاح شأنه**" أقرب هذه المعاني المذكورة لما نحن بصدد الحديث عنه، ويقترب منه كذلك المعنى الثالث: "**الزيادة والنماء**" فمن ربّى شيئًا قام على إصلاح شؤونه وإصلاح أمره، وتعهّده بالرعاية والحفظ حالًا بعد حال، حتى ينمو ويزداد، ويصل إلى درجة الكمال، أو يقترب منها، وبقية المعاني لا تبعد كثيرًا عن المراد، والله أعلم.

---

(١) تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهري، ١٢٩/١٥ "ربب"، تح أ / محمد عوض ط دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.

(٢) يراجع: تهذيب اللغة ١٥/ ١٢٩، لسان العرب ١/ ٤٠٣، ومعاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) ٢٣٧/١،تح أ/ أحمد يوسف النجاتي وآخرين ،ط الدار المصرية للتأليف والترجمة، ومعاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق بن إبراهيم بن السَّري الشهير بالزجاج (ت ٣١١هـ) ٤٦٧/١، تح د/ عبد الجليل شلبي ، ط دار الحديث بالقاهرة ١٩٩٧م

ثانيًا : التعريف الاصطلاحي

على الرغم من كون المعنى الاصطلاحي لكلمة التربية يعتمد كثيراً على المعنى اللغوي إلا أنه يختلف من عصرٍ إلى عصر ، ومن مكانٍ إلى آخر ، وما ذلك إلا لأن العملية التربوية كثيراً ما تتأثر بالعوامل والتغيرات الزمانية والمكانية والاجتماعية التي تؤثر بصورةٍ مباشرة أو غير مباشرة على شخصية الإنسان في مختلف جوانبها على اعتبار أن كل نشاط، أو مجهود، أو عمل يقوم به الإنسان يؤثر بطبيعة الحال في تكوينه، أو طباعه، أو تعامله، أو تكيفه مع البيئة التي يعيش فيها ويتفاعل مع من فيها وما فيها، إما سلبًا أو إيجابًا[١].

وعلى ضوء ذلك فقد اختلفت رؤى العلماء في تعريفها: فعرفها البيضاوي بأنها:

(تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً) [٢]، وعرفها الراغب بقوله: (الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حدّ التمام) [٣] .

أما لفظ "التربية" في **اصطلاح التربويين** فقد عُرِّف بتعريفات كثيرة بينها تقارب وتباعد، وليس هذا مقام تتبع تلك التعريفات، بل أكتفي بما أراه يوضح المقصود، ويوفي بالغرض، حيث عرفها بعضهم بأنها:

---

(١) التربية الإسلامية – المصطلح والمفهوم أ.د/صالح عراد أستاذ التربية الإسلامية بكلية المعلمين بأبها، ص ٢٧ بتصرف.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ٢٨/١، تح/محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨هـ.

(٣) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) ص٣٣٦" رب" ، تح/ صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم، الدار الشامية – دمشق، ١٤١٢هـ .

تنشئة الفرد وإعداده على نحو متكامل في جميع الجوانب العقدية والعبادية والخلقية، والعقلية والصحية، وتنظيم سلوكه وعواطفه في إطار كلي يستند إلى شريعة الإسلام، من خلال الطرق والإجراءات التي تقبلها الشريعة [١].

ومن خلال التأمل في هذه الأصول اللغوية والاصطلاحية العامة، نجد أن التربية تتكون من عناصر:

أولها: المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.

ثانيها: تنمية مواهبه واستعداداته كلها، وهي كثيرة متنوعة.

ثالثها: توجيه هذه الفطرة، وهذه المواهب كلها نحو صلاحها، وكمالها اللائق بها.

رابعها: التدرُّج في هذه العملية، وهو ما أشار إليه البيضاوي بقوله: " ... **شيئًا فشيئًا**"، والراغب بقوله: "**حالًا فحالًا**..".

ثم يُستخلص من هذا نتائج أساسية في فهم التربية:-

أولاها: أن التربية عملية هادفة، لها أغراضها وأهدافها وغايتها.

النتيجة الثانية: أن المربي الحق على الإطلاق هو الله الخالق: خالق الفطرة وواهب المواهب، وهو الذي سنن سننًا لنموها وتدرجها وتفاعلها، كما أنه شرع شرعا لتحقيق كمالها، وصلاحها وسعادتها.

النتيجة الثالثة: أن التربية تقتضي خططًا متدرجة تسير فيها الأعمال التربوية، والتعليمية وفق ترتيب منظم صاعد، ينتقل مع الناشيء من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة إلى مرحلة.

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة من حتى البلوغ، د/ محمد بن شاكر الشريف ص١٣، ط الأولى ١٤٢٧هـ.

النتيجة الرابعة: أن عمل المربى تال، وتابع لخلق الله وإيجاده، كما أنه تابع لشرع الله ودينه.[1]

هذا بالنسبة للفظة الأولى "التربية" أما بالنسبة للفظة الثانية وهي **"القرآن"** فأعرف بها في عجالة سريعة فيما يلي:-

أولًا: التعريف اللغوي للفظ "القرآن".

اختلفت وجهة نظر العلماء في أصل الاشتقاق اللغوي للفظ "القرآن" ولكني لا أسترسل في خلافهم بل أقتصر على ما أراه راجحًا، ويميل إليه أكثر العلماء، وهو أنه:

وصف مهموز على وزن "فُعلان" مشتق من القَرْء بمعنى الجمع ، ومنه قرأتُ الماء في الحوض إذا جمعتُه ، لأنه يجمعُ ثمرات الكتب السابقة[2] أو أنه مصدر مهموز بوزن الغُفران ، مشتق من قرأ بمعنى تلا ، سُمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر[3] .

ورجّحت هذا الرأي على غيره لأن المعاجم اللغوية تكاد تكون مجمعة على أن لفظ **"القرآن"** مشتق من **"قرأ"** المهموز لا من **"قرن"** أو غيره ، فمثلاً يقول صاحب اللسان تحت مادة **"قرأ"**: (... قرأت الشئ قرآناً : جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قَرأَتْ هذه الناقة سلىً قط، وما قَرأَتْ جنيناً قط ، أي لم تضم رحمها على ولد قط ...ثم استدل بقول عمرو بن كلثوم:

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، أ/عبد الرحمن النحلاوي، ص ١٧، ط دار الفكر ١٤٢٨هـ.

(٢) يراجع: معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق بن إبراهيم بن السَّري الشهير بالزجاج (ت ٣١١هـ) ٣٠٥/١، تح د/ عبد الجليل شلبي ، ط دار الحديث بالقاهرة ١٩٩٧م، ومباحث في علوم القرآن : د/ صبحي الصالح ص ١٩ ط ٢١ لدار العلم للملايين . بيروت – ١٩٩٧م .

(٣) يراجع: الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ١/ ٦٨بتصرف، ط دار عالم المعرفة، بيروت، ومباحث في علوم القرآن : د/ صبحي الصالح ص ١٩ .

.... هجانِ اللون لم تقرأ جنينـًا) [1]

ويؤيد هذا الرأي أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٧، ١٨]، أي (إن علينا أن نجمعه في صدرك ثم تقرأه "**فإذا قرأناه**" أي إذا أنزلناه عليك ، "**فاتبع قرآنه**" فاستمع له وأنصت) [2].

ووجه الاستدلال بهذه الآية: أنه ورد لفظ "قرآن" فيها مرتين بمعنى القراءة[3]، وذلك مما يؤكد أنه من "قرأ" لا من "قرن" أو غيره، وعليه فلفظ "قرآن" أصله مشتق ومهموز[4]، والله تعالى أعلم .

ثانيًا : التعريف الاصطلاحي.

ما سبق كان بالنسبة للتعريف اللغوي، أما بالنسبة للاصطلاح فأقول:

---

(١) يراجع: لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ) ١٢٨/١، ط دار صادر، بيروت، والقاموس المحيط للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ١ / ٢٤، ط دار الجيل بيروت، وتاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)١ / ١٠١، ط الأولى ١٣٠٦هـ وغيرها "قرأ".

هذا وإن قوله (هجان ... الخ) هو الشطر الثاني لبيت أوله : ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدْماء بِكْر .. هِجَانِ ..

(والعطيل) : الطويلة العنق من النوق (والأدماء) : البيضاء (والبكر) : الناقة التي حملت بطناً واحداً، (والهجان) : الأبيض الخالص البياض (لم تقرأ جنيناً) : أي لم تضم في رحمها ولداً .

والمعنى : أنه يصف ذراعي محبوبته ويقول هما ممتلئان لحماً كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد بعد ، فهي ناقة سمينة، لم تحمل ولداً قط بيضاء اللون (شرح المعلقات السبع لأبي الحسين الزَّوْزني ص ١٢١ ط مكتبة المتنبي).

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠) ٤٨٣/٥ بتصرف، تح / سيد إبراهيم، ط الثالثة لدار الحديث، القاهرة ١٩٩٧م .

(٣) محاضرات في علوم القرآن، أ.د / إبراهيم عبد الحميد سلامة ص ٧، ط مكتب فوزي الشيمي بطنطا .

(٤) ولمزيد من تأييد هذا الرأي يُنظر : مباحث في علوم القرآن د/ صبحي الصالح ص ١٩ ، ٢٠ .

لقد عرّف العلماء "القرآن" بتعاريف كثيرة نختار منها ما اتفق عليه الأصوليون والفقهاء، وعلماء العربية، وغيرهم حيث عرّفوه بأنه هو : "كلام الله تعالى، المنزّل على محمد ﷺ، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته"(١).

وهذا التعريف أشهر من أن يُعلق عليه، وأوضح من أن أعرّج ولو بكلمة واحدة، وأدلف الآن إلى تعريف مصطلح التربية القرآنية بضميمة الكلمتين بعضهما إلى بعض، وأخلُص بتعريف أراه وافيًا للمقصود، موفيًا بالغرض فأقول مستأنسًا بما سبق:

مصطلح التربية القرآنية يعني: تنشئة الفرد وإعداده على نحو متكامل في جميع أموره العقدية والتعبدية والخلقية، والعقلية والنفسية والصحية، وتنظيم سلوكه وعواطفه على وفق ما أمر الله تعالى به في كتابه الكريم.

وهذا التعريف أراه وافيًا بالمرجو من التربية القرآنية، فالفرد المسلم ينبغي أن ينشأ على وفق ما ورد في كتاب الله تعالى، عقيدة وعبادة وخلقًا وسلوكًا وعاطفة ...

ومما لا شك فيه أن السنة شارحة للكتاب، وموضحة لما غمُض منه، ومفصّلة لما أُجمل فيه، ومخصصة لما عُمم فيه... وهكذا، وعلى هذا فلا يمكن أن يُفصل أحدهما عن الآخر، وصدق الله حين قال: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[النحل:٦٤] ، وقال أيضًا: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤]، فحينما نقول: "التربية القرآنية" فإنما يدخل في ضمنها وتحت عباءتها " التربية النبوية" أيضًا، والله أعلم.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني١ / ١٩، ط عيسى الحلبي بالقاهرة .

لكن ينبغي أن يُظهر العلماء هذه المعالم القرآنية التربوية بصورة عصرية سهلة، تتلقفها النفوس، وتتلهف عليها القلوب، وبخاصة هذا العصر الذي كثرت فيه الأقوال والنظريات والفلسفات والآراء... المخالفة لشرع الله تعالى، بل والملحدة أحيانًا، فصارت النفوس الآن متعطشة لهذه التربية القرآنية بجميع ألوانها ومعالمها، نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك، وأن نخدم كتابه بما يوضح معالمه ظاهرة جلية.

المطلب الثاني : مقترحات وضوابط في التربية القرآنية

بعد هذا التطواف السريع بالقارئ الكريم فيما يتعلق بالتعريف، أدلف الآن إلى بعض المقترحات والضوابط التي أرى أنها لا بد منها حتى تؤتي التربية القرآنية أكلها وثمارها المرجوة منها بإذن الله تعالى، والتي أقصُّها فيما يلي: -

الضابط الأول : إخلاص النية لله تعالى .

إذا كان إخلاص النية وصلاحها أمراً مطلوباً في جميع الأعمال والأقوال التي يقوم بها المسلم ، انطلاقاً من قوله تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:٥].وقوله تعالى:﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام/١٦٢]، وقوله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...) (١) فمما لا شك فيه أن صلاح النية أشد طلباً بالنسبة للتربية القرآنية ، وذلك لأنها قد يلاقي فيها الفرد كثيرًا من المشقات والصعوبات، الداخلية والخارجية، الفردية والجماعية، البيئية والأسرية، فهي تحتاج إلى إخلاص وصدق نية، ومجاهدة ومثابرة،

---

(١) صحيح : والحديث بتمامه رواه البخاري -وغيره - في صحيحه ك (بدء الوحي) ب(كيف كان بدء الوحي) ح(١) يراجع : الصحيح ٦/١.

والله تعالى هو الموفق والمعين﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/٦٩]، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم أجمعين.

الضابط الثاني: استشعار الحاجة الماسة للتربية القرآنية.

لا بد أن تستشعر الأمة كلها الحاجة الماسة الآن إلى حسن وعظيم نفع العودة إلى التربية القرآنية، وبخاصة بعد أن جرّبت الأمة كثيرًا من النظريات والفلسفات الغريبة والبعيدة عن القرآن، شرقية كانت أو غربية، وبعد أن ظلت ترزح تحت نير هذه النظريات والفلسفات ردحًا من الزمان آن لها الآن أن تعود إلى منهاج ربها سبحانه وتعالى، الذي رسمه لعباده في كتابه لأنه هداية لها في جميع الميادين، تصديقًا لقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾[الإسراء:٩]، فالله تعالى (يخبر هنا عن شرف القرآن وجلالته، وأنه يهدي للتي هي أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم في جميع أموره) [(١)]، بل إنه سبحانه لما تكفل هنا بالهداية التامة لمن يتبع سبيله، وينهج نهج هذا الكتاب الكريم في التربية وغيرها، وفي المقابل توعَّد من يتنكب صراط هذا الكتاب، ويتبع غير سبيل المؤمنين، من حضارات غربية زائفة، ونظريات وفلسفات وافدة، وتوجيهات تربوية جارفة... فإن له معيشية ضنكًا، كما ينطق بذلك صريح قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ

---

(١) تفسير السعدي ص ٤٥٤ بتصرف.

ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[طه: ١٢٣-١٢٦]،

قوله" فمن اتبع هداي" أي: رسولي وكتابي "فلا يضل ولا يشقى" قال ابن عباس رضي الله عنهما: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب، ولقد ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: المعيشة الضنك: أن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشيء منها، وله معيشة حرام يركض فيها[1].

الضابط الثالث: تغيير واقع الأمة في تعاملها مع القرآن

الناظر في حال أمتنا اليوم مع القرآن الكريم يجد أمراً عجباً ، حيث يلحظ أن كثيراً من أفراد أمتنا اتخذوا القرآن غرضاً للتبرك ، أو ابتغاء الأجر والثواب فجعلوه في بيوتهم وحوانيتهم وسياراتهم لجلب البركة والخيرات ، ودفع الشرور والمضرات ، بل علّقوه في رقاب صبيانهم لدفع الأذى عنهم ، وفي بعض رقاب بناتهم لجلْب الخطّاب والأزواج ... وافتتحوا به مجالسهم وأحفالهم لأجل هذه الأغراض أو ما يقترب منها.

وجلُّهم – إلا من رحم ربي – أبعد ما يكون عن التفكّر في الآيات والوقوف معها ومعرفة تفسيرها ، ومن ثم تطبيقها وتنفيذها .

(فإذا انتقلنا إلى مراكز وحلقات تعليم القرآن الكريم، رأينا أن الطريقة التي يُعلَّم بها يصعب معها استحضار التدبر والتذكر ، إن لم يكن مستحيلاً .. فالجهد كله ينصب على حفظ الحروف وضوابط الشكل من أحكام التجويد والمخارج ، وكأننا نعيش

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣/١٨٠.

المنهج التربوي المعكوس ... فالإنسان في الدنيا كلها يقرأ ليتعلم ، أما نحن فنتعلم لنقرأ! لأن الهمّ كله ينصرف إلى حسن الأداء وإتقان الشكل، وقد لا يعيب الناس عليه عدم إدراك المعنى قدر عيبهم عدم إتقان اللفظ .

ونحن هنا لا نهوّن من أهمية ضبط الشكل ، وحُسن الإخراج ، وسلامة المشافهة، ولكننا ندعو إلى إعادة النظر في الطريقة حتى نصل إلى مرحلة التأمل والتدبر التي ينبغي أن تترافق مع القراءة..)[1].

وهذا بلا شك لم يكن وليد اليوم ، بل هو حصاد موروثات قديمة من التعامل الخطأ مع القرآن امتدت لعدة قرون سابقة، ابتعد فيها المسلمون شيئًا فشيئًا عنه وعن دوره في التوجيه والتأثير وقيادة الحياة، فحُصر دوره في كونه مصدراً للتبرك، والأجر والثواب فقط، وأُطلق مصطلح "أهل القرآن" على حفّاظ حروفه فقط، وأصبح المقصد من تعلّم القرآن وتعليمه هو تعلّم أحكام تلاوته ومخارج حروفه والاقتصار على ذلك[2] دون التطلّع إلى ما سواه مما هو أعظم أثراً وأكثر نفعاً بإذن الله تعالى .

الضابط الرابع: مواكبة العصر في التربية القرآنية بما يحقق النفع.

وحتى يتحقق لنا هذا الضابط أرى أنه ينبغي محاولة الالتزام وتحقيق ما يلي:-

أولاً: العودة بالأمة إلى منهج السلف الصالح في التعامل مع القرآن ، وذلك أن السلف الصالح أخذوا القرآن علماً وعملاً ، فكانوا يحفظونه عشراً عشراً ، ولا يجاوزون عشراً إلى غيرها إلا بعد حفظها وفهمها وتطبيق ما فيها من أوامر ، والانتهاء عما تحتويه من نواهٍ ، وقول أبي عبد الرحمن السلمي في هذا الشأن محفوظ مشهور .

---

(١) كيف نتعامل مع القرآن للشيخ محمد الغزالي ص ١٢ بتصرف ، من مقدمة د/عمر عبيد حسنة لهذا الكتاب .

(٢) اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر د/ فهد الرومي ١٧/١ بتصرف.

فما المانع أن نطبّق هذا المنهج في مدارسنا ومساجدنا وحلقاتنا ، ودور تحفيظ القرآن لدينا ؟! نعم هناك بعض العقبات قد تعترضنا ، كالوقت والمعلّمين المؤهّلين والطلاب المستعدين ... لكن الله تعالى يذلل كل صعب ما خلُصت النوايا ، وتضافرت الجهود ، وتصافت القلوب ، وتلاقت الآراء على ما فيه الخير للعباد والبلاد.

ثانياً : هذا المنهج يستلزم إعادة صياغة التفسير بتنقيته من جميع الشوائب من الإسرائيليات والضعيف والحشو اللغوي والإعرابي...والاقتصار فيه على أرجح الأقوال، وتقديمه بصورة سهلة سلسلة تفهمها عقول الناشئة وغيرهم ، مع التطبيق عشراً عشراً لمن هم فوق ذلك ، مع متابعتهم وتحفيزهم مادياً ومعنوياً نحو المواصلة، **ولعل من حسن** حظ جيل اليوم من الناشئة وغيرهم أن قام كرسي الملك عبدالله للقرآن الكريم بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بإعداد موسوعة قيمة جِدّ طيبة نافعة في هذا المجال، وهي موسوعة "**بهجة القرآء في تفسير القرآن وتدبّره على منهج السلف**" وهي جِدّ طيبة نافعة بأسلوبها الجيّد الجديد الشيّق، وإني لأحمد الله تعالى أن منّ عليّ وجعلني واحدًا من فريق إعداد هذه الموسوعة التي طُبع منها الجزء الأول، وتتوالى بقية الأجزاء إلى ختام القرآن الكريم بإذن الله تعالى.

ثالثاً : إقامة دورات تدريبية للمعلمين في هذه الدور للتدريب على هذا المنهج وهضمه، وكيفية التعامل به، ومن ثم تطبيقه وتنفيذه ، كلٌّ في حلقته .

رابعاً : تكثيف الجهود الدعوية بمختلف أنواعها من خطب ومحاضرات وندوات ولقاءات علمية ومؤتمرات ، ومختلف وسائلها من اللقاء المباشر أو الإلكتروني السمعي والمرئي ، وعبر قنوات التواصل الاجتماعي ..ونحوها لبيان أهمية توجّه الأمّة نحو المنهج التربوي القرآني مع حسن العودة إلي هذا المنهج السلفي المبارك ، والأخذ على أيدي

أبنائهم للانتفاع بهذا النهج الجديد ، فمن المعلوم بداهة أن آخر هذه الأمة لن يُصلَح إلا بما صلح به أولها .

خامساً : توزيع **حفظ وفهم** أجزاء القرآن الكريم على المرحلة الابتدائية لينهي طلابها القرآن حفظاً وفهماً– ولو الغريب فقط – بنهايتها ، ثم يبدأون رحلة جديدة للمراجعة في المرحلة المتوسطة (الإعدادية) ويكملون رحلتهم في الثانوية ، ثم تربط سنوات الجامعة والتخرج فيها باكتمال مراجعة **حفظ وفهم** القرآن الكريم ، وحتى نضمن عدم انسلاخ الأبناء من القرآن بعد التخرج أقترح أيضًا ربط بعض الوظائف والترقِّي فيها بحفظ القرآن الكريم وتفسيره، ولا شك أن دور الأسرة في ذلك كله في غاية الأهمية والفائدة.

الضابط الخامس : التركيز على إبراز التفسير الاجتماعي التربوي.

وفي هذا الضابط مسألتان :

المسألة الأولى: المقصود بالتفسير الاجتماعي التربوي، ولمحة موجزة عنه.

يُقصد بالتفسير الاجتماعي في أبسط تعاريفه أنه : هو التفسير الذي يُعنى بإصلاح المجتمع وتشخيص عيوبه ومشاكله ثم علاجها على ضوء القرآن الكريم ، مع التركيز على كون القرآن نازل للهداية والرحمة [(١)] .

ولا شك أن هذا التفسير سيركِّز على تجلية الآيات القرآنية التي تتعلق بالأسرة والمجتمع والتربية ونحوها، ويسقط الآيات على الواقع، مُشخِّصًا الداء، وواصفًا الدواء القرآني الناجع بإذن الله تعالى، مع التركيز على هدايات القرآن في هذا الجانب وإظهارها للناس بصورة سهلة سلسة.

وعن هذا التفسير يقول صاحب المنار :

---

(١) اتجاهات التجديد د/ محمد شريف ص٢٣١.

(التفسير الذي يجب على الناس – على أنه فرض كفاية – هو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح ، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام ، ليتحقق فيه معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأعراف: ٥٢]، ونحوهما من الأوصاف)[١].

وتبنى هذا التفسير مدرسة حملت لواءه ودافعت عنه ، ظهرت أول ما ظهرت في بدايات القرن الرابع عشر الهجري[٢].

وهذا اللون التفسيري عظيم النفع ، جم الفوائد ، فمن أبرز محاسنه (أن أسلوبه سهل ليس بالحديث المتكلَّف الذي يرقى عن مدارك العامة ، ولا الأسلوب الذي يمجّه ويأنفه الخاصة ، ويهتم بالقضايا التي تهم المجتمع ، وتجلب انتباه سائر الفئات والأجناس إليه ، ثم الولوج من هذا لبثّ مبادئ الإسلام الصحيحة ، والتعرّف على مختلف الطبقات من الملوك والوزراء والأمراء والعلماء والموظفين والفلاحين، والاتصال بكل الفئات، وتوجيه كلٍ منها حسب فلكها ومدارها إلى الوجهة الإسلامية الصحيحة)[٣].

ومن فوائده أيضًا التركيز على المسائل التربوية القرآنية، وإبراز هداياتها للناس، ولولا ما أُخذ على أصحابه من تسييد للعقل وتحكيمه في مسائل ما كان له أن يلج

---

(١) تفسير المنار ٢٢/١ بتصرف .

(٢) من أبرز رجالات هذه المدرسة المؤسس الأول : محمد جمال الدين الأفغاني ، وتلميذه محمد عبده ، وتلاميذه من بعده كمحمد مصطفى المراغي ، ومحمد رشيد رضا .. وغيرهم كثير ، ويسمون أيضاً بأصحاب المدرسة العقلية الحديثة.

(٣) اتجاهات التجديد د/ الرومي ٨٥٧/٢ بتصرف وتلخيص.

فيها أصلاً ، لدرجة أنهم – لتغليب العقل لديهم – أنكروا أحاديث متفقاً على صحتها لمجرد أنها لا تتوافق مع مذهبهم العقلي لكان مذهبًا رائجًا، وذا مكانة وقبول لدى الناس، وإقبال عليه.

المسألة الثانية : مقترحات الإفادة القصوى في هذا المجال .

من خلال ما سبق يتضح لنا أهمية هذا المجال التفسيري ، وإبراز هدايات القرآن من خلاله إلا أنه ينبغي أن يقف فيه العقل البشري موقفه، ويلج ما أباح الشرع له أن يلج فيه .

وأقترح للإفادة من هذا اللون التفسيري ما يلي:-

(أ) تشجيع الدراسات القرآنية التي تركّز على تشخيص الأدوية القرآنية الناجعة لمشاكل الأسرة المسلمة، وبخاصة في عصر الانفتاح الحالي، والذي أصبح فيه أفراد الأسرة الواحدة والبيت الواحد لا يرى بعضهم بعضاً إلا قليلاً، وإن جلسوا في البيت في وقت واحد فإن كل واحد منهم يجلس أو يخلو مع صديقه الحميم (التقنية العصرية بمختلف ألوانها من هواتف ذكية وأيباد وانترنت ومواقع ووسائل التواصل الاجتماعية...وغيرها) وصار في عالم آخر غير العالم الذي حوله، ولو أن الأب أو الأم نادت ابنها أو ابنتها لم تجد مجيبًا — إلا من رحم ربك- فضلاً عن انعدام التعاون فيما بينهم على البر والتقوى ... ونحو ذلك.

(ب) التركيز على مشاكل الشباب وإيجاد الحلول القرآنية لها ، مع إبراز الأساليب والطرق التي تجذبهم إلى ساحة القرآن ومعارفه في عصر طغت فيه التقنيات الحديثة بمختلف ألوانها حتى اشتغلوا بها عن كل شيء حتى طعامهم وشرابهم – إلا من رحم ربي – وقليل ماهم .

(ج) توسيع دائرة البحث القرآني في هذا المجال لتشمل كل طبقات المجتمع ، وربطهم بكتاب الله تعالى قراءة وفهمًا وتطبيقًا، والله أعلم.

المبحث الثاني: عرض بعض التجارب العملية في التربية القرآنية .

الإنسان توّاق بطبعه إلى الجديد في كل شؤونه ، إذ به تسعد النفس سعادة بالغة ، وتقبل على هذا الجديد إقبالاً شديداً ، ومن هذا المنطلق حدثت نفسي أن أجّدد بعض الشيء في مجال تخصصي من المحاضرات وأساليب الشرح ، وتكليف طلابي باستنباط الدروس القرآنية العملية لتطبيقها، وكذلك تكليفهم ببعض الأبحاث القرآنية وتقييمهم ... ونحو ذلك .

وكذلك أعرض هنا بعض التجارب التربوية التي رأيتها نافعة بإذن الله تعالى في مجال تربية الأبناء والأهل... وسيكون ذلك من خلال هذين المطلبين:-

المطلب الأول : من تجاربي الخاصة في التربية القرآنية مع طلابي

قمت بالفعل ببعض **التجارب التربوية** مع طلابي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، في مجال البحث العلمي في مقرريْ "التفسير التحليلي" و"علوم القرآن الكريم" مما كان له عظيم الأثر والفائدة على الطلاب حتى بعد تخرجهم وهنا أسوقها كما يلي:

التجربة الأولى : نظام الحلقات، واستنباط الدروس التربوية من الآيات.

تتخلص هذه التجربة التربوية أنني قمت بتوزيع الطلاب في قاعة الدرس في مقرر "التفسير" وقسمتهم إلى **مجموعات على هيئة حلقات،** كل مجموعة مكونة من عشرة طلاب (أو على حسب عدد الطلاب في القاعة)، والحادي عشر رئيسهم، ودورُهُ أن يجهِّز الكراسي قبل بدء المحاضرة على هيئة حلقة، وأن يوزّع الأدوار على الطلاب

العشرة، ثم أقوم بطرح الدرس على الطلاب في هيئة أسئلة سبق إعداها، كل مجموعة تختص بسؤال مكون من عدة نقاط، وبعد توزيع جميع الأسئلة على جميع المجموعات، أتركهم يفتشون عن إجابة لهذه النقاط فيما بين أيديهم من أوراق المقرر لمدة عشر دقائق، ثم أسمع منهم الإجابة، وأصوب ما صائبًا، وأصحح ما كان غير ذلك، وأشرح ما كان غامضًا، وهكذا مع كل مجموعة... ثم بعد انتهائهم بعد الإجابة أعود فأطلب من كل طالب أن **يستنبط من الآيات درسَيْن نظريَيْن، وآخريْن عمليَيْن**- وهذا هو الهدف **الأسمى والأهم** في هذا النظام الجديد- وأقصد بالنظرية: الفوائد العامة المستفادة من الآيات، والعملية: الفوائد التي استنبطها الطالب ليطبقها على نفسه، وليتغير بها في سلوكه وشخصه، وليربي نفسه في قاعة الدرس تربية قرآنية بحتة، ثم أعود مرة أخرى في نفس المحاضرة بإلقاء عدد من الأسئلة أيضًا ثم الاستماع إلى الإجابة عنها ... حسبما سمح الوقت، وهكذا.

وقد رأيت آثارًا عظيمة، وفوائد جليلة في هذه الطريقة، ومن أهمها ما يلي:-

أولًا: أن الطالب يستنبط دروسًا نظرية وعملية ليطبقها على نفسه، ويقوِّم بها سلوكه، وأتابعه في ذلك بسؤاله عما طبقه، ومما سعدت به في هذا الجانب: أن بعض الطلاب أخبرني أنه كان قبل ذلك يستمع إلى الأغاني والموسيقى لكنه بعد هذه الطريقة العملية في شرح التفسير لم يعد يسمعها.

وطالب آخر: أخبرني أنه ما كان يصلي الفجر في المسجد مع الجماعة الأولى، فصار بعد هذه الطريقة يحضر ويصلّي مبكرًا وصار يوقظ أباه وإخوانه، بل وأخبرني أنه ربما تأخر المؤذن فيقوم هو بأداء الأذان ثم الصلاة، ولله الحمد والمنة.

ثانيًا: أن الطالب يقوم بنفسه باستخراج الإجابة على الأسئلة، ويحاول فهم المطلوب منه، فيخرج عما اعتاده من تلقي المعلومة جاهزة، واكتفائه بالسماع من أساتذته دون المشاركة معهم في الشرح أو إعداد الدرس.

ثالثًا: من الفوائد التي يكتسبها الطالب من هذه الطريقة تعامل الطالب المباشر مع كتب التراث، ومحاولة فهم أسلوبها، واستخراج المعلومة منها مباشرة قبل تدخل الأستاذ، وهذا أيضًا يكسر المألوف لدى كثير من الطلاب في الاعتماد على المذكرات المهمشة، التي تهدم أكثر مما تبني، وتضر أكثر مما تنفع ، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

رابعًا: ومن تمام التجربة أن كلفتهم بعد ذلك بإعداد بحث يتعلق بالمقرر كله، والآيات المشروحة واستنباط الدروس المستفادة منها، كل طالب يستنبط ثلاثين درسًا، عشرة نظرية، وعشرين عملية قام الطالب بأدائها بنفسه، أو قام ببعضها، ويعاهدني أنه سيقوم بالبعض الآخر، وكان لذلك أيضًا عظيم الأثر على أخلاق الطلاب وسلوكهم في الغالب، ولله الحمد والمنة.

الثانية: تجربة القصص القرآني .

وتتلخص هذه التجربة التي أجريتها مع طلاب المستوى الرابع بكلية أصول الدين – جامعة الإمام ، حين كلفتهم بكتابة بحث في مقرر " علوم القرآن الكريم عن "**عظات القصص القرآني وعبره**" فقط دون سرد الأحداث ، وقمت بتقسيم الطلاب إلى مجموعات ، كل مجموعة مكونة من عشرين طالباً يتناولون قصة حددتها لهم حسب الترتيب المصحفي، والمطلوب استخراج العظات والعبر التي يمكن استنباطها من القصة.

واشترطت على الطلاب في هذه التجربة عدة شروط منها :-

(١) أن يقتصر البحث على العظات والعبر فقط دون التعرض لشيء من أحداث القصة.

(٢) التركيز على العظات والعبر التي يمكن الإفادة منها في وقتنا الحاضر ، أو ترتبط به ارتباطاً وثيقاً .

(٣) أن تكون الفوائد المذكورة من استنباط الطالب شخصياً دون مراجع بنسبة ٥٠% على الأقل .

(٤) أن يكون البحث مكتوباً بخط اليد دون الحاسوب لئلا يلجأ الطالب إلى موقع من المواقع وينسخ منه.

(٥) ألا يزيد على خمس ورقات ولا يقل عن ثلاث ، حتى يتسنى لي مراجعته وتقييمه.

وبحمد الله تعالى آتى هذا المنهج التربوي من خلال هذه التجربة أُكُله ، فوق ما كنت أتوقع ، والحمد لله أولاً وآخراً.

الثالثة : تجربة تصحيح بعض الأخطاء الشائعة في تفسير القصص القرآني.

تهدف هذه التجربة إلى التنبيه على الأخطاء الشائعة في التربية القرآنية حينما تعتمد على الاسرائيليات، أو التفسير الملفق المروي عن بني إسرائيل، وتتركز فوائد هذه التجربة فيما يلي :-

الأول: التنبيه على بعض الأخطاء الشائعة في كتب التفسير ، والتي ذُكرت وتذكر على أنها قرينة للآية ومما تُفسر به ولا شيء سواها ، وللأسف ذكرتْها أمهات كتب التفسير على أنها مما تُفسر به الآية أو الآيات الكريمة أو مما يُذكر في سبب نزولها ، وليس الأمر كذلك ، وهذا مثل الذي يذكرونه في تفسير قوله تعالى:﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

[التوبة:٧٥].[1]، وقوله تعالى:﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان:٨][2]،وكالذي يذكرونه في تفسير بعض آيات سورة "ص"[3]..وغيرها كثير.

وقمت بهذه التجربة مع طلاب السنوات الأخيرة بكلية أصول الدين — جامعة الأزهر الشريف بطنطا، الذين كانوا قاب قوسين أو أدنى من التخرج، وبعد أيام صار كل واحد منهم منبرًا من المنابر يعلم الناس ما تعلمه صحيحًا كان أو خطأ، وكنت

---

(١) دأب كثير من المفسرين كالطبري (٣٧١/١٤) وابن أبي حاتم (١٨٤٧/٦) والثعلبي(٧١/٥) والواحدي في الوسيط (٢/ ٥١٣) والزمخشري (٢٩٢/٢).. وغيرهم، على ذكر قصة ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب–على اختلاف الروايات– في سبب نزول هذه الآيات ، ويُقصرون معاني النص القرآني ويفسرونه تبعاً لهذه القصة مع أنها باطلة لا تصح بحال ، علّق عليها ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف بأنها ضعيفة جداً ، ووصف ثعلبة نقلاً عن ابن اسحاق بأنه "قمر البدريين" ، فكيف يُلفق له ذلك وهو أنصاري شهد بدراً ، وذكرها الهيثمي في المجمع (٣٢/٧) وعزاه للطبراني وقال : وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك ، وقال الألباني في الضعيفة (١١١/١٤) وقال "ضعيف جداً".

والصواب : أن الآيات وردت في شأن جماعة من المنافقين ،كغالب حال سورة "التوبة" وسباق الآيات ولحاقها وضمائر الجمع فيها تؤكد ذلك ، وفي هذا الصدد يقول القرطبي (٢١٠/٨) "قلت : وثعلبة بدري أنصاري وممن شهد الله له ورسوله صلى الله عليه وسلم بالإيمان ، فما روي عنه غير صحيح" والله أعلم.

(٢) قصة المسكين واليتيم والأسير المنسوبة لسيدنا علي بن أبي طالب والمشهورة في هذا الشأن ترويها كتب التفسير على أنها سبب نزول الآيات الكريمة أو مما تُفسر به ، مع أنها باطلة لا أصل لها ، وفي ذلك يقول الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢٤٤/١) (ومن الحديث الذي ينكره قلوب المحققين ما رُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله "يوفون بالنذر") ..ثم ذكر القصة ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (ص٣٩٢) وقال (وهذا حديث لا يُشك في وضعه) ، والشوكاني ذكره كذلك في (الفوائد المجموعة من الأحاديث الموضوعة) ص٣٧٧ وذكر قول الحكيم الترمذي المذكور آنفاً .

والصواب : تفسير الآيات بخلاف هذه القصة ، والله أعلم.

(٣) وفي هذ الصدد كتبت بحثاً عن سورة "ص" وأسميته بـ (التحفة السنية في تفسير سورة "ص" المكية) وبينت فيه كل ما ورد في آيات السورة من أباطيل ورددت عليها ، وبينت التفسير الصحيح ، وكان هذا البحث أيضاً مما أجازته لجنة التحكيم العلمي للترقية ، والحمد لله رب العالمين.

أنا وهم – ومثلنا كثير– لا نعرف عن تفسير معظم آيات السورة وسبب نزولها إلا هذا القصص المخرّق الملفّق والذي لا يثبت بحال.

وكانت هذه التجربة جدّ نافعة ، عظيمة الأثر على صاحبها وطلابه ، وتصحيح وتغيير ثقافتهم ومعرفتهم عن الآيات الكريمة .. والحمد لله رب العالمين .

المطلب الثاني: من تجاربي في التربية القرآنية مع أهل بيتي

ما أعظم وأهنا أن يعيش المسلم مع القرآن والتربية به وعليه، في نفسه وأهله وبيته؛ فهو دستور رب العالمين للخلق أجمعين، ولإيماننا العميق بذلك نسعى جاهدين أن نربط الأمة بكتابها ومنهاج ربها، والأهل في المقام الأول من ذلك، وبخاصة أنهم مسؤولون منا، وأمانة في أعناقنا، فكنت أحاول بين الفيبنة والفينة اغتنام الفرص السانحة لتعليمهم وتربيتهم بالقرآن الكريم، وسأذكر بعضًا من المواقف التي حدثت لي معهم، وكان لها بفضل الله تعالى عظيم الأثر على سلوكهم وتعاملاتهم في الداخل والخارج، وسأعرض بعض المواقف الإيمانية ثم الخلقية فيما يلي:–

أولًا: ما يتعلق بالتربية الإيمانية .

الموقف الأول: تربية الأمة وتعويدها على الاستشفاء بالقرآن.

لا شك أن الإنسان في الحياة ابن أغيار، متقلب الأحوال والأطوار، فالواحد منا يمسي صحيحًا ثم يصبح مريضًا، ويمسي سعيدًا ويصبح غير ذلك... وهكذا يتقلّب الدهر، وتتبدل الأيام، تصديقًا لقوله تعالى:﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ومن ثمّ فإننا وأبناؤنا تنتابنا هذه الأعراض والأحوال، ومن فضل الله تعالى علينا أن جعل في ديننا أَشْفية، وأدوية ربانية قرآنية إن انتاب الواحدَ منا

شيء من الأمراض والأعراض، فاستعمل هذه الأشفية بيقين تام، وثقة في ربه عظيمة، راجيًا الشفاء، شفاه الله، وحقّق له ما يرجو، ورفع عنه ما يكره.

وبالفعل تعاملت مع أبنائي[1] بهذا المنهج الإيماني، فإن مرض أحدهم بأمر خفيف مشتهر كـ (نزلات البرد، والانفلونزا، والنزلات المعوية...ونحوها) أحضر كوبًا من ماء زمزم – وهي بفضل الله تعالى لا تنقطع من البيت أبدًا، وهذا هو **الشفاء الأول**- وأقرأ عليه مما منّ الله تعالى به من آيات الشفاء كالفاتحة وأوائل البقرة وآية الكرسي وخواتيم البقرة، والمعوذات ... ونحوها، مع بعض أدعية النبي ﷺ الصحيحة الواردة في هذا الشأن- وهذا هو **الشفاء الثاني**- ثم أُحلِّه بملعقة أو ملاعق من عسل النحل – وهذا هو **الشفاء الثالث**- ثم أناوله للمريض، وأكرر له ذلك كلما احتاج، فبفضل من الله تعالى يبرأ وكأن لم تكن به علة، وهذا أجرّبه بنفسي من سنوات، والحمد لله مفعوله أكيد وأقوى من المضادات الحيوية بالدنيا كلها، مع ما في أشفية القرآن من الخلو والبراءة التامة من الآثار الجانبية، والأضرار الفعلية المترتبة على تعاطيها، وبخاصة إذا كانت مستديمة، وأفعل ذلك مع نفسي وزوجي، نسأل الله تعالى أن يعافينا وإياكم من كل مكروه وسوء.

(١) أكرمني الله تعالى بثلاثة من الأبناء أولهم: بالصف الثالث الابتدائي، وتبلغ الثامنة من عمرها، وثانيهم: بالصف الأول الابتدائي، ويبلغ من العمر ستًا، والصغرى لما تلتحق بعد، ولا تزال في ربيعها الثالث، وله تعالى الفضل والمنة، ونسأله المزيد، ولا أقصد بسَوْق هذه المواقف ادعاء التقوى والطاعة، فقد سبقني إلى حسن التربية القرآنية الإسلامية كثيرون، ولكنه فقط من باب قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى:١١] ، أو لعل أحدًا من الناس يجد فيها شيئًا من الهدى فيقتدي، ورائدنا في ذلك ما ورد في وصف عباد الرحمن : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان:٧٤]، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وذلك تحقيقًا لقوله تعالى في الشفاء الأول: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ ﴾ [آل عمران:٩٧]، ولا شك أن ماء زمزم من أظهر آيات المسجد الحرام، وهو طعام طُعم، وشفاء سُقم، كما هو مشهور عنه.

وقال تعالى في الشفاء الثاني: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الإسراء:٨٢] ، وقال تعالى في الشفاء الثالث متحدثًا عن النحل: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل:٦٩].

وعدّ الإمام ابن القيم أن عدم الاستشفاء بالقرآن نوعًا من أنواع الهجر، المشار إليها في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان:٣٠]، فقال:(هَجْر القرآن أنواع، **أحدها**: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه، **والثاني**: هجر العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به، **والثالث**: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصِّل العلم، **والرابع**: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه، **والخامس**: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان:٣٠]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض...)[١] ، نسأل الله تعالى أن يعافينا وإياكم من كل نوع من أنواع الهجر والعصيان، اللهم آمين.

---

(١) الفوائد للإمام ابن القيم ص ٨٢.

الموقف الثاني: الأمر بالصلاة

الصلاة عماد الدين، وهي أول ما يُسأل العبد عنه يوم القيامة، فإن صلحت صلح سائر العمل، وما بعدها هين بإذن الله تعالى، وإن فسدت – عياذًا بالله– فسد سائر العمل...

بهذه الكلمات نهمس في آذان الأبناء عند الآذان بين الفينة والفيبنة، ويجد الواحد منا معاناة شديدة في اصطحاب الأبناء معه إلى المسجد عند كل صلاة — ولعلك أيها القارئ الكريم تشاركني هذه المعاناة– ومحاولة إقناعهم للقيام إلى الصلاة فور سماع الآذان؛ نظرًا لما جدّ في عصرنا من وسائل التسلية واللعب والترفيه، وانتشار الإنترنت، والهواتف الذكية، والتقنيات الحديثة بمختلف أنواعها وشتى صورها، فالله المستعان، فأستعين به تعالى في دفع الأبناء للصلاة وحضِّهم وسؤالهم عنها بين الحين والآخر، وملهمنا في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[طه:١٣٢] ، فكلما أصابني الضيق والضجر لعدم استجابة الأبناء لأداء الصلاة فرضًا فرضًا، أذكِّر نفسي بهذه الآية الكريمة، فأجدها تنزل على قلبي بردًا وسلامًا، ولله الحمد والمنة.

وفي هذه الآية يقول الشيخ السعدي – رحمه الله– :(حُثَّ أهلك على الصلاة، وأَزعِجْهم إليها من فرض ونفل، والأمر بالشيء أمر بجميع ما لا يتم إلا به، فيكون أمرًا بتعليمهم ما يُصلِح الصلاة ويفسدها ويكملها، وقوله:﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَ﴾ أي: على الصلاة بإقامتها، بحدودها وأركانها وآدابها وخشوعها، فإن ذلك مُشِقٌّ على النفس، ولكن ينبغي إكراهها وجهادها على ذلك، والصبر معها دائمًا، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به، كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان

لما سواها أضيع، ثم ضمن تعالى لرسوله الرزق، وأن لا يشغله الاهتمام به عن إقامة دينه، فقال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أي: رزقك علينا قد تكفلنا به، كما تكفلنا بأرزاق الخلائق كلهم، فكيف بمن قام بأمرنا، واشتغل بذكرنا؟! ورِزْق الله عام للمتقي وغيره، فينبغي الاهتمام بما يجلب السعادة الأبدية، وهو: التقوى..)[١] ، لذا خُتمت الآية بقوله ﴿**والعاقبة للتقوى**﴾ والمراد: العاقبة الحسنى للمتقين، الذين يتقون ربهم بفعل الطاعات واجتناب المنهيات، اللهم اجعلنا منهم أجمعين.

هذا وإني ألحظ على الآية الكريمة أمرين:-

أولهما: التعبير فيها بالاصطبار دون الصبر في قوله **"واصطبر عليها"** وذلك لأن الاصطبار هو شدة الصبر على الأمر الشاق، وصيغة "الافتعال" تَرِد لإفادة قوة الفعل،وللدلالة على هذه القوة مع إفادة الاستعلاء عُدِّى الاصطبار بـ"على"[٢].

ثانيهما: المجيء بالحديث عن الرزق والتكفُّل به بعد الأمر بالصلاة والاصطبار عليها فيه دليل (على أن غاية العبادة إصلاح العابدين، ولا يعود على الله منها شيء؛ فهو ليس بمحتاج، والناس يحتاجون إليه)[٣]، كما أن فيه دليلًا على أن استمداد القوة الحقيقية من الصلاة والطاعة والذكر، والله أعلم.

(١) تفسير السعدي ص٥١٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٤٢/١٦ بتصرف.

(٣) زهرة التفاسير ٩/ ٤٨١٤.

الموقف الثالث: لفت الأنظار إلى نِعَم رب العالمين.

أنعم الله تعالى علينا بنعم كثيرة، وخيرات وفيرة، وأسبغ علينا نِعَمه ظاهرة وباطنة، ومن نِعَمه علينا أن نوَّع صنوف الطعام والشراب، وعدّد ألوان الفاكهة التي نتفكّه بها بين الحين والآخر، فهداني الله تعالى أن أنتهز فرصة وجودي مع الأبناء أثناء تناول الفاكهة ونحوها، وأبتدأ بتحريك قلوبهم ومشاعرهم نحو ربهم وخالقهم مُولي النعم سبحانه، وذلك بطرح الأسئلة عليهم للفت انتباههم لهذه النعم، فأسألهم:

* أرأيتم جمال هذه الفاكهة؟

* أرأيتم حُلو مذاقها، وطيب طعمها؟

* أرأيتم اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها مع أنها تخرج من تربة واحدة، وتُسقى بماء واحد؟

* أرأيتم إبداع شكلها؟ ودقة تنظيم وتصفيف الرمان والموز ونحوهما؟...

* فمن رزقنا ذلك كله؟ ومن أنعم علينا بهذه النعم كلها؟

فيجيبون: إنه الله رب العالمين. فأُكمل: نعم إنه الله الذي خلقنا، ورزقنا، وتكفل بجميع أمورنا وحياتنا.

فأسأل مرة أخرى: ما واجبنا تجاه هذا الخالق الرازق؟

وأُجيب قائلًا: واجبنا أن نعبده، ونوحده، ونشكره، ونؤدي له الصلاة في وقتها، ونطيعه في جميع أوامره، ونبتعد عن جميع نواهيه سبحانه وتعالى.

فأسأل مرة أخرى: مَنْ منكما يأتيني بآية ذُكرت فيها فاكهة بعينها من محفوظه؟ فيفكرون ثم يجيبون بفضل الله تعالى، وهذا لا شك له أعظم الأثر الإيماني لدى الأبناء؛ حيث يُربون منذ نعومة أظفارهم على التوحيد الخالص لله رب العالمين، ويَكلون فضل

كل نعمة إلى مسديها ومولِيها سبحانه وتعالى، تحقيقًا لقوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:٩٩].

الموقف الرابع: المحاسبة في الآخرة على القليل والكثير من الأعمال.

كلما همَّ أحد من الأبناء بشيء من الذنب أو فعل ما لا يليق، ذكّرناه – وبخاصة الأم– بقول الله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٦-٨] ، والآيات لا تحتاج إلى شرح أو تعليق، وبخاصة أنها من أوائل ما يحفظه الأبناء من القرآن لكونها من قصار السور، ونحذرهم أن من فعل حسنة أي حسنة صغيرة أو كبيرة حوسب عليها، وجوزي خيرًا.

ومن فَعَل سيئة ما صغيرة أو كبيرة حوسب عليها، وجوزي بالشر والعقاب في النار عياذًا بالله تعالى، والحمد لله رب العالمين يستجيب الأبناء ولكن بعد محاولات، وصولات وجولات، والتذكير مرات ومرات.

الموقف الخامس: التعويد على الصدقة إيمانًا بالخُلْف عند الله تعالى.

شاركت عام ١٤٣٣هـ بالمؤتمر الأول للهيئة العالمية للتدبر، والذي أقيم في الدوحة بقطر ببحث عن "**تدبر القرآن – المصطلح والموانع والوسائل**" والتقيت هناك بكوكبة عظيمة من العلماء الأجلاء الذين يعنون بالتدبر دراسة وتطبيقًا، وأفدت منهم ولله الحمد، وحدثني أحدهم: أنه بدأ طريقه التدبري بآية من كتاب الله تتحدث عن الصدقة في السر والعلن، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾[فاطر:٢٩]، وأمثالها في القرآن، وقال لي: بدأت أُحدِّث نفسي: لماذا لا أكون من أهل هذه الآية؟ لماذا لا أكون ممن يتاجرون مع الله فأكسب الربح الوفير، والتجارة التي لا تعرف البوار ولا الكساد أبدًا أبدًا ؟...

ثم قال لي بدأت بالفعل بتجهيز مبلغ يومي في حافظتي، أنفق جزءًا منه سرًا وآخر علانية، فأخلف عليّ بذلك خيرًا عميمًا، وكلما نسيت ذكرني أهلي، وبالأخص ابنتي الصغيرة قائلة : هل أخرجت صدقة اليوم يا أبي أو لا ؟

وظل الأمر كذلك إلى أن قرأتُ قوله تعالى في شأن الصدقة أيضًا ولكن على نطاق أوسع: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٤]، فقلت: سأكون من أهل هذه الآية أيضًا وأُجهِّز أربع صدقات: أتصدق بالأولى في الليل والثانية في النهار، والثالثة بالسر، والرابعة في العلن... ولما فعلت ذلك وواظبت عليه أغدق الله عليّ من أوسع أبواب رزقه، ووفير عطائه تصديقًا

لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[سبأ:٣٩]، ونظرًا لكثرة العطاء والأعمال قد أنسى هذه الصدقات يومًا ما ففكرت في أمر يذكرني كلما نسيت، فاشتريت صندوقًا خشبيًا صغيرًا، ووضعته في مكان مرئي لي في البيت علي الثلاجة أو في الاستقبال... ونحو ذلك، وكلما رأيته ومررتُ عليه، تذكرت ما تعوّدت عليه من الصدقات الأربع، فأضع فيه ما لم أستطع الوفاء به في يومي، وكان وجود هذا الصندوق في البيت خيرًا وبركة؛ حيث عوَّد الأبناء والزوجة أن يشاركوني هذا الأجر، والتطبيق العملي لكلام الله تعالى...

والذي استفدته أنا من هذا الموقف: أن أُعجبت بفكرته، وقمت بتطبيقها، فاشتريت (صندوقًا خشبيًا صغيرًا) وجعلته في مكان بارز بالبيت يراه الجميع بصفة دائمة، بعد أن جلست مع أهلي وأولادي، وقصصت عليهم قصة هذا الرجل، وماذا صنع ! ففرحوا بالأمر، وشجعوني عليه وعلى تطبيقه، وبدأت بالفعل أمامهم بالتطبيق العملي للآيات وإخراج الصدقات، وأتبعت ذلك بالحديث عن فضل الصدقة ، وعظيم فوائدها في الدنيا والآخرة، وأجر المتصدق في الدارين، فكان الواحد منهم يدخر شيئًا من مصروفه الشخصي، ويسقطه في الصندوق، وادَّخرت الزوجة هي الأخرى شيئًا ثم تضعه في الصندوق، وتعودوا على ذلك بين الفينة والفينة، ولا يزال الأمر قائمًا حتى الآن، والحمد لله رب العالمين.

ومن بركة هذا الفكرة أيضًا: أن طرحتُها في درس من دروسي المسائية على المصلين في المسجد المجاور، والذي أصلي فيه، فلله الحمد لاقى قبولًا ورواجًا لم أكن أتوقعه، وبدأنا بالفعل بتوزيع الصناديق على الراغبين في بيوتهم، وأخبرتهم أن لا يحتقروا من المعروف شيئًا ولو قليلًا، فالقليل مع مرور الأيام يكبر ويزيد، ولله الحمد في الأولى والآخرة، وهو الجواد الكريم.

ثانيًا : ما يتعلق بالتربية الخُلقية.

التربية الخلقية في القرآن تربية فريدة متميزة، تتميز بالربَّانية والشمول، والوسطية والاعتدال، والبعد عن الإفراط والتفريط، وإننا كمسلمين- مربين وآباء- لو التزمنا بها لانتفعت العباد والبلاد، وأصلح الله تعالى بنا حال الحاضر والباد...

وإنني في الأسطر القليلة التالية أحاول أن أرصد بعض المواقف الخاصة التي خُضتُها مع الأبناء، لعل ذلك يكون فيه النفع والاهتداء...

الموقف الأول: التحذير من تقليد الغرب.

رأيت كثيرًا من الآباء لا يكترثون أن يناديهم أبناؤهم بالكلمة المشهورة على ألسنة الصغار "بابا" لم ترق لي هذه الكلمة ومناداة أطفالي عليّ بها، وبخاصة أنها وافدة إلينا من أبناء الغرب، فأحببت أن أصبغهم بصبغة قرآنية في هذا الأمر فاقترحت عليهم أن يكون مناداة الجميع لأبيهم بلفظ "**أَبَتِ**" ، ولأمِّهم بـ" **أمي**" وهو أدب قرآني عال، ورد في القرآن الكريم في ثمانية مواطن[1] على لسان عدد من الأنبياء وغيرهم، ومنهم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، كما ذكر القرآن عنه ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم:٤٢-٤٣] ، والحمد لله التزم الجميع، وإذا نسوا ذكّرناهم فيذكرون، والحمد لله رب العالمين.

(١) في سورة يوسف في آيتين ٤، ١٠٠، ومريم في أربع آيات ٤٢ -٤٥، والقصص ٢٦، والصافات١٠٢.

الموقف الثاني: النهي عن التزاحم، والأمر بالتراحم.

حينما يُجهَّز الطعام، وتُوضع المائدة، تنادي الأم على الزوج والأبناء، فيهرول الأبناء، ويستبقون أيهم يجلس بجوار الأبوين أولًا، ويكون بينهم ما يكون بين الصغار من صياح وتلاسُن...ونحو ذلك، وهنا يأتي دور التربية القرآنية - والحمد لله الزوج والزوجة خاتمان لكتاب الله تعالى- فيذكِّر أحدهما بقول الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾ [المجادلة:١١]، فتُقرأ الآية على مسامعهم، ونتبعها بشرح مبسط لأهم معانيها، وبيان المقصود من سَوْقها في هذه المناسبة، وبفضل من الله تعالى يستجيب الأبناء، ويُفسِح بعضُهم لبعضٍ دونما ضجر أو تأفُّف، والحمد لله رب العالمين، والآية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى ذكره (أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس، ولم يخصص بذلك مجلس النبي ﷺ دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له مجلس، فعمّ ذلك جميع المجالس من مجالس رسول الله ﷺ ومجالس القتال، ثم يقول تعالى: فوَسّعوا يوسّع الله منازلكم في الجنة، وإذا قيل لكم قوموا إلى قتال عدو أو صلاة، أو عمل خير، أو تفرّقوا عن رسول الله ﷺ فقوموا)(١).

وعلى هذا فحمْل الآية على العموم، وسوْقها في كل موقف مشابه أولى من قصْرها على موقف خاص أو حادثة معينة، والله أعلم.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/٢٤٥ بتصرف.

الموقف الثالث: النهي عن المشاجرة وارتفاع الأصوات.

في يوم من الأيام تشاجر الأبناء مع بعضهم البعض، وتصايحوا وارتفعت أصواتهم، وههنا يبرز دور الأب والأم في الفصل بينهم، وتهدئة الأمور، وقراءة قوله تعالى في وصايا لقمان لابنه: ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان:١٩]، فبفضل الله تعالى ثم بتلاوة القرآن، والتذكير بالعواقب الوخيمة المترتبة على الصياح وارتفاع الأصوات من التشبه بالحمير، مع في ذلك من الاتصاف بالبلادة وقلة الفهم... ونحو ذلك، فيستجيب الأبناء غالبًا بفضل الله تعالى، ويكفون عما كانوا يصنعون، ثم يأتي بعد ذلك دور العفو والصفح عن بعضهم البعض فنتلوا على مسامعهم آية أخرى في مقام العفو، مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٠-٤٣]، ونحوها مع بيان مقام العافين وعظيم جزائهم عند الله تعالى، وأُوضِّح لهم أن الله تعالى في كتابه الكريم يخفي أجور الأمور العظيمة، ولا يذكر منها شيئًا، بل ويذكر أن أجرها عليه وحده مع أن أجور جميع الأعمال عليه وحده للدلالة على عِظَم هذا الأجر، وعلو مكانته، وأبهمه أيضًا لتذهب فيه النفس كل مذهب.

الموقف الرابع : لا شك أن كل أب يربي أبناءه على الأخلاق الحميدة، والصفات الفاضلة، لكن قد يختلط الأبناء ببعض من ليسوا كذلك من الأطفال في المدرسة أو

الحدائق أو الأسواق ...ونحوها، أو يشاهدوا فيلمًا كرتونيًا مخالفًا لما رُبوا عليه من الأخلاق والخلال...وعندها تأتي الريح بما لا تشتهي السفن، فلا بد من التقويم والمتابعة الدؤوبة، والله المستعان.

ومن هذه أثر هذه المخالطة أجد في بعض الأوقات عند الأولاد بعضًا من الخلال غير المحمودة من الألفاظ البذيئة، والكذب، وعدم الوفاء بالوعد... ونحوها، فها هنا يأتي دور التقويم وتَعهُّد الغرس بالرعاية والعناية، فحينما تأتي فرصة سانحة لذكر آية موافقة للحالة الراهنة، ثم التعليق عليها بما يفتح به الله تعالى فأنتهزها مباشرة دون توانٍ، فمثلًا في التحذير من الكذب أتلو قول الله تعالى:﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠] أوقوله تعالى : ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[الليل: ٩، ١٠]، وحبذا لو كانت الآية من محفوظ الطفل أو مما يردده الأبناء عمومًا من كتاب الله تعالى، فسوف يكون لذلك أعظم الأثر، وسرعة الاستجابة والتأثر بفضل الله تعالى.

الموقف الخامس : التربية بالقصة القرآنية .

من أعظم أساليب التربية، وأجداها نفعًا: التربية بالقصة القرآنية؛ حيث إن النفوس البشرية بطبعها ميّالة إليها، وتفضِّلها على غيرها من الأساليب، ولا أدل على ذلك من شدة انتباه المستمع إليك حينما تحدثه بالأسلوب القصصي، بينما تقل متابعته أو تكاد تنعدم إذا حدّثته بأي أسلوب آخر...

ولعلمي التام بقوة تأثير القصة انتهز هذه الفرصة دومًا وبخاصة في موقفين:-

الأول: مع طلابي وطالباتي في قاعات الدرس والمحاضرة، فإذا كنت أشرح في قضية ما، وأحسست منهم شيئًا من الملل أو الضجر بسرعة أستأذنهم في ترويحة بقصة قصيرة، أو طرفة نادرة تسري عنهم ما قد تسرب إليهم.

الثاني: مع الأولاد، وبخاصة عند نومهم، فلا ينامون غالبًا إلا بعد قصة مني أو من والدتهم، فأنتهز هذه الفرصة بذكر القصص القرآني، نظرًا لما يتميز به من الواقعية، والصدق، والدعوة إلى الفضائل، والتخلي عن الرذائل، والتركيز على الفوائد والعظات والعبر... إلى ذلك من خصائص القصة القرآنية، وابتدأت بالفعل بالقصص المذكور بالسور القصيرة، لأنها هي من أوائل ما يحفظونه من القرآن الكريم...

وبعد سردي للقصة وفق التسلسل القرآني أطلب من كل واحد منهم أن يذكر لي ما استفاده من هذه القصة، أو هذا المشهد من القصة إن كانت طويلة- مثل قصة موسى عليه السلام- وحقيقة أسمع منهم ما لم أكن أتوقع من الدروس والفوائد التي تناسب أسنانهم، ومستواهم العقلي، ولله الحمد والمنة.

وهكذا كل الأبناء والأولاد إن زرع فيهم الآباء النهج القرآني والتفكير فيه لوجدوا خيرًا كثيرًا.

وأنبه هنا على بعض الأخطاء الشائعة في جانب التربية الأسرية :-

الأول: انشغال الأب، وسعيه على المعاش وجلب المال، وعدم التفاته إلى مثل هذه الأمور، فضلًا عن أنه قد يكون ممن ليس لهم علاقة بالقرآن ومعرفة معانيه، اللهم إلا قراءة من الحين إلى الحين.

الثاني: انشغال الأم بأعمال المنزل – غالبًا – وعدم اهتمامها بمثل هذه الجوانب القرآنية، بل ويكل بعضهن أمر التربية للخادمات أو العاملات، يصنعن بالأبناء ويربيهن على ما شئن، اللهم إلا في القليل النادر.

الثالث: رؤية الأبوين للأبناء أنهم صغار لا يدركون هذه المعاني القرآنية، أو أن عقولهم لا تدرك من قيم القرآن شيئًا، ومن ثم يظل هذا الفكر مخيمًا على عقول كثير من الأبوين ردحًا من الزمان، فلا يشجعوا فيهم معاني التفكير والاستنباط القرآني، ظنًا من البعض أن هذا الاستنباط والتدبر إنما هو من خصائص العلماء.

نسأل الله الهداية والتوفيق لعموم المسلمين، اللهم آمين.

وأفدت من هذه المواقف عدة أمور أهمها:

١- تنمية روح التنافس بين الأبناء في معرفة الآيات القرآنية التي تتحدث عن الموقف.

٢- محاولة إعمال عقولهم في فهم الآيات التي تتحدث عن هذا الموقف بعينه ومحاولة تطبيقها.

٣- تعليم الأبناء أن القرآن دستور ينظم حياة المسلمين إذا أخرجوه إلى حيز التطبيق، وأن تطبيق القرآن ليس صعبًا أو مستحيلًا.

٤- تعليمهم أن كلام الله تعالى واجب التطبيق والتنفيذ، وأن السعادة كل السعادة في ذلك تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[طه:١٢٣].

٥- وأجمل ما في الأمر استجابة الطفل للآية الكريمة بمجرد تذكيره بها، وبخاصة إذا تكرر منه الموقف ثانية.

٦- إذكاء روح التفكير في الآيات، ومحاولة إيجاد المناسبة بين الآيات بعضها البعض، ففي أحد كانت زوجي تُحفِّظ أحد الأبناء قدرًا من "سورة الفتح" وتحديدًا قوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾ [الفتح:١٣]، فإذا بالولد أثناء ترداده للآية الكريمة يقف سائلًا والدته: إذا كان هذا جزاء الكافرين، فأين جزاء المؤمنين؟ ففوجئت الأم بالسؤال من طفل في السادسة من عمره، وفكرت في الإجابة مليّا ثم أجابته: لعل جزاء المؤمنين يأتي بعد ذلك، ولله الحمد والمنة.

الخاتمة

أحسن الله خواتمنا أجمعين .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتُبلغ المرامات ، وتُرفع الدرجات ..، والصلاة والسلام على محمد بن عبدالله خير البريات ، والذي خُتمت به جميع الرسالات والنبوات.

وبعد..

فإن من توفيق الله تعالى أن هدانا لهذا الموضوع والمشاركة فيه ببحث، أرجو من الله تعالى أن يكون قد أسهم بشيء من الإفادة والجدة بالنسبة للتربية القرآنية ، حيث إن أمر التربية القرآنية أمر غاية في الأهمية، وتجلية معالمه القرآنية أيضًا في درجة عظيمة من الأهمية، ولعلك أخي القارئ الكريم توافقني في ذلك؛ حيث إنه لا يصلح البشرية إلا منهج ربها الذي رسمه لها، قال تعالى:﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

هذا ولقد أفدت من هذا البحث إفادة عظيمة ، **وتحصّلت من خلاله على النتائج التالية:**

أولاً : إمكانية وسهولة تطبيق المنهج القرآني التربوي، ولا أدل على ذلك من التجارب التي قمت بها، وإن كانت هناك بعض العقبات إلا أنها تُيسر بإذن الله تعالى مع الصبر ومرور الوقت.

ثانيًا: التربية القرآنية كالزرع، تحتاج إلى تعهد، وحسن متابعة، ومدوامة، وصبر، حتى تؤتي عظيم أكلها ونفعها، وإلا باءت بنتائج هزيلة أو ضعيفة.

ثالثًا: أن التربية عملية هادفة، لها أغراضها وأهدافها وغايتها.

رابعا : أن المربي الحق على الإطلاق هو الله الخالق: خالق الفطرة وواهب المواهب، وهو الذي سنن سننا لنموها وتدرجها وتفاعلها، كما أنه شرع شرعا لتحقيق كمالها، وصلاحها وسعادتها.

خامسا : أن عمل المربى تال، وتابع لخلق الله وإيجاده، كما أنه تابع لشرع الله ودينه.

هذا وإني أوصي في نهاية بحثي بأمرين :

أولهما : تضافر جهود المخلصين وتوحيدها لخدمة التراث القرآني ونحوه، وتجلية معالمه للناس ليشاهدوا هداياته عن قرب، مع إبراز أن التطبيق ليس صعبًا أو مستحيلًا.

ثانيهما : إقامة وتعدد المؤتمرات والندوات عظيمة النفع التي تعنى بالدراسات القرآنية وتطويرها، والإفادة الحقيقية من المشاركات فيها ، ومحاولة تطبيق ما يمكن تطبيقه منها على أرض الواقع ، والبدء الفعلي والجاد والفوري في تنفيذ ذلك فور الانتهاء منها، والله الموفق والمعين .

بقلم/ عبدالله موسى محمد أبو المجد

و﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات ١٨٠-١٨٢].

فهرس المصادر والمراجع

١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر د/فهد الرومي، ط الأولى بالرياض١٩٨٦م.

٢) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم د/ محمد إبراهيم شريف ، ط دار السلام بالقاهرة ٢٠٠٨م

٣) الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي، ط دار عالم المعرفة، بيروت.

٤) الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية أ/ محمود عبد الرازق جمعة، ط الهيئة المصرية للكتاب عام ٢٠٠٩م

٥) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، أ/عبد الرحمن النحلاوي، ط دار الفكر ١٤٢٨هـ.

٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ، تح/محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨هـ.

٧) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني ، تح / مجموعة من العلماء والمحققين

٨) تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تح أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين – بيروت ١٤٠٧ هـ .

٩) التحرير والتنوير للشيخ / محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) ، ط مؤسسة التاريخ العربي بيروت ٢٠٠٠م .

١٠) التربية الإسلامية – المصطلح والمفهوم أ.د/صالح عراد أستاذ التربية الإسلامية بكلية المعلمين بأبها

١١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٠ م.

١٢)تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهري، تح أ / محمد عوض ط دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م .

١٣)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تح عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ .

١٤)جامع البيان لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري (٣١٠هـ) تح الشيخ / أحمد شاكر ط الرسالة بيروت ٢٠٠٠م.

١٥)دار الهداية الصحيح لأبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ) تح الشيخ/محمد فؤاد عبد الباقي ط دار إحياء التراث – بيروت.

١٦)زاد المسير لابن الجوزي جمال الدين عبد الرحمن (٥٩٧هـ) تح أ/ عبد الرزاق المهدي ط دار الكتاب بيروت ١٤٢٢هـ.

١٧)زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، ط دار الفكر العربي بالقاهرة.

١٨)الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ) تح د/ مصطفى البُغا ط دار ابن كثير بيروت ١٩٨٧م.

١٩)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠) ، تح / سيد إبراهيم، ط الثالثة لدار الحديث، القاهرة ١٩٩٧م.

٢٠)الفوائد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط دار الكتب العلمية – بيروت ١٣٩٣هـ .

٢١)القاموس المحيط للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، ط دار الجيل بيروت.

٢٢)كيف نتعامل مع القرآن للشيخ محمد الغزالي، مقدمة د/عمرعبيد حسنة لهذا الكتاب.

٢٣)لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ) ، ط دار صادر، بيروت.
٢٤)مباحث في علوم القرآن : د/ صبحي الصالح ط ٢١ لدار العلم للملايين ، بيروت — ١٩٩٧م.
٢٥)محاضرات في علوم القرآن، أ.د / إبراهيم عبد الحميد سلامة، ط مكتب فوزي الشيمي بطنطا .
٢٦)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ، ط المكتبة العلمية – بيروت
٢٧)معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) تح أ/ أحمد يوسف النجاتي وآخرين ،ط الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٢٨)معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق بن إبراهيم بن السَّري الشهير بالزجاج (ت ٣١١هـ) ، تح د/ عبد الجليل شلبي ، ط دار الحديث بالقاهرة ١٩٩٧م.
٢٩)المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) "رب" ، تح/ صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم، الدار الشامية — دمشق، ١٤١٢هـ.
٣٠)مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني، ط عيسى الحلبي بالقاهرة .
٣١)الموسوعة القرآنية أ/ إبراهيم الإبياري (١٤١٤هـ) ، ط مؤسسة سجل العرب ١٤٠٥ هـ .
٣٢)نحو تربية إسلامية راشدة من حتى البلوغ، د/ محمد بن شاكر الشريف ، ط الأولى ١٤٢٧هـ.

منهج القرآن الكريم في التربية

إعداد

الدكتور : عوض بن حمد الحسني

"دكتوراه في الأصول الإسلامية ".

١٤٣٥هـ-١٤٣٦هـ

ملخص البحث

عنوان البحث : منهج القرآن الكريم بالتربية.

أهداف البحث :

- تأصيل موضوع التربية بالقرآن، وأنه هو المنهج الرئيس في التربية في الإسلام – الإسهام في إبراز عموم رسالة القرآن ومنهجه في الأُصلاح التربوي للنفس الإنسانية.
- إبراز مبدأ من مبادئ تربية النفس الإنسانية في القرآن الكريم"مبدأ المسؤولية الذاتية ".
- إبراز نموذج من مدرسة منهج القرآن الكريم في التربية "عمر بن الخطاب " رضي الله عنه وإبراز الجانب الفكري التربوي لديه رضي الله عنه .

منهج البحث :

لكي يحقق البحث أهدافه المتوخاة؛ استخدام الباحث المنهج الوثائقي الوصفي، وفي ضوء هذا المنهج انطلق الباحث في جمع مادة بحثه من خلال الإطلاع على المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع خصوصاً– منهج القرآن الكريم في التربية – وما يتعلق بالتربية الإسلامية عموماً، موظفاً في ذلك الطريقة الاستقرائية والاستنباطية معاً، للمساهمة في علاج واقع الأمة الإسلامية اليوم بفهم ذلك الواقع، وتحليله،وبيان مكامن الضعف فيه، وتطويره وتغييره إلى الأفضل والأحسن .

مباحث البحث : **تضمن البحث ثلاثة مباحث وخاتمة ، وهي كالآتي** :

المبحث الأول : الإطار العام للبحث .

المبحث الثاني : القرآن الكريم وتربية النفس الإنسانية ، وشتمل على النقاط التالية: الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم ، مفهوم الفطلرة الإنسانية في القرآن الكريم ووظيفة المربي المسلم اتجاهها ، الجانب الوقائي والعلاجي في تربية النفس الإنسانية ، نموذج

من مبادئ تربية النفس الإنسانية بالقرآن الكريم "مبدأ المسؤولية الذاتية " في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : نموذج من مدرسة منهج القرآن الكريم في التربية " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه.

أهم نتائج البحث :

- إن منهج القرآن الكريم في التربية شامل، فهو لا يقتصر على جزء معين من الحياة الإنسانية في ميادينها المتعددة، بل يربط بين الدنيا والآخرة وبين العبادة والسلوك وبين الفرد والمجتمع في آن واحد وعلى هذا الشمول يقوم منهج القرآن الكريم في التربية.
- إن التربية القرآنية هي المخلصة اليوم ؛ للبشرية في العموم وللمسلمين في الخصوص، فقد أتعبها المسير في دروب الضياع فأطبقت عليها نفسها الداخلية بالضيق والضنك الذان ذكرهما الله عز وجل في كتابه الكريم، لكل معرض عن طريق الله،إعراضاً كلياً أو جزئياً، فالإسلام هو المنهج الكامل الذي لا عوج فيه، والمناهج البشرية دائماً ذات نقص واعوجاج.
- إن التربية القرآنية تسعى لتوسيع الأفق والفكر لدى المخاطب ؛للارتقاء به إلى الدرجة الواعية للسلوك والتصرفات ؛لأنهما ناتج تصوري وفكري لصاحبهما.
- إن التربية القرآنية تستبعد كل مسئولية موروثة ، أو جماعية وتجعل المسئولية فردية يتمثلها الإنسان أمام ناظره في كل لحظاته.
- إن من المنطلقات الجوهرية والأساسية في المساهمة الفاعلة والراشدة ،في إعادة النهضة الحضارية ؛للأمة الإسلامية إلى رونقها وأمجادها المأمولة بإذن الله ،عودتها الصادقة والفعلية للقرآن الكريم ؛كمنهاج حياة عملية وليست نظرية مجردة.

أهم التوصيات :

- يوصي البحث القائمين على التربية المعاصرة التمسك بما تدعو إليه التربية في المنهج القرآني وترسيخ تلك التربية في نفوس النشء ، فهي البوابة للتميز والرقي وسبق الأمم في أمور الدين والدنيا معاً.

- مراعاة الإعداد الفطري في التكوين الإنساني في جميع البرامج المقدمة للإنسان ، فيعد لكل جنس من الجنسين ما خلق له وهيئ له ابتداءً .

- الاهتمام بالفرد ككل مركب من أجزاء متكاملة وليست متضادة ، وهي الجسم والعقل والروح في آن واحد بطريقة متوازية وغير متنافرة .

- إعداد برامج في جميع المجالات توسع المدارك الفكرية لدى الفرد ، فتغيير السلوك مرتبط ارتباط تلازمياً مع تغيير الفكر أولاً.

- إعداد برامج تهتم بالقراءة الموجهة، بمفهومها الواسع ، قراءة الكون وما فيه من الأسرار العظيمة، التي تدل على أن هناك واحد ،أحدٌ فردٌ صمدُ ، خلق الإنسان ، والكون بما فيه؛ لغاية واحدٍ ، وهي عبوديته المحضة، قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

المبحث الأول : الإطار العام للبحث

توطئة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، محمد بن عبد الله، المرسل رحمة للعالمين، وعلى أصحابه وآل بيته الأكرمين ، وعلى من سار على نهجه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد ؛

فإن عنوان هذا البحث " منهج القرآن الكريم في التربية " تم اختياره من قبل الباحث بعد الترجيح بينه وبين عنوان آخر وهو " منهج التربية في القرآن الكريم " .

واختيار أحد العنوانين لا يعني أنه أصح من الآخر ؛ لدى وجهة النظر الأخرى، ولكنه حتماً أنه أصح لدى من يختاره، ويبرر على اختياره، فكل باحث وقارئ، ينظر إلى المقروء أو المبحوث من زاوية ربما نظر الآخر من زاوية أخرى لم ينظر إليه الباحث الآخر، وربما الزاويتين مع بعضهما تتكامل ؛ لتشخيص الشيء وتحديد مفهومه، وربما تختلفا في نفس الوقت اختلافاً كلياً؛ لبعد المنهجين واختلاف الرؤيتين من الناحية التصورية.

أما العنوان المختار لهذا البحث من وجهة نظر الباحث، فهو "**منهج القرآن الكريم في التربية** "، وليس " **منهج التربية في القرآن الكريم** " ، وإن كان في العموم لا غبار على استخدام كلا العنوانين ، فهما يدلان إلى درجة كبيرة على المقصود ، ويرجح الباحث العنوان المختار لعدة مبررات ، منها:

– أن منهج القرآن الكريم في التربية ،أدق عبارة ، وأعمق معنى ، من منهج التربية في القرآن ؛ لأن معنى العنوان المختار أي الطريق الذي رسمه القرآن الكريم في تربية

المسلمين فـ"القرآن منهج حياة متكامل، تنبثق أخلاقه وعباداته وشرائعه من عقيدته، فهي الأصل وما عداها فروع"(١).

- أما منهج التربية في القرآن ، فهو يرسم ويحدد المناهج التربوية التي وردت في القرآن الكريم المتعددة، فمنها الصحيح ومنها السقيم الذي أتبعه أصحابه، فأصابهم الهلاك والدمار عندما نهجوا ذلك المنهج، قال تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(٢)أي أنه" جعل لكل منهم طريقاً ومنهاجاً، وجعلهم مبتلين مختبرين فيما آتاهم من الدين والشريعة، وما آتاهم في الحياة كلها من عطايا"(٣).

- تطورت المناهج في العصر الحديث ، وتعددت وألغت بعضها بعضاً ، أما المنهج القرآني فبقي واضحاً بيناً نبراساً، يتجدد بكل عصر وزمان ومكان مع ثباته ولمعانه وإسعاده لمن سار على نهجه في جميع المجالات، حتى نادى العقلاء من الغربيين في هذا العصر بالرجوع إلى المنهج القرآني ؛ لحل مشاكلهم ومنها الأزمة الاقتصادية التي اهتزت لها عروش المجتمع الغربي بأعظم دوله، فقال : بوفيس فانسون : لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات (مجلة تشالينجر).

- من ناحية اعتبارية، فإن أصل جميع التربيات الصحيحة الإنسانية لا تخرج عن ما ورد في المنهج القرآني ،بأي حال من الأحوال في القديم و الحديث وفي المستقبل، فالقرآن له منهج فريد في التربية ، فيربي بآياته متى صادف الفطرة السليمة ، والقلب

---

(١) محمد شديد ، منهج القرآن في التربية ، ص٣٠٢ .

(٢) سورة المائدة : ٤٨ .

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج٢ ، ص٩٠٣ .

الذكي، والعقل الواعي، والقدوة الحسنة لدى المتربي؛ لذا فمنهج القرآن في التربية هو الأصل بالتقديم ، فهو" منهج شامل متكامل، كل جزئية فيه مقصودة، وكل كلمة فيه بحساب"(١).

موضوع البحث :

إن لكل تربية في الوجود البشري، منهج تسلكه وتسير عليه في إطارها النظري ، وفي إطارها التطبيقي العملي، بغض النظر عن مدى صحة هذا المنهج أو عدم صحته، وبمقدار صحة هذا المنهج، وتجرده من الحظوظ الإنسانية المغروزة في النفس الإنسانية، التي تسعى بكل ما أوتيت من قوة وسلطان؛ لتحقيق رغباتها وأهوائها، وما تتطلع إليها الفئة التي أطرت هذا المنهج في حدود ما تريد ! وإن أطلقت عليه ما أطلقت من المسميات الجوفاء، التي لا تحمل إلا مجرد الاسم الذي ينجذب إليه الاتباع ، بغض النظر عن حقيقة هذا المنهج في واقع الحياة وتطبيقاتها.

والتربية الإسلامية لا شك أنها تنطلق من منهج رئيس، تسلكه وتسير على ضوئه في إطارها النظري والعملي، والذي يميز هذا المنهج عن غيره من المنهاهج التربوية ، أنه منهج رباني سماوي، يستمد توجيهاته من وحي السماء ، القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة التي زكى الله صاحبها بقوله تعالى : ﴿مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ " النجم :٣-٤".

ولذا الإنطلاق منهما في التربية يحرر النفس من حظوظها البشرية، ويرتقي بها إلى مدارك السمو والعلو؛ لأنه يشدها إلى السماء مع موازنه لما في الأرض في نفس الوقت والحال معاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية ، ج١، ص٧.

تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(١) وهذا لا يوجد في المناهج التربوية البشرية، التي وظيفتها الأساسية أن تشد الفرد إلى الأرض بكل معاني هذه الكلمة بعيداً عما في السماء.

ولذا فالمنهج الرئيس للتربية الإسلامية حسب ترتيبهما ،القرآن الكريم ثم السنة النبوية، علي صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذان المصدران هما المرجع الرئيس للتربية الإسلامية في المجالات التشريعية وفي المجالات التربوية، وكل ما سواهما يعود إليهما مما أتفق عليه أهل العلم والدراية من العلماء الربانين من السلف والخلف.

وهنا يتطرق الباحث إلى الحديث عن منهج القرآني الكريم في التربية فقط ؛ لذا عنونى لبحثه بهذا العنوان ، مع أهمية السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، فهي التطبيق العملي لحياة الحبيب المصطفى ﷺ ،وهي الترجمان الحقيقي للقرآن الكريم ، مفسرة وشارحة ومقيدة لعمومه ، وهما لا ينفكان في حياة المسلم ،بأي حال من الأحوال ، ولكن لا يختلف أثنان في المجتمع المسلم، أن القرآن الكريم هو المنهج الرئيس الأول في التربية ، وأن السنة النبوية الصحية على صاحبها أفضل صلاة وأتم تسليم هي الثاني في الترتيب.

وبعد هذا الترتيب العام ،فإن مضمار البحث المخصص هنا، وهو ما يتعلق بالقرآن الكريم والتربية، وهو ما اسماه الباحث " **منهج القرآن الكريم في التربية** " ؛ وهو جانب تأصيلي تربوي ، لما سبق ذكره في طيات هذا البحث ، ومنه تنطلق تساؤلاته.

(١) سورة القصص : ٧٧.

تساؤلات البحث:

وفي ضوء ما سبق يتحدد السؤال الرئيس للبحث : ما منهج القرآن الكريم في التربية ؟ ويتفرع من هذا السؤال الرئيس التساؤلات التالية :

١-ما الطبيعة الإنسانية وحقيقتها في الخطاب القرآني ا؟

٢-ما مفهوم الفطرة الإنسانية في القرآن الكريم،وما وظيفة المربي المسلم اتجاهه؟

٣-ما الجانب الوقائي والعلاجي للنفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم ؟

٤-ما النموذج المختار من مبادئ تربية النفس الإنسانية في القرآن الكريم في هذا البحث؟

٥-ما الفكر التربوي لدى الخليفة الراشد الثاني: عمر بن الخطاب ﷺ كأحد نماذج مدرسة منهج القرآن الكريم في التربية ؟

أهداف البحث ، يهدف هذا البحث إلى :

- تأصيل موضوع التربية بالقرآن، وأنه هو المنهج الرئيس في التربية في الإسلام.
- الإسهام في إبراز عموم رسالة القرآن ومنهجه في الأُصلاح التربوي للنفس الإنسانية.
- إبراز الطبيعة الإنسانية وحقيقتها في الخطاب القرآني.
- مفهوم الفطرة الإنسانية ووظيفة المربي المسلم تجاه هذه الفطرة.
- طبيعة الجانب الوقائي والعلاجي للنفس الإنسانيةفي ضوء القرآن الكريم.
- إبراز نموذج من نماذج تربية النفس الإنسانية في القرآن الكريم"مبدأ المسؤولية الذاتية".
- إبراز الجانب الفكري التربوي لدى الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه كأحد نماذج مدرسة منهج القرآن الكريم في التربية .

أهمية البحث :

مما سبق أعلاه تبرز أهمية البحث في عدة نقاط منها :

- تأصيل موضوع التربية بالقرآن، وأنه هو المنهج الرئيس في التربية في الإسلام.
- الإسهام في إبراز عموم رسالة القرآن ومنهجه في الأُصلاح التربوي للنفس الإنسانية.
- إبراز التوافق والتناغم بين الإنسان عندما يكون سوياً على الفطرة وبين الكون والوجود كله في مفهوم التربية الإسلامية في العموم والتربية القرآنية في الخصوص.
- تصحيح بعض المفاهيم والتصورات المغلوطة حول بعض التطبيقات التربوية الإسلامية في الميدان التربوي .
- بيان موقف التربية الإسلامية من التحديات المعاصرة التي تحف بها من شمالها وجنوبها ، وشرقها وغربها، وتتقاذفها كالأمواج المتلاطمة بكل قوة ؛ لتفتت أجزائها ومكوناتها الأساسية، فسرعان ما تمتص تلك الصدمات ، بكل مرونة وحيوية ، فتحولها إلى مضادات حيوية داخلية ، تقضي على كل فيروس يحاول أن يقضي أو يضعف مقوماتها الأساسية.
- المساهمة في علاج بعض أمراض الأمة الإسلامية المزمنة التي نتجت عن بعدها عن حقيقة منهج القرآن الكريم في التربية ، والتي من أبرزها وجود هواة واسعة بين ما تدعو إليه مبادئ ونماذج مدرسة منهج القرآن الكريم وسلوك الفرد في العالم الإسلامي اليوم.
- إن البقاء الحقيقي، والنصر والتمكين؛ لهذه الأمة الإسلامية المتميزة في تربيتها ، رضي من رضي وأبى من أبى ، فإن خفت لامعانها وبريقها في زمن ما ؛لضعف إيمانها؛ لكنه سرعان ما يعود إلى توهجه وتألقه، عندما تعود إلى منهج القرآني الكريم.

منهج البحث :

لكي يحقق البحث أهدافه المتوخاة؛ فيرى الباحث استخدام المنهج الوثائقي الوصفي،وهذا المنهج يتضمن " بصفة أساسية وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق والمسجلات — مع بعضها بطريقة منطقية والاعتماد على هذه الأدلة في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة أو تقدم تعميمات سليمة عن الأحداث الماضية أو الحاضرة أو عن الدوافع والصفات والأفكار الإنسانية "(١).

وفي ضوء هذا التعريف يضع الباحث تعريفا للمنهج الوثائقي الوصفي على ضوئه ينطلق في جمع مادة بحثه بأنه : وصف شامل للمشكلة من خلال الإطلاع على المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع خصوصاً- منهج القرآن الكريم في التربية – وما يتعلق بالتربية الإسلامية عموماً، موظفاً في ذلك الطريقة الاستقرائية والاستنباطية معاً، للمساهمة في علاج واقع الأمة الإسلامية اليوم بفهم ذلك الواقع، وتحليله، وبيان مكامن الضعف فيه، وتطويره وتغييره إلى الأفضل والأحسن، وفي ضوء هذا المنهج جمع الباحث مادة البحث .

مصطلح البحث .

إيضاح المصطلح، هو المفتاح الذي من خلاله يستطيع القارئ، فهم مراد الباحث من استخدامه لذلك المصطلح، ولذا يركز البحث العلمي على هذا الجانب، الذي تنطلق من ركيزته المادة البحثية للباحث؛لكي ينحصر بحثه في نقطة معينة من خلالها يضيف فائدة علمية جديدة أو يجمع متفرقات في موضع واحد حول موضوع بحثه يصعب جمعها لولا ذلك البحث، أو يصحح مفاهيم خاطئة ومغلوطة تعلقت بالموضوع

---

(١) أحمد بدر ،أصول البحث العلمي ومناهجه، ، ص١٩٣.

أو غير ذلك ،والمصطلح الذي يسعى الباحث لتضمينه في بحثه هو " **منهج القرآن الكريم في التربية** ".

المنهج في اللغة :

فالمنهج والمنهاج مشتقة من النهج ، والنهج في اللغة : الطريق الواضح ، وكذلك المنهج والِمنهاجُ.وأنهجَ الطريقُ، أي استبانَ وصار نهجاً واضحاً بيناً "(١) ، وقال صاحب لسان العرب (٢):

نهج: طريقٌ نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضِحٌ، وَهُوَ النَّهْجُ .. وطُرُقٌ نَهْجَةٌ، وسبيلٌ مَنْهَجٌ: كَنَهْجٍ. ومَنْهَجُ الطريقِ: وضَحُه. والمِنهاجُ: كالمَنْهَجِ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ (٣)، وأَنهَجَ الطريقُ: وضَحَ واسْتَبانَ وَصَارَ نَهْجاً واضِحاً بَيّناً؛ قَالَ يزيدُ بنُ الخَذَّاقِ الْعَبْدِيُّ:

وَلَقَدْ أَضاءَ لَكَ الطريقُ، وأَنْهَجَتْ ... سُبُلُ المكارِمِ، والهُدَى تُعْدِي

أَي : تُعِينُ وتُقَوِّي. والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ. واسْتَنْهَجَ الطريقُ: صَارَ نَهْجاً.. ونَهَجْتُ الطريقَ: أَبَنْتُه وأَوضَحتُه؛ يُقَالُ: اعْمَلْ عَلَى مَا نَهَجْتُه لَكَ. ونَهَجتُ الطريقَ: سَلَكتُه. وفلانٌ يَستَنهِجُ سبيلَ فلانٍ أَي يَسلُكُ مَسلَكَه . والنَّهْجُ : الطريقُ المستقيمُ .

---

(١) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج٢،ص٢٣٤.

(٢) محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢، ص٣٨٣.

(٣) سورة المائدة : ٤٨.

وبهذا فإن المقصود من مصطلح " **منهج القرآن الكريم في التربية**" لدى الباحث هنا : أي الطريق الواضح البين الذي رسمه القرآن الكريم في تربية لرسول ﷺ وصحابته الكرام ليستمدوا منه هم والأجيال المسلمة منهاج حياتهم وتربيتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فالقرآن الكريم " منهج حياة متكامل، تنبثق أخلاقه وعباداته وشرائعه من عقيدته، فهي الأصل وما عداها فروع"(١)، فهو نظام متكامل من الحقائق والمعايير الألهية الثابتة، والخبرات والمعارف القرآنية، والمهارات الإنسانية المتغيرة التي يكتسبها المسلم ليرتقي إلى مرتبة الكمال الإنساني التي هيأه الله لها "(٢).

يقول صاحب كتاب دراسات قرآنية من خلال دراسته للقرآن الكريم :"فكنت أخرج بنتائج محددة في كل مرة : أن هذا الدين المعجز، الذي كتابه القرآن ، عملاق ضخم في كل زاوية يدرس منه .. عملاق ضخم في منهجه الاقتصادي ..عملاق ضخم في منهجه التربوي ..عملاق ضخم في منهجه الأخلاقي .. عملاق ضخم في منهجه في نظام الأسرة .. عملاق ضخم في منهجه السياسي .. وهكذا وهكذا في كل مجال، بحيث تبدو المناهج البشرية إلى جواره أقزاماً ضيئلة، فوق أنها ممسوخة الكيان"(٣).

حدود البحث :

لهذا البحث حدود موضوعية، وهي الجانب التربوي لمنهج القرآن الكريم ، ومدى مساهمة هذا المنهج في إصلاح النفس الإنسانية عموما ،والفرد المسلم خصوصاً،

---

(١) محمد شديد، منهج القرآن في التربية ، ص٣٠٢.

(٢) علي أحمد مدكور ، مفهوم المنهاج التربوي في التصور الإسلامي ، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة "٢- ٥ محرم ١٤١١هـ ، ج٢، ص٦٠.

(٣) محمد قطب ، دراسات قرآنية ،ص١٥.

ومعالجة الواقع الحالي للمجتمعات المسلمة على ضوء الفهم الصحيح لمنهج القرآن الكريم في التربية الذي بلغ أوجد تطبيقه العملي في صدر الإسلام .

المبحث الثاني: القرآن الكريم وتربية النفس الإنسانية.

أولاً: الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم.

كلمة الإنسان وردت في القرآن الكريم **٥٦ مرة** كالآتي[١]:

– مرة واحدة في السور التالية : النساء :٢٨، يونس:١٢، إبراهيم :٣٤، الحجر:٢٦، النحل :٤،الكهف:٥٤ ، الأنبياء : ٣٧، الحج: ٦٦، المؤمنون:١٢، العنكبوت:٨، القمان:١٤، السجدة:٧، الأحزاب:٧٢، يس:٧٧،الشورى : ٤٨، الزخرف:١٥، الأحقاف:١٥، ق:١٦ ، المعارج : ١٩.

– ومرتان في السور التالية : مريم : ٦٦، ٦٧، الزمر : ٨، ٤٩، فصلت: ٤٩ ،٥١، الرحمان:٣، ١٤، القيامة:٣، ٥.

– وأخيراً أربع مرات في سورة الإسراء (١١، ٦٧،٨٣، ١٠٠).

ومن خلال تصفح المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وجد الباحث أن لفظة الإنسان وردت في ٦٥ موضعاً كما أشار إلى ذلك مؤلف الكتاب[٢]، والمصحف الرقمي ذكر أن كلمة الإنسان وردت ٥٦ مرة.

وهذا الاختلاف شد انتباه الباحث ، مما جعله يبحث عن سبب الاختلاف، وبعد المقارنة بين العدد الوارد في المصحف الرقمي، والعدد الوارد في المعجم المفهرس لألفاظ

---

(١) المصحف الرقمي .

(٢) محمد فؤاد عبدالباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص١١٩- ص١٢٠

القرآن الكريم ، والتأكد من العدد الوارد في المعجم بمتابعة العدد وجد الباحث أن العدد فعلاً " ٦٥"مرة، ولكن لاحظ ما يلي :

أن المصحف الرقمي يورد عدد الآيات فقط التي ربما تكرر فيه ذكر الإنسان أكثر من مرة، بخلاف المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم فإنه يكرر، بحيث يورد كلمة لفظ الإنسان في الآية الواحدة على حدة، بالإضافة إلى ذكر لفظة الإنسان بدون أل التعريف كالفظة (إنسان) ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾(١)، وهذا مثال توضيحي لما سبق ، ففي سورة الإسراء أورد المصحف الرقمي عدد الآيات التالية في أربع مواضع كالآتي :"١١، ٨٣، ٦٧، ١٠٠) أما المعجم المفهرس فأورد سبع مواضع كالآتي :"٥٣،١٣،١١،١١، ٦٧ ، ٨٣ ،١٠٠)،ونلاحظ أن الآية "١٣" من سورة الإسراء وردت في المعجم بخلاف المصحف الرقمي لعدم وجود أل التعريف، وبهذا يزيل اللبس الذي حدث للباحث أثناء المقارنة بين العددين الواردين في كل من المعجم المفهرس والمصحف الرقمي.

ومجموع ألفاظ الإنسان ومشتقاتها ومرادفاتها الواردة في القرآن الكريم ، يقرب من " ستمائة وإحدى وثمانين مرة . وقد جاءت هذه الألفاظ لتشكل لنا إنسان القرآن بصورته الحسية والأخرى غير الحسية، فترسم لنا قصة الإنسان منذ نشأته وحتى نهايته ومن ثم بعثه مرة أخرى "(٢).

---

(١) سورة الإسراء : ١٣ .

(٢) صالح موسى درادكه ، الإنسان في القرآن الكريم، ص٩.

وحقيقة الإنسان في القرآن أنه مر بمراحل في النشأة والتكوين ، فذكر القرآن أن الله خلق آدم الإنسان الأول في الوجود، وهو أبو البشر قاطبة " من تراب ، وجعل تناسله من ماء، ويمر الإنسان في أطوار بعد نشأته الأولى . فمن التراب يصير طيناً ثم صلصالاً ، ثم يصبح حمأً مسنوناً ، ثم بعد ذلك فخاراً، ثم ينفخ الله فيه الروح فيجعله خلقاً آخر "(١)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢)،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣)،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾(٤)قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾(٥)، ثم يأتي التكريم الرباني لهذا الكائن البشري ، بنفخ فيه الروح ، التي وجد الإنسان بها إنسانيته وتكريمه قاطبة على المخلوقات (٦)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾(٧).

---

(١) المرجع السابق ، ص١١.

(٢) سورة آل عمران : ٥٩ .

(٣) سورة الحجر :٢٨ .

(٤) سورة الحجر: ٢٦.

(٥) سورة الرحمن:١٤.

(٦) صالح موسى درادكه ، الإنسان في القرآن الكريم .

(٧) سورة ص : ٧١- ٧٢ .

وكذلك من حقيقة الإنسان في الخطاب القرآني ، أن هذه النشأة للإنسان " بمراحلها المختلفة تماثل وتوازي نشأة الإنسان بالتناسل وتشابه أطواره والأطوار التي يمر بها الجنين في رحم الأم، فلنظر إلى قوله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ (١٤)** ﴾ (١).

وتنوع الخطاب القرآني للإنسان من ناحية نشأته وتكوينه، والمراحل التي يمر بها في حياته إلى أن يقف بين يدي ربه للمحاسبة والمجازاة على ما قدم في دنياه ، **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ **وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا (١٣) ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)** ﴾(٢).

وإذا تابع المطالع الآيات القرآنية الموجهة لمخاطبة الإنسان ، فيجدها ،إما أن تكون مباشرة لكيانه كاملاً كما سبق في الآيات ، وهي تخاطب الإنسان ، وإما تكون لعضو من أعضائه وهي تعبيراً لتكوينه كاملاً ، ولكن خصص بالذكر هذا العضو للأهمية وإبراز دوره في حياة الكائن البشري، منها الجسد ، والروح ، والنفس، والعقل ، والقلب ، وهذه العناصر رئيسة في التكوين البشري ؛لذا كان الخطاب القرآني

(١) سورة المؤمنون: ١٢ – ١٤ .

(٢) الإسراء: ١٣ – ١٤.

للإنسان يتوجه إليها في بعض الآيات القرآنية مباشرة وفي بعض الأحيان بطريقة غير مباشرة.

إن الإنسان في الإسلام كائن كامل يقوم على ثلاثة عناصر أساسية هي الروح والعقل والجسم، ويختصر بعض المفكرين هذا الثلاثي الرئيس في التركيبة الإنسانية بمصطلح "عقيد"، وهي مأخوذة من (عقل وقلب وجوارح "يد") . وقد حرص الإسلام على تربية هذه العناصر وتغذيتها بتوازن ودقة متناهية؛لأن إهمال جانباً على حساب جانب أخر يحدث تشوهاً في بنية الإنسان ونفسيته،وبالتالي يؤثر على حياته ودوره وأثره في الكون كله.

فالروح غذاؤها بالعبادات والذكر وقراءة القرآن الكريم،والتأمل في مخلوقات الله والبكاء من خشية الله والجسم غذاؤه من الطيبات حتى يكون قوياً قادراً على تحمل أعباء الحياة ومسؤولياتها،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]، والعقل غذاؤه بالعلم والمعرفة والبحث والنظر في آفاق الكون، وشعارنا نحن المسلمون في هذا الميدان: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[2] [3].

---

(١) سورة الأعراف: ٣٢.

(٢) سورة العلق : ١ .

(٣) عوض بن حمد الحسني ، مشروع التربية الأخلاقية للمرحلة الثانوية في ضوء التحديات المعاصرة لبناء شخصية إسلامية فاعلة ضمن مواد التربية الإسلامية، ص١٢.

وحسب الباحث، أن يقف مع هذه الآية على عجالة وهو أن يتكلم عن منهج القرآن الكريم في التربية، أن يستعرض بعض المضامين التربوية المستنبطة من هذه الآية الأولى التي نزل بها القرآن الكريم على رسول الله ﷺ ، التي بدأت بتحديد الجهة التي يلزم أن يتطلع إليها الإنسان في العموم والمسلم في الخصوص وهو"يتلقى عنها تصوراته وقيمه وموازينه.. إنها ليست الأرض وليس الهوى .. إنما هي السماء والوحي الإلهي"(١).

وإذا عاش الإنسان هذا التوجه، وأدركه الإدراك الحقيقي، وتعامل معه التعامل العملي التطبيقي في جميع جوانب حياته ، سيصبح مصدر سعادة لنفسه أولاً ولغيره ثانياً، وهذا ما حدث بالفعل؛ لطائفة المؤمنة الأولى- ومن سار على نهجها- التي تلقت هذا التوجيه القرآني في تربيتها، فغيرت حياتها، وغيرت مجريات حياة الأمم والشعوب المجاورة لها، فعاشوا" يتطلعون إلى الله مباشرة في كل أمرهم. كبيره وصغيره. يحسون ويتحركون تحت عين الله.. وكان هذا الحدث هو مفرق الطريق.وقامت معالم في الأرض واضحة عالية لا يطمسها الزمان، ولا تطمسها الأحداث. وقام في الضمير الإنساني تصور للوجود وللحياة وللقيم لم يسبق أن أتضح بمثل هذه الصورة"(٢).

وبعد هذا الاستعراض ؛ لهذا الحدث الذي بدأ بالتوجيه بالقراءة الموجهة، بمفهومها الواسع ، قراءة الكون وما فيه من الأسرار العظيمة، التي تدل على أن هناك واحد ،أحدٌ فردٌ صمدُ ، خلق الإنسان ، والكون بما فيه؛ لغاية واحدة ، وهي عبوديته

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٦، ص ٣٩٣٧.

(٢) المرجع السابق ، ص٣٩٣٧- ص٣٩٣٨٩.

المحضة، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[١]والآن نعيش مع بعض المضامين التربوية المستنبطة من هذا الآية، ومنها:-

١- القراءة بمفهومها الواسع ،ابتداءً من التدبر والتأمل في الكون ومخلوقات الله عز وجل ،وانتهاءً بتعلم أدوات الكتابة، من أسباب تعظيم الخالق جل جلاله؛ ولذا كانت أول توجيه ومخاطبة من الله؛ لنبيه ورسوله الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب(ٱقْرَأْ)، قال الشاعر: وفي كل شيءٍ له آية * تدل على أنه واحد.

٢- العلم وأهميته في رقي الإنسان ابتداءً ، وفي رقي المجتمعات ككل، ولكن أي علم ؟! إنه العلم المقرون باسم الله(اقرأ باسم ربك)، فإن العلم الذي يدل على الله عز وجل،أياً كان تخصص ذلك العلم ومادته،وإن كان العلم الشرعي من أعظم هذه العلوم لاحتوائه على أمور الدينا والدنيا إلا أن العلم هنا عام والقراءة كذلك في بداية الآية عامة ،وإن كانت مقرونة باسم الله ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾؛ ولذا كانت رسالة الإسلام " فاتحة لعهد الرشد البشري كان اهتمامها بالعلم اهتماماً كبيراً بالغاً ؛ فقد بدأ الوحي بالأمر بالقراءة والإشادة بالعلم"[٢].

٣- إن معايير الكرامة الإنسانية ،القراءة والكتابة ورفع الأمية عن المجتمعات الإنسانية عموماً والمجتمعات الإسلامية خصوصاً؛لذا أكد القرآن في أول توجيه للرسول ﷺ بأهمية القراءة والمطالعة بمفهومها العام والخاص، واقترنت بكرامة الله عز وجل﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾، أن من يلحظ الآية السابقة يجد أنها جمعت بين" القراءة وكرم الرب،

---

(١) سورة الذريات : ٥٦ .

(٢) محمد شديد ، منهج القرآن في التربية ، ص١٣٥.

أي أن القراءة وكرم الرب اقترنا في مكان واحد .. وهذا الاقتران متلازماً ،أي أن الذين ينالون كرم الرب وغناه هم القراء أو أكثر الناس قراءة في العالم"(١).

٤- الإشارة إلى القلم، الذي هو أداة من أدوات العلم ، فهي دعوة إلى الاهتمام والعناية بها، ولا يقتصر مسمى القلم على القلم المعروف،وإنما المقصود كل أدوات التعلم في كل زمان ومكان ، ومن أبرز هذه الأدوات القلم ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾(٢).

٥- إن الله عز وجل ، هو مصدر التعليم الحقيقي للإنسانية جمعاء مسلمها وكافرها، فهو الذي خلق الإنسان وأوجده ، وخلق الكون بما فيه ، وأمد الإنسان بأدوات التعلم والوصول إلى المعرفة في الآفاق، وفي الأنفس،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٣)، فهو الذي يلزم عبادته والتوجه إليه ، فمنه " يستمد الإنسان كل علم، وكل ما يعلم ، وكل ما يفتح له من أسرار هذه الحياة، ومن أسرار نفسه، فهو من هناك . من ذلك المصدر الواحد، الذي ليس هناك سواه"(٤)، واستشعار هذا المبدأ والمضمون القرآني التربوي للآية يدعو إلى التواضع وعدم الترفع بالعلم على الآخرين مهما نال الشخص من العلم والمناصب الرفيعة ،فالفضل أولاً وأخيراً يعود لصاحب الفضل الله عز وجل.

٦- قال تعالى : (ٱقْرَأْ) أي أنت الذي تقرأ وليس غيرك يقرأ لك ،وهذا دعوة صريحة للبعد عن التبعية والتقليد الأعمى ،ودعوة في نفس الوقت للعقل للانفتاح المنضبط ،

---

(١) جودت سعيد، ١٤٠٨إقرأ .. وربك الأكرم ، أبحاث في سنن تغيير النفس والمجتمع. ، ص٢٦.

(٢) سورة القلم : ٤ .

(٣) سورة القلم : ٥ .

(٤) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج٦ ، ص٣٩٣٩.

الذي يعلم صاحبه، أنه مخلوق ضعيف ، وأن عقله ومداركه محدودة مهما بلغ من العلم والبرهان، فلا يصبح عقله هو المحكم للنص القرآني ، وإنما النص القرآني ، وما صح من حديث رسول الله ﷺ، هو المحكم للعقل.

٧- التدرج وتقديم الأهم فالأهم من المبادئ والمضـــامين التربوية ، فقدمت في الآية القراءة بمفهومها الشامل على الكتابة التي هي جزء من القراءة بمفهومها الخاص .

ويعود الباحث بعد هذه الومضة مع هذه الآية في جانبها التربوي يستكمل ما بدأه، فخاطب القرآن الكريم الإنسان على حالته النفسية ، وما يمر بها من تقلبات فطرية متعددة؛ لذا تعدد ت الحالة النفسية التي تصف الإنسان، وتعدد الخطاب الموجه للإنسان، ويستعرض الباحث بعض الآيات التي تضمنت هذا الخطاب القرآني:

- ضعف التكوين الخلقي لنفس الإنسانية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

- الاستكانة وقت الحاجة والتنكر وقت الرخاء ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾[3].

---

(١) النساء: ٢٨.

(٢) سورة يونس: ١٢.

(٣) سورة هود: ٩ .

- المسؤولية التامة عن جميع التصرفات في جميع الحالات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

- العجل وعدم التأني والتسرع في القرارات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾[3]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾[4].

- الجدل والاحتجاج وعدم الرضى في الغالب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾[5].

- الهلع حال المقدرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾[6].

- كفر النعمة وعدم الشكر والانقياد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾[7]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾[8] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ﴾[9].

---

(١) سورة الإسراء: ١٣.
(٢) سورة القيامة : ١٤ .
(٣) سورة الاسراء : ١١ .
(٤) سورة الأنبياء : ٣٧ .
(٥) سورة الكهف : ٥٤ .
(٦) المعارج: ١٩.
(٧) سورة الحج: ٦٦.
(٨) سورة العلق : ٦ .
(٩) سورة العاديات : ٦ .

- دعوة لتفكر في النفس والتكوين والمطعم ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[1]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[2]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [3].

- الكدح والتعب في الدنيا ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾[4]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾[5].

- حسن القوام والخلقة الإنسانية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[6].

- الخسارة الإنسانية لمن أعرض عن طريق الهداية والفلاح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾[7].

ثانياً: مفهوم الفطرة الإنسانية في القرآن الكريم ووظيفة المربي المسلم اتجاهها

إن الله عز وجل خلق الإنسان، وغرز في نفسه أشياء يتفق عليها جميع البشر في أصل خلقتهم، وإن ختلفوا بعد ذلك في تلبيتها وتوظيفها حسب المؤثرات البيئية والأسرية لتلك النفس البشرية، ومن هذه الأشياء المفطور عليها حاجة الإنسان إلى عقيدة دينية تنبثق عنها جميع تصرفاته القولية والفعلية.

---

(١) سورة الإنسان :٢.

(٢) سورة عبس : ٢٤.

(٣) سورة طارق : ٥.

(٤) سورة الانشقاق: ٦ .

(٥) سورة البلد: ٤

(٦) سورة التين : ٤.

(٧) سورة العصر : ٢ .

ولذا فإن حاجة الإنسان الفطرية إلى من يعبده ويتذلل له حاجة فطرية لا تستغنى عنها النفس الإنسانية بأي حال من الأحوال، وما نراه ونسمع بها من عبادة الإنسان لبعض المخلوقات الكونية حتى في عصر التقدم والحضارة والوصول للقمر، والتعرف على كثير من مكنونات الكون لا يستغرب إذا عرفت هذه الحقيقة الكونية وهي حاجة النفس الإنسانية الفطرية إلى من تعبد!

ولهذا فإن الإسلام المنزل من الله عز وجل، أتى موافقاً لتلك الفطرة ملبياً لمتطلباتها، مرتقياً بها سلم الرقي الإنساني ، بأن عبدها لمن أوجدها وخلقها، وعند ذلك تجد راحتها واستقرارها وسعادتها وأنسها، إذا سارت في طريقها الطبيعي والحقيقي الذي أراده الله لها، وهذه هي الفطرة الإنسانية.

فمنهج القرآني الكريم في تربية النفس الإنسانية هو" ردها إلى فطرتها السليمة، وتخليصها مما علق بها من أوضار الوراثة والبيئة ، وخرافات العرف والتقليد ، وأساس هذه الفطرة هو التوحيد، فقد جلبت النفس على ربها، وقد تحجبها الغفلة والبيئة والتقليد أحياناً ولكن جذور هذه المعرفة عميق في النفس لا سبيل إلى إنكارها أو التخلص منها"(١)، وصدق الله عز وجل القائل في كتابها الكريم : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢)، وصدق رسوله الكريم ﷺ:(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..) (٣).

---

(١) محمد شديد ، منهج القرآن في التربية ، ص٨٢.

(٢) سورة الروم : ٣٠ .

(٣) صحيح البخاري، ،ج٢ ، رقم الحديث : ١٣٨٥ ، ص١٠٠ .

فالإسلام جاء موافقاً لهذه الفطرة الإنسانية في أصلها، محققا لها، داعياً إليها، بل جعل تحقيقها وتلبيتها من منطلقات النفس الإنسانية السوية؛ لذا قال ﷺ: لأوائل الذين حصل لديهم لبس في فهم بعض مقاصد الإسلام فأرادوا عدم تلبية هذه الفطرة في بعض اتجاهاتها الفطرية الإنسانية ، فقال أحدهم : لا أتزوج النساء، وقال الآخر: لا أنام الليل، وقال الثالث: لا آكل اللحم أو نحو ذلك، فلم عرف النبي ﷺ حالهم وعدم توافق ما أرادوا القيام بها مع الفطرة الإنسانية التي أتى الإسلام داعياً ملبياً لها في جميع اتجاهاتها ما يتعلق بالروح وما يتعلق بالجسد، وما يتعلق بهما معاً، فحمد الله وأثنى عليه. فقالﷺ: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"(١).

بل حث الإسلام المسلم أن يحافظ عليها، بعدة طرق ووسائل، وأساليب، وهذه من الوظائف الأساسية للمسلم عموماً، وللمسلم المربي خصوصاً، ومن هذه الطرق والوسائل والأساليب تجاه الفطرة الإنسانية ما يلي :

- المحافظة على صيانة هذه الفطرة من خلال الجانب الوقائي الذي حثت عليه التربية الإسلامية في الكتاب والسنة في باب المحافظة على هذه الفطرة المباركة على طبيعتها التي طبعها الله عليها
- إشباع الحاجات الأساسية للفطرة في تركيبة الإنسان.
- تنمية ما في هذه الفطرة من مواهب وقدرات وحب للخير وفعلها وابتعاد عن الشر وأهلها.

---

(١) صحيح مسلم ، رقم الحديث : ١٤٠١، ج٢ ، ص١٠٢٠ .

- تهذيب وإصلاح ما تتعرض له الفطرة من انحراف أولاً بأول وعدم تراكب تلك الانحرافات عليها مما يفسدها ويخرجها عن مسارها الطبيعي.

وذكر الرشيدي، والرديني مجموعة من هذه الوظائف للمحافظة على هذه الفطرة الإنسانية سليمة معافاة(١)، وهي :

- تربية الإنسان المسلم على مغالبة الهوى والشيطان بحسن العبادة.
- تعويد المسلم على التسامي وجهاد النفس على أساس أنه الجهاد الأعظم.
- التشجيع على الارتقاء بالسلوك والتحلي بحسن الخلق الإسلامية.
- الاعتماد على الأوامر الإسلامية والنواهي الإلهية في تحقيق قيمة الإنسان.
- ترك السوء قولاً وعملاً ، ظاهراً وباطناً.

ثالثاً: الجانب الوقائي والعلاجي في تربية النفس الإنسانية

الجانب الوقائي من الجوانب الجوهرية التي اعتنى بها المنهج القرآني للتربية، وما هذا الاهتمام والعناية بهذا الجانب سواءً في الجانب الفردي أو الجماعي إلا لأن"الإنسان مجبول على الإيمان فهو في حاجة إلى الوقاية أكثر من حاجته إلى العلاج"(٢).

وكذلك حرص المنهج القرآني التربوي الذي يتعامل مع هذه النفس الإنسانية المعقدة تعاملاً خاصاً ؛ لمعرفته بدواخلها ،وما يتعلق بها من جوانب متعددة ظلت جميع التربيات في التعرف عليها،ومعرفة ما بداخلها، فاقد الشيء لا يعطيه كما يقال، ومن يجهل كنه الشيء يجهل كيفية التعامل معه! .

---

(١) أحمد كامل الرشيدي ، وفاطمة بنت حمد الرديني ، التربية الإسلامية من المفهوم إلى التطبيق (ضرورة إنسانية)، ص١٤٩- ص١٥٠.

(٢) خليل الحدري، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها ، ص٤١ .

أما التربية الإسلامية المنبثقة من مصدري السعادة الدنيوية للبشرية جمعاء — القرآن الكريم والسنة النبوية– بدون استثناء، فإنها نجحت نجاحاً كبيراً في التعامل مع هذه النفس البشرية ، ومعرفة ما بداخلها، وما تحتاج إليه أولاً قبل كل شيء ، ومن هذه الاحتياجات الأولية لها العزف على أوتارها الوقاية قبل كل شيء، فهي بفطرتها وتكوينها تميل للحق والبحث عنه ، وتقبله إذا سلمت من المؤثرات البيئة المحيطة بها: لذا قال ﷺ « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه ،أو ينصرانه ،أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[1] [2].

ومن يتأمل هذا الجانب الوقائي في كتاب الله عز وجل من خلال منهج القرآن الكريم في التربية يجد منهجاً واضحاً في التعامل مع النفس الإنسانية بدلالاتها على النجاة والطرق المؤدية إلى سعادته في الدنيا والآخرة ، وتحذيرها من المعصية وأسباب العذاب والشقاء قبل أن تقع فيها، وكل هذا من جانب وقائي قبل وقوع العقاب والعلاج المقدم لهذه النفس سواءً كان معنوياً أو حسياً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[3]، وهذا نداء وقائي للنفس المؤمنة بنجاتها ونجاة من يتبعها من الأهل من النار وذلك بحملها وحمل من يتبعها ابتداءً على الطاعة .

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) البخاري، صحيح لبخاري ، رقم الحديث : ١٣٥٨، ج٢ ص١١٨.

(٣) سورة التحريم : ١ .

و ورد في القرآن الكريم كثيراً ، الحذر والاحتراس من الوقوع في المعصية ؛"ولهذا يمكن استنباط معنى الوقاية عن طريق تحذير الناس من مجرد القرب من الأعمال السيئة ك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾(١) (٢).

وكل ما سبق من تحذير واحتراس من المنهج القرآني الرباني في التعامل مع النفس الإنسانية في الجانب الوقائي من باب العناية بالفطرة عناية كبيرة لصيانتها وحفظها من الانحراف والانتكاس، الذي يصيب كل نفس أعرضت عن ذكر الله ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾(٣).

والجانب الوقائي "يعتبر سياجاً للمسلم من الوقوع في الرذائل الخلقية ، والتربية السيئة ،ومن التوجيه الوقائي ما يلي(٤):

---

(١) سورة الأنعام : ١٥١ .

(٢) خليل الحدري ، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها ، ص٤٦

(٣) سورة طه : ١٢٤ .

(٤) خالد الحازمي،أصول التربية الإسلامية ، ص٦٠-٦٨

١-اتقاء الشبهات، قال ﷺ:(إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد ستبرأ لدينه وعرضه"[١].

٢- اتقاء الشهوات، إن في الدنيا مغريات فاتنات،فإن لم يكن هناك زاجر عنها ومحذر من مغبتها، وقع الإنسان في أحضانها، ولكن الإسلام حذر منها حتى تُتقى فتنتها، قال ﷺ:(إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) [٢].

٣- وقاية العقل مما يفسده، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٣]، وقال ﷺ: (كل مسكر حرام) [٤].

٤- الوقاية بإقامة الحدود وسد الذرائع - الوقاية مما يفسد العلاقات- الوقاية بالبعد عن دوافع الزنا .

وهكذا يتضح منهج القرآن الكريم في التربية في التعامل مع الجانب الوقائي من خلال مصادر التشريع في الإسلام الكتاب والسنة فقد، اشتملتا على منهج وقائي عظيم ، يقوم على غرس العقيدة الصحيحة في النفوس ، فتكون أعظم سياج يحول بين العبد وبين مقارفة الخطأ وبين الوقوع في المحظور ، ثم صيانة هذه العقيدة بصورة دائمة وصفة مستمرة، على أن يصاحب تأسيس العقيدة وغرسها في النفوس ، التشريعات الإلهية التي تربي الشخصية المسلمة في كل جانب من جوانبها.

---

(١) صحيح البخاري، رقم الحديث:٢٠٥١،ج٢ص٧٤

(٢) صحيح مسلم ، رقم الحديث :٢٧٤٢ ، ج ٤ ص٢٠٩٨ .

(٣) سورة المائدة : ٩٠ .

(٤) صحيح البخاري، رقم الحديث : ٦١٢٤ ، ج٨، ص٣٠ .

وبعد نفاذ كل الطرق الوقائية ، يتعين هنا للتعامل مع النفس البشرية التعامل الإيجابي الذي يرتقي بهذه النفس في مدارك الخير والصلاح ، هنا يأتي دور الجانب العلاجي الذي يعود بها إلى رشدها وفلاح في الدارين؛ لذا حدد الله عز و جل الحدود ، وفرض الفروض التي فيها رادعاً للنفس البشرية من تفلتها الممقوت الذي يضطرها إلى الجانب العلاجي الذي" يستنزف وقتها وجهدها وما لها وكل طاقاتها وأخرها عن الركب وقد أمرت أن تقوده" وهذه نتيجة حتمية لا يختلفا عليه راشداً وعاقلاً من عقلاء ومفكري العالم أن الجانب العلاجي جانباً مجهداً مادياً ومعنوياً، فالحرص الابتعاد عنه وعدم الوقوع فيه ابتداءً ، وقد قيل قديماً " الوقاية خير من العلاج. درهم وقاية خير من قنطار علاج"(١).

رابعاً: نموذج من مبادئ تربية النفس الإنسانية بالقرآن الكريم" مبدأ المسؤولية الذاتية ".

كلمة مبادئ جمع ، ومفردها مبدأ، و مفهوم المبادئ: هي القواعد الأساسية التي ينى عليها غيرها، قال الجرجاني في كتابه التعريفات :" المبادئ هي التي لا يحتاج إلى البرهان بخلاف المسائل فإنها تثبت بالبرهان القاطع".(٢) ،فالمبادئ في منظور التربية الإسلامية، هي قواعد أساسية شاملة تستنبط مباشرة من الكتاب والسنة وتنبثق عنها سلوكيات الفرد المسلم والمجتمع المسلم في واقع حياتهم اليومية.

ومبدأ المسؤولية الفردية الذاتية من المبادئ الجوهرية للتربية الإسلامية في العموم ومنهج القرآن الكريم في التربية في الخصوص، فإن الأصل في أي توجه رباني موجه أولاً

---

(١) خليل الحدري ، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، ص٤٤

(٢) علي بن محمد الجرجاني ،كتاب التعريفات ، ١٤١٨هـ ، ص٢٥٢ .

للنفس الإنسانية ثم بعد ذلك، إما أن يكون اجتماعياً ،وإما أن يكون سياسياً أو اقتصادياً أو غير ذلك من المجالات المتعددة، ولكن الأصل أنه خطاباً فردياً ذاتياً قبل أن يعمم؛ ولذا قال تعالى موضحاً هذا المبدأ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾(١)، بل وردت كلمة النفس التي تعني الفردية والمسؤولية في كتاب الله عز وجل خمسين مرة، ومنها :

- ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾(٢).

- ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(٣).

- ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(٤).

- ﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الإسراء : ١٣ .

(٢) سورة البقرة: ٢٨١.

(٣) سورة آل عمران: ٣٠.

(٤) سورة الأنعام: ١٦٤.

(٥) سورة إبراهيم : ٥١ .

- ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(١). ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(٢).

- ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾(٣).

ومن خلال عرض هذه الآيات يتضح جلياً هذا المبدأ القرآني في التربية الذي يجعل المسؤولية مسؤولية فردية ذاتية في الجانب الإيجابي، وفي الجانب السلبي ،وما دامت المسؤولية فردية " وجب أن يتحمل الفرد مسؤوليتها، ويتحمل جهد فهمها والكشف عنها، وعناء الاستدلال عليها، والوفاء بها،ومن هنا نشأ التكليف، مؤكداً بقول الله جل وعلا: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾(٤)"(٥).

بل إن إبليس يوم القيامة يتبرأ من الذين يلقون عليه بلوم صراحة ، ويحمل كل نفس مسؤوليتها الذاتية في اختيار الطريق الذي سلكته في الدنيا، قال تعالى مصوراً هذا الموقف : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم

(١) سورة النحل :١١١.

(٢) سورة المدثر : ٣٨ .

(٣) سورة غافر : ١٧.

(٤) سورة القيامة : ١٤ — ١٥ .

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، ، ج٢ ،ص١٣٦.

بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١].

وقد يجمل القول " في الذاتية الإنسانية للشخصية الإسلامية ، أن كل عمل ينفع الناس ، بعامة ، يتقبله الله ويزكيه ويبقيه، وأي عمل يضر الناس زبدُ يذهب جفاءً.وكل كلمة يقولها قائل، يباركها الله أو يمحقها بمقدار ما تؤتى من خير أو شر"[٢].

ومن الجوانب المهمة في التربية الذاتية، ما أشار إليه أحد الباحثين[٣]، أتعرض لما ذكر في بحثه بالإيجاز لقناعتي بأهميته، وأولويته في الطرح ،ومن ذلك :-

أولاً : الحرية تتضمن تقرير المصير وهي من ناحية تتفق مع التربية الذاتية.

ولذلك "تعتبر الحرية إحدى العلامات المميزة للطبيعة الإنسانية وبها يقرر الفرد ما سيكون وما سيفعله وما سيعتقده"[٤]؛ ولذا فإنها من أبرز عوامل تحقيق النفس الإنسانية والتي اعتنت بها التربية الإسلامية في العموم والتربية القرآنية في الخصوص ،اعتناءً خاصاً لتكوين الشخصية الفردية، وميزة هذه الحرية في التربية القرآنبة أنها وضعت لها" أسسا واضحة لكل فرد لممارسة الحرية بحيث لا تستبد به رغباته وأهواؤه فتزل قدمه ويضل فكره ويخسر دنياه وآخرته"[٥]، وفي المجال صنف الباحث الحرية عدة جوانب " حرية العقيدة والعبادة،الحرية الفكرية، الحرية الملكية ، الحرية العلمية"[٦]: -

---

(١) سورة إبراهيم : ٢٢.

(٢) عائشة بنت الشاطئ، الشخصية الإسلامية ، ص٢١٠.

(٣) أحمد فريد ، وقفات مع تربوية مع السيرة النبوية ، ص٢٩-٣٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص٢٩.

(٥) أحمد فريد ، وقفات مع تربوية مع السيرة النبوية ، ص٢٩.

(٦) المرجع السابق ، ص٣٠- ص٣٩.

- حرية العقيدة: فالتربية الإسلامية في مصدريها الكتاب والسنة، وواقعها الاجتماعي الذي عاشتها وكان لها التمكين في الأرض والسلطان لم تكره أحداً على اعتناق الإسلام والدخول فيه إلا من باب الاختيار والرغبة عن طريقة الدعوة ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١).

و **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾(٢)، ومن هاتين الآيتين الكريمتين وغيرهما ن الأدلة السابقة تبين منهج القرآن الكريم في التربية في هذا المجال؛ لأن حرية الاعتقاد"هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له وصف الإنسان، فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء.

- حرية العبادة، وهي فعل المأمورات وترك المنهيات ، قال ﷺ وهو يؤصل قاعدة في هذا الجانب : (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم) (٣)، وجانب العبادة من أهم الوسائل التربوية لتربية النفس والارتقاء بها والإقبال على الله عز وجل ، وذلك لأن النفس مجبولة على الاستكانة والتذلل فإذا لم يكن لله عز وجل صرف إلى غبر الله عز وجل ، والحديث القدسي يوضح مجال الترقي لهذه النفس عندما تقبل على العبادة وتستمر على ذلك، قال الله عز وجل " ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ".

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٢) سورة الكهف : ٢٩ .

(٣) صحيح مسلم ، رقم الحديث : ١٨٣٠، ج٤.

- حرية الفكر، فليس في القرآن الكريم في الخصوص والشريعة الإسلامية في العموم " تحجير للعقول وكبت للآراء بل في الأمر تيسير وسعة وخاصة فيما يستجد من أمور الحياة ومتطلباتها وما يعرض للناس من أقضية وأحكام، ولذا كان هناك باب الاجتهاد في المسائل والتي لم يرد فيها نصاً محدداً للفكر أن يجول ويجتهد فيها على ضوء الأسس والقواعد الشرعية التي تجعل الكتاب والسنة مرجعاً أساسياً للاجتهاد من خلال التمعن فيهما ، وحديث معاذ بن جبل يوضح هذه المسألة عندما أرسله الحبيب المصطفى ﷺ داعية لأهل اليمن إلى الهدى قال ﷺ له بما تحكم :(قال : بكتاب الله . قال: فإن لم تجد . قال :بسنة رسول الله ﷺ.قال: فإن لم تجد. قال : أجتهد رأي ولا آلو. فقال النبي ﷺ :الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله) (١)، وهذا فيه إقرار من الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل على اجتهاده بعد الفراغ من النظر في لمصدرين في المسألة .

- الحرية الملكية، وهذه أودعها الله عز وجل في النفس الإنسانية ولكن التربية الإسلامية ربت هذا الجانب في التربية الذاتية بحيث جعلت الملكية حقاً من حقوقه الشرعية ،ولكن جعلت لهذه الملكية ضوابط شرعية من خلالا التصرفات فحرمة كل الطرق المؤدية إلى الحرام،وفتحت المجال للنفس إلى السبل المؤدية إلى الحلال بخلاف التربية الاشتراكية الهالكة التي منعت الملكية الفردية بمصلحة الجماعة فما كادت أن تقوم على رجليها إلا والسنن الكونية التي أدوعها الله عز وجل في النفس الإنسانية تطيح بهذه الاشتراكية ، وهناك في الغرب فتح المجال فهام الإنسان الجشع الطامع إلى الحصول عليها بأي طريق ، وهنا حصل الاضطراب والفوضة التي ترسل رسائل إيجابية

---

(١) سنن أبو داود، ج٣ ، ص٣٠٣

إلى المجتمعات عموماً والمجتمعات الإسلامية خصوصاً بهلاك هذه الحضارة وتلاشيها وبقاء التربية الإسلامية بإذن الله .

- الحرية العلمية ، فدع الإسلام إلى العلم والعمل الصالح ، وأثنى على العلماء **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، وهذا العلم لا يكون إلا من خلال التربية الذاتية في بداية الطريق.

إن شعور الفرد منا بهذه المسؤولية وما يترب عليها من الجزء في الدنيا والآخرة يكون دافعاً داخلياً لنا في ضبط تصرفاتنا وأقوالنا وأفعالنا، ويحثنا بالاستمرار على العمل والجدية ومراقبة الله عز وجل في جميع الأحوال، وهذه ثمرة عظيمة للتربية الذاتية، واستحضار الجزاء وما يؤول إليه مصير لفرد منا يكون له السبب الجوهري في إصلاح أحوالنا والسير على الطريق المستقيم الذي يسعد به صاحبه في الدنيا والآخرة، ومن يعرض عنه وتقوده نفسه ولا يقودها يخسر دنياه وأخراه ،**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[2].

إن هذه المسؤولية بحيث يكون"كل إنسان مسؤول عن عمله ، لا يستطيع أن يلقي حمله على غيره ، ولا هو يتلقى على كتفه أحمال الآخرين . والشعور الدائم بهذه

(١) سورة فاطر :٢٨ .

(٢) سورة طه : ١٢٤ .

المسؤولية الفردية يحدد للإنسان في داخل نفسه كياناً متميزاً واضح الحدود أعصابه صاحية لكل ما يمسه ولو من بعيد "(١).

ومن أعظم الوسائل والأساليب التربوية في منهج القرآني الكريم ؛لتعزيز هذا الجانب، ربط القلب البشري بالله مباشرة ،إن الإنسان إذا حسن الاتصال بربه وأقبل بقلبه على مولاه ، وجد سعادته في نفسه أولاً ، ووجد سعادته في المجتمع ثانياً ، واستغراق الإنسان مع هذا الجانب يولد لديه الإيجابية التي تدفعه إلى الرقي في الدنيا والآخرة، وتنسيه هموم الدنيا ومتاعبها وفي لحظة الاستغراق " يمتلئ الإنسان بالشحنة التي توجهه إلى الله في الحياة .. توجهه فرداً إيجابياً له كيان . وإنها لتمنحه قوة عجيبة إزاء كل أحد وكل شيء وكل حدث"(٢).

ولذا فإن الباحث يرى أن من المناسب بعد هذا الطرح التنظيري،أن يعرض نموذج من النماذج الحية التي تأثرت بهذا المنهج القرأني التربوي فحولته إلى سلوك عملي تطبيقي في حياتها بعد أن تعرضت لتلك التربية القرآنية على يدي رسول الله ﷺ، ويكتفي بهذا النموذج لضيق الوقت وإلا كل تلك النماذج القرآنية الأمة الإسلامية في عمومها بحاجة ماسة للوقوف على سيرتها؛ليستلهم منها المسلم الجانب التطبيقي ويسعى جاهداً لسد الهواة الواسعة اليوم بين الجانب النظري والجانب التطبيقي في الواقع.

---

(١) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ج١، ص١٦٦.

(٢) المرجع السابق ، ص١٦٥.

المبحث الثالث : نموذج من مدرسة منهج القرآن الكريم في التربية " عمر بن الخطاب رضي الله عنه"

لا يشك منصف من غير المسلمين، وهو يقرأ التاريخ لبشري ويطالعه بعين البصيرة، والموضوعية،بعيداً عن الحزبية والعصبية، بأن التربية المحمدية،على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأتم التسليم، أحدثت تغير إيجابياً للبشرية في التصورات والمفاهيم والسلوك،فنجح ﷺ "نجاحاً ليس له في تاريخ البشرية مثيل ووصل بمجتمع المدينة في واقع الحياة إلى غاية من الرفعة والسمو لم يبلغها الفلاسفة والمفكرون والمصلحون في الأماني والخيال، ودل نجاحه ﷺ على ما تستطيعه التربية – وفق منهج القرآن—من تغيير للأنفس، وسمو بالمجتمع ورفعة بالبشرية إلى أسمى الآفاق"(١)، فأخرجت التربية المحمدية للإنسانية لأول مرة في تاريخ المجتمعات البشرية مجتمعاً تسوده"الحرية الكاملة والمساواة التامة والضمانات القوية ومبدأ محاسبة الحكام والأمراء"(٢).

في هذا المجتمع،وضمن هذه التربية المحمدية القرآنية،التي بلغت السمو في شأنها كله، يشير الباحث إلى نموذج من نماذجها الواقعية المثالية، التي تجعل المثال واقعاً مطبقاً في الحياة، وليس مجرد خيال وأمنيات، ينبغي أن تسعى البشرية جاهدة للوصول ولن تصل، ولكن على الأقل أن تقترب من ذلك!

إن هذا النموذج الذي يفوق خيال الباحث، ويفوق كلماته وتصوراته، سيتوج الباحث به بحثه في الجانب التطبيقي لمنهج القرآن الكريم في التربية، من خلال التعرض

---

(١) محمد شديد ، منهج التربية في القرآن الكريم ، ص ١٣ -١٤.

(٢) المرجع السابق ، ص٧٨.

لبعض وقفاته التربوية، التي تعبر عن فكره التربوي، وعن التربية القرآنية التي عاشها مع الحبيب المصطفى ﷺ ، فشرب منها حتى تفتقت أمعائه، فسرت في كيانه كما يسرى الدم في عروقه، فكان حقيقة ذلك النموذج، إنه فاروق الأمة، والمهم، الذي يفر منه الشيطان، أنه الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسيركز الباحث حديثه عن هذا النموذج المحمدي في نقطتين فقط هما : شخصيته وما يتعلق بها من معلومات تعريفية به ، والجانب الآخر وقفات تربوية تعبر عن فكره التربوي رضي الله عنه.

أولاً : شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما يتعلق بها من معلومات تعريفية.

أ– اسمه ونسبه :

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزى بن رياح بن عبدالله بن قُرْط بن رزاح بن عدي بن كعب، ويكنى أبا حفصن وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم(١).

ب– صفته رضي الله عنه :

كان أبيض أمهق تعلوه حمرة طوالاً أصلع أجلح شديد حمرة العين في عارضه خفة، وقال وهب : صفته في التوراة قرن من حديد أمير شديد(٢)،وكان رضي الله عنه رجلاً جسيماً كأنه من رجال بني سَدُوس، ضخماً،أعسر، أيسر، يسرع في مشيته ،عن أسلم قال: رأيت عمر إذا غضب أخذ بهذا ، وأشار إلى سَبَلتَهِ، فقال بها إلى فمه ونفخ فيه، وكان يصفر لحيته، ويرجل رأسه بالحناء ، ركب عمر فرساً فانكشف ثوبه عن فخذه فرأى أهل نجران بفخذه شامةً سوداء فقالوا: هذا الذي نجد في كتابنا أنه يُخرجنا من أرضنا(٣).

---

(١) محمد بن سعد ، طبقات ابن سعد ، ج٣ ص٢٦٥.

(٢) جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ، صفة الصفوة ، م١ ، ج١ ، ص١١٣.

(٣) محمد بن سعد، طبقات ابن سعد ، ج٣ ، ص٣٢٤ – ٣٢٧.

أما من نقل أن عمر كان آدم ، فنقل ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدي في الطبقات أنه قال: " هذا الحديث لا يُعرف عندنا ، إن عمر كان آدم إلا أن يكون رآه عام الرمادة فإنه كان تغير لونُه حين أكل الزيت.. عن عياض بن خليفة قال: رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون ولقد كان أبيض فيقال مم ذا ؟ فيقول: كان رجلاً عربياً وكان يأكل السمن واللبن فلما أمحل الناس حرمهما فأكل الزيت حتى غير لونه وجاع فأكثر "(١).

ج- نشأته:

قال ابن سعد" أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول: ولدتُ قبل الفجار الأعظم بأربع سنين"(٢)، وكان منزل عمر بن الخطاب في أصل الجبل الذي يقال له اليوم جبل عمر، وكان اسم الجبل في الجاهلية العاقر فنسب إلى عمر بعد ذلك ،وبه كانت منازل عدي بن كعب(٣)، قال النووي" ولد عمر بعد الفيل بثلاثَ عشرة سنة ، وكان من أشراف قريش ، وإليه كانت السِفارة في الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم — أو بينهم وبين غيرهم — بعثوه سفيراً، وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً ومفاخراً"(٤).

---

(١) المرجع السابق ، ج٣ ، ص٣٢٤.

(٢) السابق ، ص٢٦٩.

(٣) السابق، ص٢٦٦.

(٤) جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٨٦.

وكانت محادثه للإسلام " تكاد وحدها تعدل أذى قريش .. وكان تشبثه بموقفه يدحض أي أمل في عُدوله عنه،حتى لقد صور أحد المسلمين يومئذ يأسه من إسلام (عمر)بقوله : إنه لن يسلم حتى يُسلم حِمار الخطاب"(١).

د- أسلامه رضي الله عنه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: خرج عمر متقلد السيف فلقيه الرجل من بني زهرة، قال : أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمداً، قال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً؟ قال ، فقال عمر : ما أراك إلا صبوتَ وتركتَ دينك الذي أنت عليه، قال : أفلا أدلك على العجب يا عمر ؟ إن ختنك وأختك قد صبا وتركا دينك الذي أنت عليه . قال فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما وعندهما خباب، فلما سمع بحس عمر توارى في البيت ، فدخل ، فقال: ما هذه الهيمنة؟ وكانوا يقرؤون طه ، قلا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا، قال: فعلكما قد صبأتما ، فقال له ختنه : أرأيت يا عمر، إن كان الحق في غير دينك ، فوثب عليه عمر، فوطئه وطأ شديداً، فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها ، فنفحها نفحة بيده ، فدمَي وجهها، فقالت- وهي غضبى - :وإن كان الحق في غير دينك، "إنى أشهد أن إله إلا الله وأن محمداً رسوله ، فلما يئس عمر، قال : أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه — وكان عمر يقرأ الكتاب- فقالت أخته :إنك نجس، وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ، ثم أخذ الكتاب، فقرأ طه حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾(٢)، فقال

---

(١) خالد محمد خالد، خلفاء الرسول ، ص١٤٢- ١٤٣

(٢) سورة طه :١٤ .

عمر : دلوني على محمد ، فلما سمع خباب عمر خرج، فقال:أبشر يا عمر ، إني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس " اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، أو بعمر بن هشام".

وكان رسول الله ﷺ في أصل الدار التي في أصل الصفا، فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس ، فقال حمزة: هذا عمر ؛ إن يرد الله به خيراً يسلم، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً ، قال: والنبي ﷺ داخل يُوحى إليه، فخرج حتى أتى عمر ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال: ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ، فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وإنك عبد الله ورسوله(١).

قال ابن سعد في طبقاته : عن سعيد بن المسيب : أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشرة نسوة فما هو إلا أن أسلم عمر فظهر الإسلام بمكة، وعن صهيب بن سنان قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودُعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حِلقاً وطُفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به ، قال ابن مسعود :ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر، وقال أيضاً:كان إسلام عمر فتحاً وكانت هجرته نصراً وكانت إمارته رحمة ، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا(٢).

---

(١) طبقات ابن سعد، ج٣، ص٢٦٧- ٢٦٨

(٢) المرجع السابق ، ج٣، ص٢٦٩- ٢٧٠.

أسلم عمر في ذي الحجة السنة السادسة من النبوة ، وهو ابن ست وعشرين سنة (١). قال: وكان عبدالله بن عمر يقول: أسلم عمر وأنا ابن ست سنين(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألت عمر رضي الله عنه:لأي شيء سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ، فخرجت إلى المسجد ،فأسرع أبو جهل إلى النبي ﷺ يسبه ،فأُخبر حمزة، فأخذ قوسه وجاء إلى لمسجد إلى حلقة قريش التي فيها أبو جهل ، فاتكأ على قوسه مقابل أبي جهل ، فنظر إليه ، فعرف أبو جهل الشر في وجهه ، فقال: ما لك يا أبا عمارة؟ فرفع القوس ، فضرب بها أخدعه فقطعه، فسالت الدماء، فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر.قال: ورسول الله ﷺ مُختفٍ في دار الأرقم المخزومي، فانطلق حمزة، فأسلم، فخرجت بعده بثلاث أيام، فإذا فلان المخزومي- ثم ذكر قصة إسلامه — قال عمر : فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة ، قلت: يا رسول الله السنا على الحق؟ قال: بلي ، قلت: ففيم الإخفاء ؟ فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد، فنظرت قريش إلى وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها فسماني رسول الله ﷺ " الفاروق" يومئذ، لأنه أظهر الإسلام وفرق بين الحق والباطل (٣).

---

(١) طبقات ابن سعد، ج٣، ص٢٧٠ ، جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص٩١.

(٢) طبقات ابن سعد ، ج٣، ص٢٧٠.

(٣) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص٩٠ — ٩١.

هـ – جملة من مناقبه وفضائله ﷺ(1) :

قال أهل العلم لما أسلم : عز الإسلام ، وهاجر جهراً ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها وهو أول خليفة من دُعِي أمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ للمسلمين، وأول من جمع القرآن في المصحف ، وجمع الناس على التراويح، وأول من عس بالمدينة، وحمل الدِرة وأدب بها، وجلد في الخمر ثمانين، وفتح الفتوح، ومصر الأمصار، وجند الأجناد، ووضع الخراج ، ودون الدواوين ، وفرض الأعطية.

قال : عن عائشة عن النبي ﷺ، قال : قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر. حديث متفق عليه، وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ :أنه قال لعمر: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك. أخرجاه في الصحيحين، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال : رأيت الناس مجتمعين في صعيد فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي بعض نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت في يده غرباً، فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن. حديث صحيح(2).

و– موافقات عمر ﷺ(3):

قال السيوطي : قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين .

عن ابن عمر مرفوعاً: ما قال الناس في شيء وقال عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر.وأخرج الشيخان عن عمر قال: وافقتُ ربي في ثلاث: قلت: يا رسول

---

(1) جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ، صفة الصفوة، ص١١٤– ١١٥.

(2) صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٣٦٨٢، ج٥ ، ص١٠ .

(3) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص٩٦ – ٩٩.

الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾[1]، وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ، فقلت : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت كذلك.

وأخرج مسلم عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث: الحجاب، وفي أسارى بدر، وفي مقام إبراهيم، ففي هذا الحديث خصلة رابعة (أي انفراد مسلم بأسارى بدر، وانفراد الحديث السابق بقصة الغيرة فكان من مجموعهما أربع، فهذا هو المراد، وكذلك فيما بعده).

وفي التهذيب للنووي : وفي تحريم الخمر؛ فزاد خصلة خامسة، وحديثها في السنن ومستدرك الحاكم أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فأنزل الله تحريمها.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع، نزلت هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ ، فلم نزلت قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت :﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَـةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[2] فزاد في هذا الحديث خصلة سادسة ، وللحديث طريق آخر عن ابن عباس أوردته في التفسير المسند.

---

(١) سورة البقرة : ١٢٥ .

(٢) سورة المؤمنون : ١٤.

ز- بعض أقوال لصحابة والسلف في عمررضي الله عنه [١]:- .

- قال أبو بكر الصديقرضي الله عنه: ما على ظهر الأرض رجل أحب إلى من عمر.وقيل لأبي بكر في مرضه : ماذا تقول لربك وقد وليت عمر ؟ قال: أقول : وليت عليهم خيرهم.

- وقال علي رضي الله عنه: إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر،ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر.

- قال عبدالله بن مسعودرضي الله عنه: لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم، ولقد كان يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم ،كان ابن مسعود أيضاً يقول: لو سلك الناس وادياً وشِعباً وسلك عمر وادياً وشِعباً لسلكت وادي عمر وشعبه ، وقال أيضاً: إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله تعالى، وقال أيضاً: فضل عمر بن الخطاب الناس بأربع : بذكر الأسرى يوم بدر، أمر بقتلهم فأنزل الله: ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ ﴾[٢]، وبذكر الحجاب ، أمر نساء النبي ﷺ أن يحتجبن ، فقالت له زينب : وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل علينا في بيوتنا،فأنزل الله:﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ ﴾[٣] وبدعوة النبيﷺ: (اللهم أيد الإسلام بعمر) وبرأيه في أبي بكر،كان أول من بايعه.

---

(١) جلال الدين السيوطي،تاريخ الخلفاء ، ص ٩٤- ٩٦.

(٢) سورة الأنفال : ٦٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٣ .

– قال حذيفة ﷺ: كأن علم الناس كان مدسوساً في حجر عمر، وقال أيضاً: والله ما أعرف رجلاً لا تأخذه في الله لومة لائم إلا عمر.

– عن عمير بن ربيعة أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار : كيف تجد نعتي ؟ قال: أجد نعتك قرناً من حديد ؟ قال : أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم ، قال: ثم مه ؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة، قال: ثم مه ؟ قال: ثم يكون البلاء.

ح– بعض كراماته ﷺ [1]:

– عن مالك عن نافع عن ابن عمر ، قال: وجه عمر جيشاً، ورأس عليهم رجلاً يدعى سارية ، فبينما عمر يخطب جعل ينادي: يا سارية الجبل، ثلاثاً، ثم قدم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين هُزمنا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادي يا سارية الجبل، ثلاثاً، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل، فهزمهم الله قال: قيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك ، وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم، قال ابن حجر في الإصابة: إسناده حسن.

– عن طارق بن شهاب قال: إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيَكْذِبه الكذبة فيقول: احبس هذه، ثم يحدثه بالحديث فيقول:احبس هذه، فيقول له : كل ما حدثتك حق إلا ما أمرتني أن أحبسه ، وقال الحسن:إن كان أحد يعرف الكذب إذا حدث به فهو عمر بن الخطاب.

---

(١) جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ،ص ٩٩-١٠٨.

ط- خلافته ووفاته(١).

ولي الخلافة بعهد من أبي بكر رضي الله عنه في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، قال الزهري : استخلف عمر يوم توفي أبو بكر، وهو يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة أخرجه الحاكم، فقام بالأمر أتم قيام، وكثرت الفتوح في أيامه رضي الله عنه .

وفي آخر سنة ثلاث وعشرين كانت وفاة عمر رضي الله عنه بعد صدوره من الحج شهيداً، قال سعيد بن المسيب، لما نفر عمر من منى أناخ بالأبطح ، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم كبرت سني ، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مُضيع ولا مفرط، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل رضي الله عنه.

لما قدم عمر من مكة جاء أبو لؤلؤة إلى عمر يريده فوجده غادياً إلى السوق وهو متكئ على يد عبد الله بن الزبير فقال: يا أمير المؤمنين إن سيدي المغيرة يكلفني ما لا أطيق من الضريبة، قال عمر : وكم كلفك ؟قال: أربعة دراهم كل يوم، قال: وما تعملُ؟ قال: الأرحاء، وسكت عن سائر أعماله. فقال: في كم تعمل الرحى. فأخبره ، قال: وبكم تبيعها؟ فأخبره، فقال : لقد كلفك يسيراً، انطلق فأعط مولاك ما سألك. فلما ولى قال عمر: ألا تجعل لنا رحى ؟ قال: بلى أجعل لك رحى يتحدث بها أهل الأمصار. ففزع عمر من كلمته ، قال وعلي معه فقال: ما تراه أراد؟ قال : أوعدك يا أمير المؤمنين، قال عمر : يكفيناه الله(٢).

ثبت عن عمر رضي الله عنه في الصحيح: أنه كان يقول : اللهم أسالك شهادة في سبيلك، وموتاً في بلد رسولك، فاستجاب له الله هذا الدعاء وجمع له بين هذين الأمرين،

---

(١) جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٠٤-١٠٨.

(٢) طبقات ابن سعد، ج٣، ص٣٤٧.

الشهادة والموت في المدينة المنورة. وهذا عزيز جداً، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل، والرومي الدر، وهو قائم يصلي في المحراب، صلاة الصبح من يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة من هذه السنة(٣٢هـ) بخنجر ذات طرفين فضربه ثلاث ضربات ، وقيل ست ضربات، وإحداهن تحت سرته وقطعت الصفاق فخر من قامته ، واستخلف عبد الرحمن بن عوف ورجع العلج بخنجره لا يمر بأحد إلا ضربه ، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ستة، فألقى عليه عبد الله بن عوف برنساً فنحر نفسه .. وأوصى عمر أن يكو الأمر شورى بعده في ستة ممن توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وهم :عثمان، وعلي ، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأوصى من يستخلف بعده الناس خيراً على طبقاتهم ومراتبهم ، ومات رضي الله عنه بعد ثلاث، ودفن يوم الأحد مستهل محرم من سنة أربع وعشرين ودفن بالحجرة النبوية إلى جانب الصديق، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما في ذلك [1].

قال معاوية: كان عمر ابن ثلاث وستين، وعن سالم بن عبد الله أن عمر قبض وهو خمس وستين سنة، وقال ابن عباس كان عمر: ابن ست سنين، وقال قتادة: ابن إحدى وستين سنة، وصلى عليه صهيب[2].

ثانياً: وقفات تربوية مستنبطة من فكره التربوي رضي الله عنه.

(١) محمد بن صامل السلمي، ترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية "٢" خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص٢٠ – ٢٢.

(٢) جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، صفة الصفوة ، م١ ج١، ص١٢١.

وبعد هذه الإطلالة على شواطئ سيرة فاروق الأمة وملهمها ومحدثها، عمر بن الخطاب ﷺ،نعيش معاً في رحاب أفكاره و رؤاه التربوية التي انبثقت من المنهج القرآني التربوي الذي رُبي عليه الفاروق ﷺ في مدرسة محمد ﷺ ، ويسعى الباحث جاهداً أن يستنبط هذه الرؤى والأفكار من خلال مقولات وخطابات وتوجيهات وتصرفات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ ؛ لعل أن يتوصل الباحث إلى بعض هذه الرؤى العمرية ، فيهدي به نفسه أولاً، ويهديه إلى كل باحث عن الرشد والفلاح والتربية الحقة التي تتعطش لها أمة الإسلام اليوم ، وهي قد أثقل كاهلها تلك الترهات التي نبعت من الآراء البشرية التي في غالبيتها بعيدة عن المنهج الإلهي القرآني الراشد الذي أتى ليسعد النفس الإنسانية ويجعلها تتناغم تناغم المحب مع حبيبه.

إذا اهتدت إلى رشدها وعرفت طريق ربها، فتسعد ويسعد الكون بسعادتها، وتسعد البشرية جمعاء كما سعدت ردحاً من الزمان، وما هذا النموذج المحمدي العمري إلا من النماذج التي سعدت بها البشرية ردحاً من الزمان، وحاجة البشرية اليوم والأمة الإسلامية بالذات إلى مطالعة تلك السير وتوظيف رصيدها التطبيقي الهائل العملي لفهم الإسلام وحقيقة الإسلام في واقعها المرير؛ لتنهض من كبوتها وتعود في قيادة البشرية مرة أخرى ، والعقلاء من البشرية والإنسانية اليوم في العالم يتطلعون تطلع المحب المشتاق المغيب عن حبيبه فقد وقف إيرفنج، الأستاذ بجامعة تنسي الأمريكية، مخاطباً تجمعاً للمسلمين في مدينة جلاسجو ببريطانيا منذ سنوات قائلاً:" ..أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذي تحملون، والذي تتعطش إليه أرواح الناس في مختلف جنبات الأرض، تعلموا الإسلام وطبقوه، واحملوه لغيركم من البشر تنفتح أمامكم الدنيا، ويَدِنْ لكم كل ذي سلطان.." (١).

(١) سعيد عطية الزهراني، القيم الأخلاقية في الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب، ص١٢.

ونادى بذلك ولي بريطانيا تشارلس في محاضرة ألقاها في قاعة المؤتمرات بوزارة الخارجية البريطانية في ديسمبر من عام ١٩٩٦م ، نقلتها جريدة الشرق الأوسط في عددها (٦٥٩٢) بتاريخ: ١٥/١٢/١٩٩٦م : "... إننا – نحن الغرب– نحتاج إلى معلمين مسلمين ليعلمونا كيف نتعلم بقلوبنا كما نتعلم بعقولنا ،وإن اقتراب الألف الثالثة قد يكون الحافز المثالي الذي يدفعنا لاستكشاف هذه الصلات وتحفيزها وأمل ألا تفوت الفرصة السانحة لإعادة اكتشاف الجانب الروحي في رؤيتنا لوجودنا بأجمعه"(١).

بعض الرؤى والأفكار التربوية المستنبطة من سيرة عمر بن الخطابرضي الله عنه :

١- الاستفادة من الكوادر العلمية والفقهية والدعوية المتميزة التي تربت على يدي رسول الله ﷺ في المدينة وتوظيفها التوظيف الأمثل .

فوظف عمر بن الخطاب رضي الله عنه"هذه الطاقات فأحسن توجيهها ووضعها في محلها فأسست تلك الطاقات الكوادر للحركة العلمية والفقهية التي كانت مواكبة لحركة الفتح التي انتشرت في خلافة الفاروق فبلغت الآفاق، وكانت تلك الكوكبة المباركة التي تربت على يدي الحبيب ﷺ هي التي تشرف على توجيهها وتعليمها في جميع مجالاتها الحياتية.

٢- الحرص على المحافظة على ما أسسه الحبيب المصطفى ﷺ.

عن عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس ثيابه يوم الجمعة وقد ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين ، فأصاب عمر فأمر عمر بقلعه ، ثم رجع فطرح ثيابه ولبس ثياباً غير ثيابه ، ثم جاء فصلى

(١) محمد قطب (١٤٢٤هـ): كيف ندعوا الناس ؟ ، ص ١٨٧ .

بالناس فأتاه العباس فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، فقال عمر للعباس: وأنا عزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول اللهﷺ ففعل "ذلك العباس "واه أحمد(١).

٣- الاهتمام والمتابعة للرعية والاستشعار بأن الولاية تكليف وليس تشريف.

عن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى البيت ذلك ،فإذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى، قال طلحة : ثكلتك أمك طلحة أعثرات عمر تتبع(٢)، وهذا أمر طبيعي في سيرة عمربن الخطابرضي الله عنه لأنه ؛كان يرى عبادة وتقرباً أن هذه الولاية تكليفاً وليس تشريفاً ؛ ولذا قال عمررضي الله عنه: "هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التي لا جبرية فيها وباللين الذي لا وهن فيه"(٣).

وسيرته نبراساً في هذا الجانب ، قال أسلم مولى عمر: قدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن تحرسهم الليلة؟ قال: نعم! فباتا يحرسانهم ويصليان، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتق الله تعالى وأحسني إلى صبيك.

ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى إلى أمه فقال لها: ويحك، إنك أم

---

(١) جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، صفة الصفوة ، ، م١ ج١، ص١١٨.

(٢) المرجع السابق ، م١ ج١،ص١١٨.

(٣) طبقات ابن سعد، ج٣، ص٣٤٤- ٣٤٥.

سوء، ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟ ! فقالت: يا عبد الله إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم.قال: وكم عمر ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهرا، فقال: ويحك لا تعجليه عن الفطام.فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء. قال: بؤسا لعمر.كم قتل من أولاد المسلمين.ثم أمر مناديه فنادى، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام.وكتب بذلك إلى الآفاق(١).

٤- الدولة المسلمة من صفاتها الأساسية لدى ابن الخطاب ﷺ أنها تقوم بالدور الاجتماعي فرضاً وليس ندباً.

فتوفر للمواطنين كل سبل الحياة الكريمة منذ نعومة أظافرهم ،ولذا قال الفاروق صاحب الحس الاجتماعي " أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكل مولود في الإسلام"(٢).

٥- التغيير الإيجابي التربوي الفاعل من أبجدياته أنه يمر بمراحل متعددة ما عد أصحاب الاستعداد النفسي والبناء الشخصي القوي فلا يشترط في حقهم التدرج ،بل ربما يصلوا إلى قمة التغيير الإيجابي الفاعل مباشرة ،وقصة إسلام عمر ﷺ وتحوله المباشر إلى رمز من رموز الصحابة ومصدر قوة يحسب لها العدو ألف حساب خير شاهد على ذلك الملمح التربوي " قال عمر : فكبر أهل الدار تكبيرة – بمناسبة إسلامه المفاجئ – سمعها أهل مكة ،قلت: يا رسول الله السنا على الحق؟ قال: بلي ، قلت: ففيم الإخفاء؟ فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد، فنظرت

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية "سيرة عمر ، ج٧، ص١٥٣ .

(٢) المرجع السابق .

قريش إلى وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها فسماني رسول الله ﷺ "الفاروق" يومئذ، لأنه أظهر الإسلام وفرق بين الحق والباطل(١).

٦- قد يمتلك المفضول صفة لا يمتلكها الفاضل ، ومع ذلك يشار إليه مع بقاء لفاضل على ما هو عليه، فأبو بكر الصديق ﷺ بالنص الثابت وإجماع الأمة على أنه أفضل البشر بعد الرسل والأنبياء وعمر في الترتيب الثاني ، ومع ذلك يفر الشطان بالنص من عمر ﷺ خلاف أبي بكر الصديق ﷺ، عن عائشة عن النبي ﷺ، قال : قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر. حديث متفق عليه، وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ :أنه قال لعمر: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك. أخرجاه في الصحيحين، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال : رأيت الناس مجتمعين في صعيد فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي بعض نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت في يده غرباً، فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن." متفق عليه "(٢).

٧- الحرص على الممتلكات العامة وتربيت الأتباع على ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا لم يكن المسؤول حريصاً على الممتلكات العامة في خاصة نفسه وتعامله، فلن يكون المتبوع حريصاً وإن أطرت الأنظمة ووضعت الأدلة ،فإذا لم تشاهد في العيان من قبل المسؤول فلا تحقق في أرض الواقع من قبل الأتباع إلا من وجدت عنده المراقبة الذاتية، لذا حرص الفارق على تأصيل هذا الفكر التربوي والمبدأ عملياً في ذاته ومن يستعملهم على الناس،فكان إذا استعمل عاملاً "كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً

(١) جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص٩٠ – ٩١ .

(٢) صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٢٠٥ ، رقم الحديث : ٣٦٣٣، صحيح مسلم :ج٤، ص١٨٦٠، رقم الحديث:٢٣٩٢.

من المهاجرين واشترط عليه أن لا يركب برذوناً ولا يأكل نقياغً ولا يلبس رقيقاً ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات، فإن فعل شيئاً من ذلك حلت عليه العقوبة"(١).

٨- تصحيح مفاهيم الأتباع بالسلوك العملي يؤدي رسالة تربوية فكرية في الأتباع مضمونها عدم الاستسلام للظروف المحيطة والتغلب عليها بالنظرة الإيجابية للأشياء ، روى ابن جرير عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: ما منعك أن تغرس أرضك ؟ فقال له : أنا شيخ كبير، فقال له : عمر أعزم عليك لتغرسها ! فقد رأيتُ عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي.

٩- مواكبة العصر فيما لا يضر بالثوابت ولا يزعزعها مما يقوي الثوابت ويزيد دعامتها وثباتها فكثرة المتغيرات مما يقوي الثوابت ويحافظ عليها وقلة المتغيرات وعدم تجديدها بما يواكب العصر يضر بالثوابت ويقلل التمسك بها في زحمة المقاومة والتجدد البشري، وهذه سنة كونية ربانية، ولذا فإن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان لكثرة المتغيرات المعززة لبقاء الثوابت، وهذا الفكر تربوي يرى الباحث أنه كان مطبقاً لدى عمر ﷺ من وهناك عدة شواهد على ذلك:

- تغير مفهوم العاقلة في عهد عمر من أهل الرجل وعشيرته إلى أهل بلده ومن له تعاوناً ونصرة معهم لأتساع البلد وتواجد الشخص في بلد غير بلده يعيش فيه ويقيم فيه بعد توسع الدولة الإسلامية.

- زيادة جلد شرب الخمر من ٤٠ جلدة حداً إلى ٨٠ جلدة (٤٠ حداً و٤٠ تعزيراً لتهون الناس في الشرب).

- عدم تقسيم سواد العراق في عهده ﷺ كما قسمت خيبر في عهد رسول الله ﷺ.

١٠- الناس معادن كمعادن الأرض منها الجيد ومنها الردي ؛ فالحرص على كسب الجيد مطلب شرعي وحضاري ، ولذا كان الحبيب ﷺ حريصاً على هداية أحد العمرين

---

(١) محمد بن صامل السلمي، كتاب البداية والنهاية "٢" خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، ص١٥ .

للإسلام (عمر بن الخطاب ،وأبا جهل "عمرو بن هشام")، فهدى الله للإسلام عمر بن الخطاب ذلك المعدن الفذ والطاقة الفاعلة المباركة "أينما كانت ، قال ابن سعد " عن ابن عمر أن النبي ﷺ، قال: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك، بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام. قال فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب"(١).

- وهذا ما حرص عليه ابن الخطاب في اختيار الولاة والوجهاء والعلماء؛ ولذا كان يدخل عبد الله بن عباس مع كبار الصحابة مع أنه صغير في سنه لعلمه وتأويله وتفعيلاُ لهذا الفكر التربوي الناس معادن كمعادن الأرض منها الجيد ومنها الردي فالحرص على كسب الجيد مطلب شرعي وحضاري.

١١- المفاهيم والتصورات إذا كان عليها غبش فإنها لا تفيد صاحبها حتى ولو كان يملك ذكاءً مفرطاً ، فعمر في جاهليته كان يعبد صنماً من عجوة فإذا جاع أكل إله، ووأد ابنته وهي تنفض الغبار والتراب عن لحيته خوفاً من العار، فمن عمر بعد الإسلام ؟ إنه من تغيرت لديه المفاهيم والتصورات مع الذكاء الذي منحه الله ، فكان إسلامه عزاً، وهجرته فتحاً، ودانت له الأمم والشعوب ، وفر منه الشيطان.

١٢- الإحساس بالآخرين إحساساً معنوياً وحسياً ومشاركتهم في ذلك من الاستراتيجيات العمرية ذات الحس الإيماني ، فمن يشارك الناس بأساليب المشاركة المتعددة يجد التجاوب والتفاعل المثمر معهم.

أصاب الناس عام سنةٍ فغلا فيها السمن وكان عمر يأكله ، فلما قل قال: لا آكله حتى يأكله الناس. فكان يأكل الزيت ، فقال : يا أسلم اكسر عني حره بالنار؛ فكنت أطبخه له فيأكله فيتقرقر بطنه عنه فيقول: تقرقر لا والله لا تأكله حتى يأكله الناس(٢).

---

(١) طبقات ابن سعد ، ج٣ ص٢٦٧.

(٢) المرجع السابق ،ج٣، ص٣١٣

١٣- الرجوع إلى الحق وقبول الإقناع العقلي المنطقي في المجال الذي فيه اجتهاد مطلب شرعي ولو كان صاحب الحجة أقل في الكفاءة والمنزلة ، فالحق هو المطلب لكل صاحب إنصاف وتجرد من الهوى.

خرج عمر بن الخطاب في ليلة مظمة ، يطوف في الليل بنفسه، فرأى في بعض البيوت ضوء سراج، وسمع ضجة، فوقف على الباب ليسمع ، فرأى عبداً أسود أمامه إناء وفيه شراب ، ومعه جماعة، فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت، فتسور السطح ، ونزل إليهم ، ومعه سوطُهُ الذي يضرب به ، فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب ، وانهزموا، فأمسك بالأسود ، فقال له : يا أمير المؤمنين، قد أخطأت وإني تائب، فاقبل توبتي ، قال : أريد أن أضربك على خطيئتك . فقال : يا أمير المؤمنين، إن كنت قد أخطأت في واحدة ، فقد أخطأت في ثلاث، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وأنت تجسست ، ويقول : ﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ وأنت أتيت من السطح ، ويقول: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ وأنت دخلت وما سلمت ! فهب هذه لتلك ؛ وأنا تائبٌ إلى الله تعالى. فقال عمر رضي الله عنه : أسلك أن تتوب إلى الله ، فقد حسُن كلامك(١).

١٤- البعد عن الأنانية والتفكير في الذات المحضة من الصفات العمرية التي تكتسبها النفس العلية، خرج عمر في يوم حر واضعاً رداءه على رأسه فمر به غلام على حمار فقال: يا غلام احملني معك فوثب الغلام على الحمار قال: اركب يا أمير المؤمنين . فقال: لا .. اركبْ واركب أنا خلفك تريد أن تحملني على المكان الوطئ وتركب أنت على الموضع الخشن ، ولكن أركب أنت على المكان الوطئ وأركب أنا خلفك على المكان الخشن، فركب خلف الغلام فدخل المدينة وهو خلفه والناس ينظرون إليه.

---

(١) نسيبة عبد العزيز المطوع، الأساليب التربوية في القرآن والسنة .،ص٤٨.

١٥- إعلان براءة الأتباع الموجه لهم مساءلة من الجهات المختصة عبر وسائل الأعلام المتاحة والرسمية وعدم الاكتفاء بأخبارهم ببراءتهم الشفوية وكأن الأمر لما يتجاوز الكرامة الإنسانية المقدرة والمحترمة ، قال سيف عن عبد الله عن المستور عن أبيه عن عدى بن سهل قال: كتب عمر إلى الأمصار إنني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض الفتنة(١).

١٦- الإشادة بأهل المواقف البطولية والثبات على المبادئ في المحافل العامة ، ومن شواهد ذلك تقبيل عمر ﷺ رأس عبد الله بن حذافة السهمي الذي رفع رأس المسلمين ولم يذل لأهل الباطل ومغرياتهم التي قدمت من أجل تخليه عن الإسلام ودخول النصرانية .

١٧- احترام وتقدير أسماع المخاطبين والقراء أو من أنت توجه لهم الخطاب ، ويكون من خلا ل التحضير الجيد وجمع الأفكار والإلمام بالموضوع وإعداده وحسن طرحه بالأسلوب المناسب وفي الوقت المناسب " قال عمر ﷺ في بيعة سقيفة بني ساعدة، فلم تكلم أبو بكر فأحسن.. فقد زورت في نفسي كلاماً مثله " .

١٨- اكتساب الطاقات الفاعلة والعقول الواعية والاستفادة من المواهب واكتشافها مبكراً مما كان من اهتمامات الفاروقﷺ فقد كان يسمح لصاحب الموهبة والتميز في جانب من الجوانب بالمشارك معه في مجالس كبار الصحابة ، وكان عبد الله بن عباس ﷺ من المعدودين لمشاركين لعمر ﷺ في مجلس الشورى وكبار الصحابة مع صغر سنه حتى وجد بعض الصحابة في أنفسهم شيئاً من دخوله وعدم السماح بأبنائهم بالدخول، فأراد عمرﷺ أن يوضح لهم سر مشاركته والسماح له فسألهم عن " إذا جاء نصر الله والفتح "ما المقصود بها، ففسرت منهم الظاهر من الآية ، فقال: ما

---

(١) طبقات ابن سعد ، ج٣ ص٢٨٢.

تقول يا ابن عباس ؟ قال إخبار بدنو أجل رسول الله ، فقال : عمر والله لا أعرف إلا هذا أو نحوه.

١٩- تقدير الرأي المخالفة وإحسان الظن بصاحبه وتقديم ما يخالفه عملياً وعدم الاستناد إلى السلطة " قال عمر يوماً على المنبر:أسمعوا وأطيعوا، فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فقال: لا سمع ولا طاعة؟ فقال عمر رضي الله عنه ولما يا سلمان ؟ قال: ميزت نفسك علينا في الدنيا. أعطيت كلاً منا بردة واحدة ،وأخذت أنت بردتين ..!فيقول عمر أين عبد الله بن عمر ؟ فينهض ابنه عبد الله : ها أنا ذا يا أمير المؤمنين .. قال أخبرهم ، فيقول عبد الله أنكم تعلمون أن أبي رجلا طوالا، فأعطيته بردتي إلى بردته.. فيقول سلمان : الآن نسمع ونطيع.

آهٍ ما أعظم عمر رضي الله عنه الذي تربى في المدرسة المحمدية في عهديها المكي والمدني، وما أعظم سلمان الفارسي الذي بحث عن الحقيقة حتى وجدها ، فتصل الحرية الإسلامية إلى هذه الدرجة من الشفافية وحسن الظن من الحاكم بالرعية إلى درجة البحث عن عدم السمع والطاعة، وتجلية الشبة للعامة، هذا هو الحل الجذري للمشكلة وليس التهذيب والتشذيب للفروع ، والمشكلة غارقة في صميم الجذر، وهذا العلاج الإسلامي المحمدي العمري السلماني ليس لهذه المشكلة بكل مشكلة وداءُ يحل بالأمة المحمدية.

٢٠- الاهتمام بالطرق ووسائل النقل البري والبحري وإنشاء الثغور والمدن، فهو" أول من حمل الطعام في السفن من مصر في البحر حتى ورد البحر ثم حمل من الجار إلى المدينة..ووضع عمر في طريق السبل ما بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع به ويحمل من ماء إلى ماء"(١).

---

(١) طبقات ابن سعد ، ج٣، ص٢٨٢- ٢٨٣.

٢١- الاهتمام بالجانب الاقتصادي للدولة المسلمة فهو مصدر من مصادر قوتها في أرض الواقع وارتفاعها النفسي عن الحاجة لغير المسلمين" فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" فأنشأ عمر ﷺ المدن والثغور، وألغى فكرة توزيع أرض السواد على الفاتحين "لأن ذلك يخلق طبقة محتكرة وفي الوقت نفسه ، عاجزة عن خدمة الأرض ، غير خبيرة بزراعتها ، ويترك الأرض تحت أيدى زارعها ، مكتفياً بالضرائب التي تدفع لبيت المال ، ثم ينال كل مسلم حظه منها" (١) وكذلك شجع على الثروة الحيوانية ، فخصص لها مرعى خصيباً رحيباً.

٢٢- مفهوم تربوي إسلامي تصوري "فالثروة عند عمرﷺ في خدمة الإنسان، وليس الإنسان في خدمة الثروة"(٢)وهذا المفهوم الذي تعامل به عمرﷺ مع الثروة بحيث أصبحت الثروة خادمة وليس مخدومة ينسى الإنسان في خدمتها السبل الشرعية في الوصول إليها أما إذا تحول المفهوم العكسي فتصبح هي الخدومة كما هي الثقافة الغربية البرجماتية النفعية التي تبرر الوسيلة الخسيسة استخدامها من أجل الوصول إلى الغاية.

٢٣- الشورى وإبداء الرأي بكل شجاعة وبسالة من مصادر الحكم العمري الراشد، ومفهوم الشورى لدى عمر ﷺ أنها ملك للجميع " ولم يجعل الشورى وقفاً على بطانة أو فريق من الناس ، بل احترمها كحق مبرور للأمة كلها!! ومفهوم إبداء الرأي إيصاله بأدب واحترام للغير "فالحق فوق جميع القيود.. وما دام هم الذين يكتشفون الحق، فيجب أن يكونوا أحراراً في ممارسة كشفه "(٣)، قال عمر: لا خير فيكم إذا لم تقولوها

---

(١) خالد محمد خالد ، خلفاء الرسول ، ص٢١١.

(٢) خالد محمد خالد ، خلفاء الرسول ، ص٢١٢.

(٣) خالد محمد خالد ، خلفاء الرسول ، ص٢٢٩.

.. ولا خير فينا إذا لم نسمعها "أجل، لا خير في الناس إذا لم يقولوا ما يرونه حقاً، ولا خير في الحاكم إذا لم يسمع منهم ويصغ إليهم"(١).

٢٤- الاهتمام والعناية بأماكن العبادة ففي" سنة ١٧ هـ عمر المسجد الحرام ، وأمر بتجديد أنصاب الحرم، أمر بذلك مخرمة بن نوفل، وأزهر بن عبد عوف، وح-ويطب بن عبد العزى، وسعيد بن يربوع"(٢)، وكذلك"سنة ١٨هـ عمر المقام وكان ملصقاً بجدار الكعبة فأخره إلى حيث هو الآن لئلا يشوش المصلون عنده على الطائفين "(٣).

٢٥- العلم من مصادر التغذية الفكرية والوجدانية التي يرتقي بها للإنسان في نفسه ومجتمعه، ويكون راشداً في توجهاته وأرائه، وهذا مكان يمتاز به ابن الخطاب فاروق الأمة قال ابن مسعود: " إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه"وما ذلك إلا لأن علم عمر الذي تلقاه من (معلم الناس الخير) كان علماً عظيم الشمول بعيد الأهداف يقاس عليه غيره ولا يقاس على غيره ، ولأن عمر إنما كان يحاول إدراك المبادئ التي تتفرع عنها الأحكام والقواعد التي تبنى عليها السنن والآداب . ومع ما لعمر من ملكة فطرية في إدراك الحق لاحرازه مقاييسه ، كان يستعين بعلم العلماء من الصحابة أمثال عبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب عبدالله بن العباس. وقال عمر في معاذ:" لولا معاذ لهلك عمر"وكان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن (٤).

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٣٠ .

(٢) محمد بن صامل السلمي، كتاب البداية والنهاية "٢" خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، ص٣٦ -٣٧.

(٣) السابق ، ص٣٧.

(٤) طارق السعود، رجال من الإسلام ، ص١١.

الخاتمة

وبعد ..هذه الرحلة الماتعة مع منهج القرآن الكريم في التربية، فإن الباحث يحاول تسليط الضوء على أبرز ما توصل إليه من نتائج لهذا البحث منها ما يلي :

- نجحت تربية الرسول ﷺ بالمنهج القرآني نجاحاً ليس له مثيل في تاريخ البشرية ،ووصل بمجتمعه في واقع الحياة إلى غاية من الرفعة والسمو لم يبلغها الفلاسفة والمفكرون والمصلحون ، فلا غرابة ولا عجب أن يكون رقم واحد من مائة شخصية مرت على التاريخ ، ولا على عجب أن تضع المحكمة الدستورية للولايات المتحدة على مبناها شكراً للنبي ﷺ على ما قدم للإنسانية .
- إن المنهج القرآني في تربيته للأمة المسلمة الأولى غير حياتها الفكرية وبالتالى السلوكية وهذا بدوره ساهم في مدة وجيزة من أعمار الأمم في تغيير مجريات حياة الأمم والشعوب المجاورة لها.
- إن من المنطلقات الجوهرية والأساسية في المساهمة الفاعلة والراشدة في إعادة النهضة الحضارية للأمة الإسلامية إلى رونقها وأمجادها المأمولة بإذن الله عودتها الصادقة والفعلية للقرآن الكريم كمنهاج حياة عملية وليست نظرية مجردة
- إن التربية القرآنية هي المخلصة اليوم ؛ للبشرية في العموم للمسلمين في الخصوص، فقد أتعبها المسير في دروب الضياع ، فأطبقت عليها نفسها الداخلية بالضيق والضنك الذان ذكرهما الله عز وجل في كتابه الكريم، لكل معرض عن طريق الله، إعراضاً كلياً أو جزئياً، فالإسلام هو المنهج الكامل الذي لا عوج فيه، ، والمناهج البشرية دائماً ذات نقص واعوجاج.
- إن التربية القرآنية تسعى لتوسيع الأفق والفكر لدى المخاطب للارتقاء به إلى الدرجة الواعية للسلوك والتصرفات لأنهما ناتج تصوري وفكري لصاحبهما .

– إن التربية القرآنية تدعو بعد الالمام بأسسها وأصولها وحقيقتها للاستفادة من أي خبرة أو فائدة منقولة لا تخالف أصولها االشرعية والتربوية.

– إن منهج القرآن الكريم في التربية شامل، فهو لا يقتصر على جزء معين من الحياة الإنسانية في ميادينها المتعددة، بل يربط بين الدنيا والآخرة وبين العبادة والسلوك وبين الفرد والمجتمع في آن واحد وعلى هذا الشمول يقوم منهج القرآن الكريم في التربية .

– إن التربية القرآنية لا تعترف بالانفصام النكد بين الروح والجسد والدنيا والآخرة الذي ولدته التربيات الوضعية أو السماوية المحرفة عن مصدرها الحقيقي، مما ولد العداء الشديد فيها بين الجمع بين الأمور المادية والروحية وبين الآخرة والدنيا.

– إن منهج القرآن في التربية يوجه العقل إلى الاستفادة من الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان فهو من يشرف عليها ويوجهها .

– إن التربية القرآنية تستبعد كل مسئولية موروثة ، أو جماعية وتجعل المسئولية فردية تيمثلها الإنسان أمام ناظره في كل لحظاته بل أنفاسه .

– إن من أهم مصادر التربية الإسلامية هو القرآن الكريم وهو يدعو نظرياً وعملياً لتحقيق التربية الشاملة للفرد والمجتمع معاً ولهذا ينبغي على التربية في العصر الحاضر تربية الأفراد والمجتمع تربية قرآنية إذا أرادت التميز والرقي وسبق الأمم في أمور الدين والدنيا معاً.

– إن مفرق الطريق بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم أنها تتطلع مباشرة في كل أمورها صغيرها وكبيرها إلى ما عند الله وهي آخذت بالسنن الكونية ، وهذا ما أكدت التربية القرآنية .

التوصيات :

وفي ضوء النتائج التي تم توصل إليها ، ومن خلال ما تم استعراضه من أدبيات البحث في إطاره العام والنظري ، فيمكن أن يوصي الباحث بما يلي :

- يوصي البحث القائمين على التربية المعاصرة التمسك بما تدعو إليه التربية في المنهج القرآني وترسيخ تلك التربية في نفوس النشء ، فهي البوابة للتميز والرقي وسبق الأمم في أمور الدين والدنيا معاً.

- مراعاة الإعداد الفطري في التكوين الإنساني في جميع البرامج المقدمة للإنسان ، فيعد لكل جنس من الجنسين ما خلق له وهيئ له ابتداءً .

- الاهتمام بالفرد ككل مركب من أجزاء متكاملة وليست متضادة ، وهي الجسم والعقل والروح في آن واحد بطريقة متوازية وغير متنافرة .

- إعداد برامج في جميع المجالات توسع المدارك الفكرية لدى الفرد ، فتغيير السلوك مرتبط ارتباط تلازمياً مع تغيير الفكر أولاً .

- بإعداد برامج تهتم بالقراءة الموجهة، بمفهومها الواسع ، قراءة الكون وما فيه من الأسرار العظيمة، التي تدل على أن هناك واحد ،أحدٌ فردٌ صمدُ ، خلق الإنسان ، والكون بما فيه؛ لغاية واحدٍ ، وهي عبوديته المحضة، قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، الآن نعيش مع بعض المضامين التربوية المستنبطة من هذا الآية.

فهرس المصادر والمراجع

- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (١٤٠٨هـ) : البداية والنهاية ، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي.

- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (د.ت): صحيح ابن خزيمة ، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت.

- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (١٤٠٧ هـ) : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج٦، ط : ٤، دار العلم للملايين – بيروت.

- أحمد بدر(١٩٨٩م):أصول البحث العلمي ومناهجه، ط:٥،دار المعار ، مصر.

- أحمد فريد(١٤١٣هـ):وقفات تربوية مع السيرة النبوية،دار ابن القيم، الإسكندرية.

- أحمد كامل الرشيدي، وفاطمة بنت حمد الرديني(١٤٢٦هـ): التربية الإسلامية من المفهوم إلى التطبيق(ضرورة إنسانية)، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض .

- بهاء سيد محمود حسانين (د،ت):دور ممارسة الأنشطة الرياضة في تنمية بعض القيم الخلقية لدى طلاب جامعة أسيوط "دراسة ميدانية .

- جلال الدين السيوطي (١٤٠٨هـ):تاريخ الخلفاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

- جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن لجوزي (١٤١٢هـ): صفة الصفوة ، فهرسة : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، بيروت.

- جودت سعيد(١٤٠٨هـ):إقرأ..وربك الأكرم، أبحاث في سنن تغييرالنفس والمجتمع.

- خالد بن حامد الحازمي(١٤٢٦هـ): أصول التربية الإسلامية،ط٢. مكتبة دار الزمان ، المدينة المنورة .

- خالد محمد خالد (د . ت) : خلفاء الرسول ، دار ثابت ، القاهرة .
- خليل بن عبدالله الحدري (١٤١٨هـ): التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها،رسالة ماجستير منشورة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- الزهراني ، سعيد بن عطية (١٤٢٤هـ): القيم الأخلاقية في الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب، دار ابن حزم ، بيروت
- سليمان بن الأشعث السجستاني أبوداود (ت):سنن أبي داود ،المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا — بيروت.
- سليمان بن قاسم العيد (١٤٢٦هـ): التربية الخُلقية بين الإسلام والعولمة، مدار الوطن للنشر، الرياض.
- سيد قطب (١٤١٢هـ) :في ظلال القرآن ، ج٦ ، ط١٧ ، دار الشروق -بيروت- القاهرة
- سيد قطب(١٤١٠هـ): في ظلال القرآن، ط١٦.دار الشروق،بيروت.
- سيف الدين حسين شاهين شاهين (١٤١٣هـ): حقوق ألإنسان في الإسلام، مطبعة سفير ، الرياض.
- شمس الدين محمد بن أحمد الحنبلي (١٩٩٨م): تنقيح تحقيق أحاديث التعليق: تحقيق : أيمن صالح شعبان. دار الكتب ، بيروت.
- صالح موسى درَادكه (١٤٠٧هـ): الإنسان في القرآن الكريم،دار الهجرة ، بيروت.
- طارق السعود(١٤٠٦هـ): رجال من الإسلام ، دار الهجرة، بيروت .

- عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ (١٩٧٣م): الشخصية الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت.

- عطية بن محمد أحمد الصالح (١٤٢٤هـ) : تنمية القيم الأخلاقية لدى طلاب مرحلة التعليم الأساسي العليا من وجهة نظر معلمي التربية الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية والمقارنة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة.

- على بن حمد الجرجاني(١٤١٨هـ):التعريفات،ط(٤).دار الكتاب العربي-بيروت.

- علي أحمد مدكور (١٤١١هـ): مفهوم المنهاج التربوي في التصور الإسلامي ، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة "٢- ٥ محرم ١٤١١هـ" ، عمان، الأردن .

- عوض بن حمد الحسني (١٤٢٥هـ):مشروع التربية الأخلاقية للمرحلة الثانوية في ضوء التحديات المعاصرة لبناء شخصية إسلامية فاعلة ضمن مواد التربية الإسلامية، بحث غير منشور، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة.

- عوض بن حمد الحسني (١٤٢٧هـ):تنمية القيم الأخلاقية في المرحلة الثانوية من خلال الأنشطة غير الصفية دراسة ميدانية ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، مكة.

- غسان منير سنو (١٩٩٧م): القيم والمجتمع – نظام القيم السائدة عند طلبة الدراسات الشرعية في بيروت . دار صادر ، بيروت.

- فتح الباب عبد الحليم سيد (١٤١١هـ): الغايات والأهداف التربوية في القرآن والسنة ، وثمر نحو نظرية تربوية إسلامية معاصرة ، عمان ، الأردن .

- القرآن الكريم (المصحف الرقمي).

- محمد السيد علي (١٤٣٢هـ): موسوعة المصطلحات التربوية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان .

- محمد بن إسماعيل البخاري (١٤٢٢هـ): صحيح البخاري ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

- محمد بن إسماعيل البخاري (١٤٠٧هـ):الجامع الصحيح، حسب ترقيم فتح الباري، دار الشعب ، القاهرة.

- محمد بن سعد(١٤٠٥هـ): الطبقات الكبرى لأبن سعد ، دار الفكر ،دار صادر، بيروت.

- محمد بن صامل السلمي(١٤١٨هـ): ترتيب وتهذيب كتابة البداية والنهائية "٢" خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ، دار الوطن للنشر ، الرياض .

- محمد بن مكرم ابن منظور (١٤١٤هـ): لسان العرب ، ج٢، ط:٣، دار صادر ، بيروت.

- محمد شديد (١٤١٥هـ): منهج القرآن في التربية ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- محمد فؤاد عبد الباقي (١٤٠٨هـ): المعجم المفهرسة لأافاظ القرآن الكريم،ط٢.دار الحديث، القاهرة .

- محمد قطب (١٤١١هـ): دراسات قرآنية ، ط:٦، دار الشروق، القاهرة .
- محمد قطب (١٤١٢هـ): منهج التربية الإسلامية ، ط١٣. دار الشروق، بيروت.
- محمد قطب(١٤٢٤هـ): كيف ندعوا الناس؟،ط:٣،ص١٨٧،دار الشروق،بيروت.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت) : صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- مقداد يالجن (١٤٢٣هـ): التربية الأخلاقية الإسلامية ، موسوعة الأخلاق الإسلامية (٢)، ط٣. دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض.
- المكتبة الشاملة ، الإصدار الثالث ، النسخة المكية "١" ، مؤسسة المكتبة الشاملة، العوالي، مكة المكرمة .
- نسيبة عبد العزيز العلي المطوع(١٤١٥هـ) :الأساليب التربوية في القرآن والسنة ، ط٢، سلسلة رؤية لمنهج تربوي اجتماعي ثقافي إسلامي (١٤)، لجنة ساعد أخاك المسلم في كل مكان ، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ، الديوان الأميري .
- وضحة السويدي (١٤٠٩هـ) : تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر برنامج مقترح، رسالة دكتوراه منشورة، الدوحة، دار الثقافة.

المحور الثاني

التربية بالقرآن (الآثار والنتائج، في ضوء السيرة النبوية)

وفيه ثمانية أبحاث :

- التربية باتباع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتطبيقاتها في القرآن الكريم.
- البيان النبوي في خطاب الصحابة بالقرآن الكريم .
- التربية النبوية بالقرآن الكريم .
- المنهج النبوي في التربية بالقرآن الكريم .
- التربية بالقرآن (الآثار والنتائج) في ضوء السيرة النبوية .
- تأثر الصحابة بالقرآن واستجابتهم له.
- التربية القرآنية في ضوء السيرة النبوية .
- التربية بالقرآن في مدرسة النبوة .
- الأسس المنهجية للتربية بالقرآن وتطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية .

التربية باتباع الرسول ﷺ
وتطبيقاتها في القرآن الكريم

إعداد

د. وفاء بنت عبد الله الزعاقي

أستاذة التفسير المساعد

الملخص

اتباع الرسول ﷺ من الأسس التي اعتمدها القرآن الكريم لتربية الإنسان والارتقاء بنفسه إلى مستوى الغاية التي خلق لأجلها. فالتربية بالاتباع تعني تنشئة الإنسان على اتباع أوامره ﷺ واجتناب نهيه. مع ملاحظة مولاته ونصرته، وملازمة سنته والذب عنها ونشرها وتعظيم قدرها.

إن الاتباع كما إنه منهج التربية فهو معيارٌ يَقيس سلامة حال الشخص، ويضمن ارتقاءه في سلم القيم والأخلاق الفاضلة. ذلك إن الاتباع شرط لحصول محبة الله للعبد، ومتى تحققت تلك المحبة وفق الإنسان للخير وصُرف عن الشر، وبذلك يتربى الإنسان على الصلاح والاستقامة والانضباط. وهذا غاية ما تطمح إليه المناهج التربوية وتسعى للوصول إليه.

ومما يدل على عظم الاتباع كمنهج تربية؛ تميزه في بناء العقل فهو يحرره من التبعية، ويدربه على قوة الإدراك وحسن الاستنباط والقدرة على الابداع، ويعزز لديه الحصانة ضد الابتداع والتحريف والتأويل والتبعية الفكرية التي تذهب بذات الإنسان وتمحي شخصيته.

والاتباع أيضا يحرر النفس من الأهواء الشخصية، والعواطف السلبية، ويعزز لديها المشاعر الصادقة، والأفكار البناءة. وبهذا ينطلق المرء من داخله المستقيمة لسلوك الطرق الصحيحة التي تحقق طموحه وطموح مجتمعه في التنمية والاستثمار الحسن في الإنسان، وبهذا يعم الخير وتنتشر البركة ليس في المجتمع الصغير بل على العالم أجمع.

إن أُمة جعلت الاتباع منهجها ، والتزمت به في تربية ذاتها، وتقويم مناهجها؛ حرية أن توصف بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

لما كان شرف الشيء يعرف بما ينسب إليه، كان شرف التربية بالقرآن الكريم تُعرف أهميتها وضرورتها وعظم قدرها بنسبتها لكلام الله تعالى، واستمدادها منه. ولذا فإن التربية بالقرآن الكريم صورة من صور عظمته وعلوه وهيمنته على سائر المناهج التربوية قديماً وحديثاً. يتجلى ذلك واقعاً حياً تطبيقياً في حياة صحابة رسول اللهﷺخير قرن أخرج للناس؛ والقرون التي تلتهم وتعلمت منهم، ونهلت من معينهم، وتأثرت بهم تأثراً مباشراً.

إن علم التربية بالقرآن الكريم علم يستمد مقاصده وأسسه ومناهجه وأهدافه ووسائله وغاياته من القرآن الكريم، يبدأ منه وإليه يعود، دون الحاجة إلى الرجوع إلى مناهج البشر الفكرية، أو القراءة في نظرياتهم الفلسفية، أو المقارنة بين مخرجاتهم التربوية.

ومما يدل على تفرد القرآن الكريم في تربيته؛ اعتماده اتباع الرسولﷺأساسا من أسس التربية والإصلاح وتنمية النفس البشرية، وهو أساس يختلف عن التربية بالقدوة الصالحة من البشر، اختلافاً بيّنا كاختلاف الرسولﷺ عن سائر الناس. فاتباع الرسولﷺ ركن من أركان الإيمان، وأساس من أسس الشهادة بنبوتهﷺ.

لقد أنزل اللهﷻ القرآن الكريم لهداية الناس، وجعل مع القرآن الكريم سنة نبيهﷺفعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ."[١]. وكان من عظيم رحمته ولطفه سبحانه

---

(١) مسند أحمد (٢٨/ ٤١٠). قال المحقق "شعيب الأرنؤوط وآخرون" : إسناده صحيح رجاله ثقات.

وتعالى أن جعل من مهمة الرسولﷺ التعليم والتربية وإصلاح النفوس، إذ يتعذر في كثير من الأحياء تطبيق حكم من أحكام الله دون أن يكون هناك تطبيق عملي لذلك التوجيه الرباني، ولذا كانت السنة بالنسبة للقرآن بمكان عظيم . لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:٢). وقد بلغت أهمية الاتباع وضرورته أن جعله تعالى السبيل لنيل محبته فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١) ، وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(الأحزاب: ٢١).

لقد فقه صحابة رسول اللهﷺأن اتباع الرسولﷺهو سبيلهم للاستقامة ، ووسيلتهم للعمل بكتاب الله تعالى. فشمروا مسارعين في اقتفاء أثره، والتزام سنتهﷺ، والتنافس في محبته والدفاع عنه. وهو معهم ﷺ يرسخ ذلك في نفوسهم، ويؤكده في سلوكهم بقوله وفعله وتقريره.

ولذا فإنه لا يمكن تصور تربية بالقرآن في معزل عن قاعدة الاتباع لهديه عليه الصلاة والسلام. كيف لا وسيرته ترجمة وتفسير وبيان للقرآن الكريم.

ومن هنا جاء اختيار عنوان المشاركة في ملتقى التربية بالقرآن بعنوان:" أثر التربية باتباع الرسولﷺ وتطبيقاتها في القرآن الكريم".

أهداف البحث:

١. الكشف عن منهج القرآن الكريم في التربية.

٢. إبراز أهمية اتباع الرسولﷺ في تحقيق التربية القرآنية.

٣. بيان تفرد القرآن الكريم بمنهجه التربوي.

٤. الإسهام في تأصيل البحوث المتعلقة بالتربية.

٥. الخروج بتوصيات تخدم الباحثين في علم التربية بالقرآن.

منهج البحث:

سرت في هذه الدراسة وفق المنهج التحليلي للآيات القرآنية لإبراز منهج القرآن الكريم في التربية باتباع الرسولﷺ.

عناصر الموضوع:

المطلب الأول: اتباع الرسول ﷺ في القرآن الكريم (معناه، ومكانته).

المطلب الثاني: التربية في القرآن الكريم باتباع للرسول ﷺ (معناه، وأهميته).

المطلب الثالث: آثار التربية باتباع الرسول ﷺ:

الآثار الإيمانية.

الآثار العقلية.

الآثار النفسية.

الآثار السلوكية.

الآثار الحضارية.

المطلب الخامس: الخاتمة والتوصيات.

والله أسأل التوفيق والرشاد لما فيه خير الدنيا والآخرة..

المطلب الأول: اتباع الرسول ﷺ في القرآن الكريم (معناه، ومكانته)

أولا: معنى اتباع الرسول: وسنتناول في هذا المطلب ما يلي:

أ. معنى الاتباع في اللغة:

تعود كلمة الاتباع في اللغة إلى الجذر اللغوي: "تبع" قال ابن فارس:" يأتي الاتباع في اللغة التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء. وهو التلو والقفو."(١).

أما اشتقاقات هذا الجذر فقد بينت كتب اللغة أنها تشمل ما يلي:

"تَبَعَ، وتَباعا، الاتباع، التَّتبع، أتَبع، استتبع، التبيع، التَّبَع، متابعة، التبعة، والتباعة، تابع، التُّبع"(٢).

ويمكن تحديد معاني هذه الاشتقاقات فيما يلي :

١. اللحوق: تَبَعَ: تعني تبع الشيء تبوعا سرت في أثره، أو لحقه. وقال ابن منظور: "الاتباع: أن يسير الرجل وأنت تسير وراءه."(٣). وذلك التبع بالجسم. كما قال ابن منظور:" والتبع تارة يكون بالجسم، وتارة بالارتسام، والائتمار."ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ ﴾ [طه: ٧٨].

٢. التلو: تَتَلّى تَتَبَّع وتِلْوُ الشيء الذي يَتلُوه وهذا تِلْوُ هذا أَي تَبَعُه. وتلا وتلَّى بمعنى تبع. يقال: تَلَّى الفَريضة إذا أَتبعها النفلَ.قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ١-٢]وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾

---

(١) مقاييس اللغة/ (١/٣٦٢).

(٢) لسان العرب: مادة تبع، مقاييس اللغة/ ابن فارس (١/٣٦٢-٣٦٣).

(٣) بصائر ذوي التميز (٢/٢٣٩).

[البقرة:١٢١] معناه: يَتّبعون حقّ اتّباعه ويعملون به حق عمله. وفلان يَتْلو فلاناً أَي يحاكيه ويَتْبَع فعله، وهو يُتْلي بَقِيَّة حاجته أَي يَقْتَضِيها وَيَتَعهَّدها.(١)

٣. الاقتداء والائتمار: قال ابن منظور: "واتبع القرآن: ائتم به وعمل بما فيه". ومنه قولهﷺ:"النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ"(٢). وعَنْ أَبِي مُوسَىﷺأَنَّهُ قَالَ:" إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ كُمْ ذِكْرَى وَكَائِنٌ لَكُمْ أَجْرًا أَوْ كَانَ عَلَيْكُمْ وِزْرًا، فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَتَّبِعْكُمْ الْقُرْآنُ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ الْقُرْآنَ يَهْبِطْ بِهِ عَلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ يَتَّبِعْهُ الْقُرْآنُ يَزُخُّ فِي قَفَاهُ فَيَقْذِفُهُ فِي جَهَنَّمَ"(٣). وهذا ما دل عليه قول أبي المظفر السمعاني: " وأما أهل السنة، قالوا: الأصل في الدين الاتباع، والمعقول تَبَعَ."(٤).

٤. التأخر: وتَبَعَ كل شيء ما كان على آخره. والتَّبع قوائم الدابة، وسميت لأنّه يتبع بعضُها بعضًا.

٥. الخدمة: ومن ذلك قول سلمة بن الأكوع : " وَكُنْتُ تَبِيعًا لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَسْقِي فَرَسَهُ وَأَحُسُّهُ وَأَخْدِمُهُ"(٥) وقوله تعالى:﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ﴾ [النور: ٣١] فسره ثعلب قال: هم اتباع الزوج ممن يخدمه(٦).

---

(١) لسان العرب: مادة: تلو؟ وانظر غريب الحديث للقاسم ابن سلام (١٧٤/٤).

(٢) صحيح البخاري ك: (المناقب) باب: (قول الله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى") ح٣٣٠٥، وصحيح مسلم ك٣٤: (الإمارة) ح٤٨٠٤.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ك: (فضائل القرآن) (٢٠٤/٨) ح ٢٩٤٢٨. قال محقق التفسير من سنن سعيد بن منصور (١/ ٥٠): والأثر سنده ضعيف لجهالة حال أبي كنانة.

(٤) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة (ص: ٥٧٩).

(٥) صحيح مسلم/ ك٣٣: (الإمارة) ح١٣١

(٦) لسان العرب: مادة تبع.

٦. النصير: قال ابن فارس: والتَبيع النصير، لأنه يَتْبعه نصره.[١]قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ [الإسراء: ٦٩]. قال أبو حيان : "التبيع قال ابن عباس: النصير"[٢].

٧. الموالاة: تابع بين الأمور تباعا والى. يقال: تابع بين الصلاة وبين القراءة والى بينهما ففعل هذا على إثر هذا بلا مهملة بينهما.

٨. الإتقان والإحكام: تابع عمله وكلامه: اتقنه وأحكمه. وفي أمثال العرب: أتبع الفرس لجامها، يضرب مثلا للرجل يأمر برد الصنيعة وإتمام الحاجة. وعن أبي واقد الليثي قال: تابعنا الأعمال فلم نجد شيئا أبلغ في طلب الآخرة من الزهد في الدنيا. وعلق ابن منظور فقال: أي أحكمناها.

٩. العاقبة: تباعة الْأَمر عاقبته وَمَا يَتَرَتَّب عَلَيْهِ من أثر.

١٠. الظل: فيسمى التُبُعُ بالتشديد لأنه يتبع الشمس.[٣]

وبهذا نخلص إلى إن الاتباع في اللغة يدل على السير خلف المتبوع واللحوق به دون التقدم عليه بل التأخر عنه والائتمار بأمره والاقتداء به والعمل بعمله، وخدمته وملازمته وموالاته ونصرته كل ذلك بإحكام وإتقان، بما يعقب ذلك من أثر في حسن حال التابع.

وعلى ما تقدم فإن اتباع الرسولﷺ يتضمن اقتفاء أثره في أموره كلها، وعدم مخالفته أو التقدم عليه أو على أمره، وملازمة طاعته ومولاته ونصرته وتوقيره وتعظيمه وخدمته

---

(١) ابن فارس (١/٣٦٢-٣٦٣).

(٢) البحر المحيط /أبو حيان (٨٣/٧).

(٣) المعجم الوسيط (١/ ٨١) ،لسان العرب /ابن منظور/ مادة: تبع.

في حياته وبعد موته من خلال خدمة سنته ونشرها والذب عنها والتمسك بها، كل ذلك بإتقان وإحكام بما يعقبه من استقامة وهداية في حال التابع.

ب. الاتباع في الاصطلاح:

الاتباع هو الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ فِعْلِ الْغَيْرِ لِأَجْلِ أَنَّهُ فِعْلُ ذَلِكَ الْغَيْرِ[1]. وقيل هو: امتثال الأمر والعمل بما يأمر به المتبوع.[2]

وعلى هذا فإن اتباع الرسولﷺ : يعني العمل بما يأمر به ﷺ أو ينهى عنه.

قال ابن تيمية: "فلفظ الاتباع يكون للآمر الناهي، وللأمر والنهي، وللمأمور به والمنهي عنه. وهو الصراط المستقيم"[3].

وقال أبو حيان: "وَمَعْنَى الِاتِّبَاعِ الِاقْتِدَاءُ فِيمَا جَاءَ بِهِ اعْتِقَادًا وَقَوْلًا وَفِعْلًا"[4].

قال الشنقيطي: " فَالْعَمَلُ بِالْوَحْيِ، هُوَ الِاتِّبَاعُ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ.". وقال: "وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ اتِّبَاعَ الْوَحْيِ لَا يُشْتَرَطُ فِيهِ إِلَّا عِلْمُهُ بِمَا يَعْمَلُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَحْيِ الَّذِي يَتَّبِعُهُ، وَأَنَّهُ يَصِحُّ عِلْمُ حَدِيثٍ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَعِلْمُ آيَةٍ وَالْعَمَلُ بِهَا. [5]

وبهذا نخلص إلى اتباع الرسولﷺ في الاصطلاح: يعني العمل بأوامره واجتناب نواهيه.

وهذا ما دلت عليه الآيات الكريمة التي جاءت بالأمر باتباع الرسولﷺ، أو أمرت الرسولﷺ باتباع ما أنزل إليه. قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ

---

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير/ الرازي (١١/ ٢١٩).

(٢) التحرير والتنوير(٧/٤٢٣-٢٢٤).

(٣) الزهد والورع والعبادة / ٢٥.

(٤) البحر المحيط في التفسير (٥/ ١٩٤).

(٥) أضواء البيان (٧/٥٤٩ _ ٥٥٠).

﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨] قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ثم جعلناك يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم (عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ) يقول: على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا (فاتَّبِعْها) يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك (وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) يقول: ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحقّ من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به."[١]

ج. دلالة آيات اتباع الرسول ﷺ في القرآن الكريم:

وردت كلمة (تبع) في القرآن الكريم (١٧٤) مرة، موزعة بين تسع وأربعين سورة. سبع وثلاثون منها سور مكية وهي (الأنعام، الأعراف، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، سبأ، يس، الصافات، ص، الزمر، غافر، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، الطور، النجم، القمر، نوح، القيامة، المرسلات، النازعات). وإحدى عشر سورة مدنية وهي (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، الرعد، النور، الفتح، محمد، الحديد). والثانية عشر (الرعد) على اختلاف فيها.

أما صيغ اشتقاق للكلمة فهي (تَبِعَ، تتبع، يتبع، أَتْبَع، نُتبع، يُتْبع، أُتْبع، اتَّبَعَ ، نَتَبع، اتْبعُ، التابعين، تبع، متتابعة، متبع، تبيع.) وهذا التنوع في الاشتقاق، مع تعدد السور يعطي دلالة على أهمية الكلمة، ومكانتها في القرآن الكريم.

(١) جامع البيان (٢٢/ ٧٠)

وحيث أن دراستنا تتعلق باتباع الرسول ﷺ (ويدخل فيها اتباع الأنبياء بوجه عام) فسوف نكتفي بالإشارة إلى مواضع ورود الآيات الكريمة التي تضمنت الحديث عن اتباع الرسولﷺ دون غيرها من الآيات التي تضمنت الحديث عن الاتباع. وهي: [البقرة: ٣٨ ، ١٤٣] ،[آل عمران: ٢٠، ٣١، ٥٣، ١٦٢، ١٧٤] [النساء: ١٢٥] [المائدة: ١٥، ١٦] [الأنعام: ١٠٦،٥٠] [الأعراف١٥٧، ١٥٨، ٢٠٣] [الأنفال: ٦٤] [التوبة: ١١٧] [يونس:١٥، ١٠٩] [يوسف: ١٠٨] [إبراهيم: ٣٦]، [النحل:١٢٣][الإسراء: ٤٧] [طه: ٤٧ ،١٢٣] [الفرقان: ٨] [الشعراء: ٢١٥] [القصص: ٤٩] [الأحزاب:٢][يس: ١١ ،٢٠_٢١] [الزمر: ١٨] [غافر:٧] [الزخرف:٦١] [محمد: ٣] [الجاثية: ١٨] [الأحقاف:٩] [القمر: ٢٤]

وهذه الآيات دلت على ما يلي:

١. إن الاتباع فرض على رسولنا محمد ﷺ ، ويعني طاعة الله تعالى والتزام أمره، والاحتكام إلى شرعه. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩] ، ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦] ، ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠، ٥١] قال الطبري: (فإنما أتبع ما يوحى إليّ من ربي، لأني عبده، وإلى أمره أنتهي، وإياه أطيع.)[١]. ولذا كانت سيرته عليه الصلاة والسلام ترجمة لمعاني القرآن، وأفعاله وأقواله

(١) جامع البيان (٣٤٣/١٣).

تفسيراً وبياناً لكلام الله تعالى. فعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]"(١). ولذا كان أسوة حسنة لمن أراد أن يتمسك بالقرآن، ويهتدي به، ويربي نفسه على معانيه وتوجيهاته.

٢. إن الاتباع يؤدي إلى استقامة الحال، وحفظها من الاضطراب والخلل. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١-٣] قال الطبري: "هذا الذي فعلنا بهذين الفريقين من إضلالنا أعمال الكافرين، وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، جزاء منا لكلّ فريق منهم على فعله. أما الكافرون فأضللنا أعمالهم، وجعلناها على غير استقامة وهدى، بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه، وهو الباطل.ــإلى أن قال : ــ وأما المؤمنون فكفّرنا عنهم سيئاتهم، وأصلحنا لهم حالهم بأنهم اتبعوا الحقّ الذي جاءهم من ربهم، وهو محمد ﷺ، وما جاءهم به من عند ربه من النور والبرهان"(٢). وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ

(١)مسند أحمد (٤١/ ١٤٩).

(٢) جامع البيان (٢٢/١٥٣).

تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[التوبة: ١١٧]وقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

٣. إن الاتباع هو سبيل الهداية والفلاح والفوز بصلاح الأحوال في الحياة كلها قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧ – ١٥٩]. وقال تعالى:﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

قال ابن عاشور: "وَالْبَصَائِرُ جَمْعُ بَصِيرَةٍ وَهِيَ مَا بِهِ اتِّضَاحُ الْحَقِّ وَقَدْ تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ [١٠٤]، وَهَذَا تَنْوِيهٌ

بِشَأْنِ الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي يَسْأَلُونَهَا، لِأَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ بِوَاسِطَةِ دَلَالَةِ الْإِعْجَازِ وَصُدُورِهِ عَنِ الْأُمِّيِّ، وَبَيْنَ الْهِدَايَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْإِرْشَادِ، وَالْبَقَاءِ عَلَى الْعُصُورِ.

وَإِنَّمَا جَمَعَ «الْبَصَائِرَ» لِأَنَّ الْقُرْآنِ أَنْوَاعًا مِنَ الْهُدَى عَلَى حَسَبِ النَّوَاحِي الَّتِي يَهْدِي إِلَيْهَا، مِنْ تَنْوِيرِ الْعَقْلِ فِي إِصْلَاحِ الِاعْتِقَادِ، وَتَسْدِيدِ الْفَهْمِ فِي الدِّينِ، وَوَضْعِ الْقَوَانِينِ لِلْمُعَامَلَاتِ وَالْمُعَاشَرَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالدَّلَالَةِ عَلَى طُرُقِ النَّجَاحِ وَالنَّجَاةِ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مَهَاوِي الْخُسْرَانِ.

وَأَفْرَدَ الْهُدَى وَالرَّحْمَةَ لِأَنَّهُمَا جِنْسَانِ عَامَّانِ يَشْمَلَانِ أَنْوَاعَ الْبَصَائِرِ فَالْهُدَى يُقَارِنُ الْبَصَائِرَ وَالرَّحْمَةُ غَايَةٌ لِلْبَصَائِرِ، وَالْمُرَادُ بِالرَّحْمَةِ مَا يَشْمَلُ رَحْمَةَ الدُّنْيَا وَهِيَ اسْتِقَامَةُ أَحْوَالِ الْجَمَاعَةِ وَانْتِظَامُ الْمَدَنِيَّةِ وَرَحْمَةَ الْآخِرَةِ وَهِيَ الْفَوْزُ بِالنَّعِيمِ الدَّائِمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]."[١]

٤. إن التوبة الصادقة تقتضي الاتباع واقتفاء أثر الرسول ﷺ في جميع أحواله قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٢٣٨).

قال الطبري: "يقول: وسلكوا الطريق الذي أمرهم أن يسلكوه، ولزموا المنهاج الذي أمرهم بلزومه، وذلك الدخول في الإسلام."(١) وقال ابن كثير :" أَيْ: فَاصْفَحْ عَنِ الْمُسِيئِينَ إِذَا تَابُوا وَأَنَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ، مِنْ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أَيْ: وَزَحْزِحْهُمْ عَنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْمُوجِعُ الْأَلِيمُ."(٢).

٥. إن الاتباع علة توبة الرب على عبده، وتثبيته على الحق وحفظه من الانحراف، قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

قال ابن عاشور: "ووصف المهاجرين والأنصار بـ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ للإيماء إلى أن لصلة الموصول تسببا في هذه المغفرة. ومعنى ﴿اتَّبَعُوهُ﴾ أطاعوه ولم يخالفوا عليه."(٣)

٦. إن الاتباع هو سبيل الإنسان لمعرفة الحق من الباطل، ومن خلاله تسلم الفطرة، ويتقد التفكير من معوقات الفهم ، وأزمة التصور المنحرف، وبذلك يعتدل السلوك، ويستقيم المنهج على الجادة. قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠] قال الطبري: "يقول تعالى ذكره:

(١) جامع البيان (٢١/ ٣٥٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٣١)

(٣) التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٩).

قل، يا محمد، لهم: هل يستوي الأعمى عن الحق، والبصير به "والأعمى"، هو الكافر الذي قد عَمى عن حجج الله فلا يتبيَّنها فيتبعها "والبصير"، المؤمن الذي قد أبصرَ آيات الله وحججه، فاقتدى بها واستضاء بضيائها "أفلا تتفكرون""[١]

٧. إن الاتباع يقتضي المداومة على الاتباع في جميع الأحوال والتسليم المطلق بما جاء من عند الله تعالى، وترك اتباع الكفار ومناهج حياتهم. قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[يونس:١٠٩] ، وقال تعالى:﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: اتبع، يا محمد، ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك، فاعمل به، وانزجر عما زجرك عنه فيه، ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك. من عبادة الأوثان والأصنام، فإنه لا إله إلا هو."[٢].وقال ابن عاشور: "فَالْمَقْصُودُ مِنَ الْأَمْرِ الدَّوَامُ عَلَى اتِّبَاعِهِ. وَالْمَعْنَى: أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ اتِّبَاعًا لِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ. "[٣].

٨. خطورة ترك الاتباع على صحة الإيمان وإخلاص النية واستقامة المنهج قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٢، ٣٣]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ

(١) جامع البيان (١١/ ٣٧٢).

(٢) تفسير الطبري /جامع البيان (١٢/ ٣٢).

(٣) التحرير والتنوير (٧/ ٤٢٣).

﴿ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦١]

٩. إن اتباع الرسول وطاعته هي معنى طاعة الله تعالى واتباع ما أنزل قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠]. وحيث إن دين الله تعالى كامل، وكتابه قد دل على كل خير، فإن اتباع الرسول ﷺ يحقق للإنسان السعادة والصلاح في جميع أحواله، وعلاقاته.

١٠. في الاتباع نجاة من الخسران والذلة في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴾ [طه: ١٣٤].

١١. إن الاتباع هو الطريق الوحيد الموصل إلى الله تعالى دون ما سواه، وعليه فإن الاتباع هو الوسيلة الصحيحة التي يجب أن يسير عليها الإنسان في جميع حياته قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى) قالوا: يا رسول الله، ومن يَأْبَى؟ قَالَ: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عصاني فقد أبى).(١)

(١) صحيح البخاري/ ك٩٩ : (الاعتصام بالكتاب والسنة)/ ب٢:(الاقتداء بسنن الرسول ﷺ)/ ح٦٨٥١.

قال ابن القيم: " وَإِذَا كَانَتْ سَعَادَةُ الْعَبْدِ فِي الدَّارَيْنِ مُعَلَّقَةً بِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺفَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَأَحَبَّ نَجَاتَهَا وَسَعَادَتَهَا أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَشَأْنِهِ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْ الْجَاهِلِينَ بِهِ وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ وَالنَّاسُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ وَمَحْرُومٍ وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاَللَّهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ"(١).

١٢. إن الاتباع يقتضي عدم مخالفة الرسول ﷺ والرضى بحكمه، والرجوع إليه عند الاختلاف، ونصرته، وتوقيره، وترك مشاقته، والخضوع له، وعدم رفع الصوت في حضرته، والدفاع عنه، والدعوة إلى دينه وفق طريقته، وتبليغ سنته والذب عنها. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]. قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧]. قال الشيخ السعدي: "وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله، ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب والأرواح والدنيا والآخرة."(٢).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد. (١/ ٦٥)

(٢) تيسير الكريم الرحمن/ ٨٥٠.

ثانيا: مكانة اتباع الرسول ﷺ في القرآن الكريم :

من خلال استعراض الآيات التي تناولت الحديث عن اتباع الرسول ﷺ نجد أن الاتباع أصل من أصول الدين، وقضية كبرى من قضايا المعتقد. وهو أيضاً أصل التغير، وأساس الإصلاح والتهذيب والتقويم والتربية، فالاتباع منهج رباني فريد لتأسيس المجتمع الصالح، وبناء الحضارة الإنسانية المستقيمة.

فمن خصائص الطبيعة الإنسانية الجهالة والغفلة، وهي خلقت للعبودية والخضوع، فلاتزال بحاجة إلى معبود تخضع له، وتسلم له، يقوم على توجيهها وإصلاحها. وذلك لا يكون إلا من خلال صفوة الخلق، الذين اختارهم ﷻلحمل رسالته وتبليغها الناس، لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١] وهذا من تمام فضل الله وإحسانه على خلقه قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤، ١٦٥]. فمهمة الرسول التزكية والتعليم وإصلاح أحوال الناس، ولذا أوجب تعالى اتباع أنبيائه بمعنى تصديقهم وطاعتهم واقتفاء أثرهم وتوقيرهم ونصرتهم وملازمتهم ومحبتهم وعدم مخالفتهم والإخلاص لهم. إذ يتعذر على الإنسان تطبيق أوامر الله، وترك نواهيه بصورة صحيحة سالمة من التطرف أو الإفراط والتفريط دون أن يكون هناك نبي معصوم يتبعونه، فيما يدع وفيما يعمل. ويرجعون إلى منهجهﷺ ليُقَيمُوا صحة مسلكهم، ويتحققوا من سلامة طريقتهم. قال تعالى:﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ

﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[آل عمران:٥٢-٥٣] .ولذا وقع من بعض الصحابةﷺ انحراف في التطبيق عندما خالفوا منهج رسول الله ﷺفي التعبد؛ فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا! فَقَالُوا :وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ (قَدْ غَفَرَ اللَّهُ) لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:" أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ. لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي."[١]. ولذا فإن رسول اللهﷺ هو المعيار الذي يقيس به الإنسان سلامة منهج حياته من انحرافه، ومدى قربه أو بعده من الحق.

---

(١) صحيح البخاري /: ك:(النكاح)/ب:(الترغيب في النكاح) /ح٤٧٧٦.

المطلب الثاني: التربية باتباع للرسول ﷺ في القرآن الكريم(معناها،وضوابطها).

أ. معنى التربية في القرآن الكريم:

تعني التربية: التنشئة . قال الراغب: "الربُ في الأصل التربية وهو إنشاء حالا فحالا إلى حد التمام"[1]. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال مجاهد: "وهم فوق الأحبار"، لأن "الأحبارَ" هم العلماء، و"الرباني" الجامعُ إلى العلم والفقه، البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دُنياهم ودينهم."[2]

وقد وردت التربية في القرآن بألفاظ متعددة نوردها كما يلي :

الكفالة:

الكفالة : الضمان. والكافل: العائل والضامن. وهو يكفيني ويكفلني: يعولني وينفق علي[3]. قال تعالى في قصة مريم عليها السلام قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران : ٣٧] فالتقبل: التكفل في التربية والقيام بشأنها. والإنبات الحسن: عبارة عن حسن النشأة وسرعة الجودة فيها في خَلقه وخُلقه، (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) أي ضمها إلى إنفاقه وحضنه . فعن ابن عباس قال: أي سلك بها طريق السعداء[4].

---

(١) المفردات/١٨٤.

(٢) جامع البيان (٥٤٤/٦).

(٣) بصائر ذوي التميز /الفيروز أبادي (٣٦٦/٤).

(٤) انظر: المحرر الوجيز/ابن عطية(٤٢٥/١)، وتفسير القرآن العظيم/ ابن كثير (٢٨/٢) والجامع لأحكام القرآن/ القرطبي (١٠٤/٥).

التنشئة :

الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته[1].قال تعالى : ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].أي: يربى ويشب في الحلية. وقال أبو حيان: ينتقل في عمره حالا فحالا في الحلية[2].ونشوءاً: إذا شببت فيهم[3].

الإيواء :

الإيواء: من أويت منزلي وإلى منزلي أُوِيّاً وإِوِيّاً وأَوَّيْتُ وتأَوَّيتُ: عدت. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾[الضحى:٦] أي: ألم يجدك يتيما صغيرا حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى فجعلت لك مأوى تأوي إليه، وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة[4]. وعَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَان إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشه قَالَ : (الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا) ... وَقِيلَ : مَعْنَى آوَانَا هُنَا: رَحِمَنَا).[5]

التزكية :

الزكاء: الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح وكله قد استعمل في القرآن والحديث[6]وقال الراغب: (وبزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة. وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه

---

(١) بصائر ذوي التميز (٥/ ٥٢). (١٦٤/٢).
(٢) البحر المحيط (٣٦٣/٩).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٩).
(٤) معالم التنزيل/ البغوي (٤٥٦/٨).
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (٣٤/١٧).
(٦) لسان العرب/ ابن منظور/ مادة: زكا.

تطهيره)[1].قال تعالى:﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾[مريم:١٣]أي: صلاحا.

الرعاية :

الراعي : أي الوالي[2] ، وجعل الراعي والرعاء للحفظ والسياسية قال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:٢٧] أي ما حافظوا عليها حق المحافظة ، ويسمى كل سائس لنفسه أو لغيره راعبا[3].

وقال الإمام النووي: (قَالَ الْعُلَمَاء: الرَّاعِي هُوَ الْحَافِظ الْمُؤْتَمَن الْمُلْتَزِم صَلَاح مَا قَامَ عَلَيْهِ، وَمَا هُوَ تَحْت نَظَره، فَفِيهِ أَنَّ كُلّ مَنْ كَانَ تَحْت نَظَره شَيْء فَهُوَ مُطَالَب بِالْعَدْلِ فِيهِ، وَالْقِيَام بِمَصَالِحِهِ فِي دِينه وَدُنْيَاهُ وَمُتَعَلِّقَاته)[4].

الصناعة :

صَنَعَه يَصْنَعُه صُنْعا، فهو مصنوع: عمله. الصُّنَّاع ماهرٌ في صناعته. إذا كانا حاذقين فيما يصنعانه. واصطنعه: اتخذه. وفلان صَنِيع فلان إذا رباه وأدَّبه وخرَّجه. وقال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١]: قال الشيخ السعدي:(أي أجريت عليك صنائعي ونعمي، وحسن عوائدي، وتربيتي، لتكون لنفسي حبيباً مختصاً، وتبلغ في ذلك مبلغا لا يناله أحد من الخلق، إلا النادر منهم..)[5].

---

(١) المفردات / ٢١٣-٢١٤.

(٢) مقاييس اللغة/ ابن فارس (٤٠٨/٢).

(٣) المفردات/ للراغب ص ١٩٨.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٣/١٢) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص (٥٠٦).

من هذه المعاني لمفهوم التربية في نصوص الوحي نجد أن مفهوم التربية يتضمن ما يلي:

أولاً: التربية تعني العناية بتغذية الصغير، وإشباع حاجاته الفطرية.

ثانيا: التربية تعني حسن التنشئة في مراحل العمر المختلفة حالا فحالا في عبادة الله تعالى.

ثالثا: التربية تعني المهارة والحذق في التأديب والتخريج.

رابعا: التربية تعني المراقبة والرحمة والرعاية والإنفاق والحفاظ على المرَبى والقيام بمصالحه في دينه ودنياه وحسن سياسته وتوجيهه.

خامسا: التربية تعني تطهير النفس بعبادة الله تعالى، بحيث تستحق الأوصاف المحمودة في الدنيا، والأجر في الآخرة.

سادسا: التربية تعني الرفق واللين في الدعوة للاحتراز من جميع الخطايا، والتخلق بالأخلاق الحميدة.

سابعا: التربية تتضمن سرعة الجودة في الخَلق والخُلق.

ثامنا: التربية فعل موجه نحو الإنسان منه ما يكون من فعل الله تعالى وفضله على عبده بما يجريه عليه من أقدار، ويدخل في هذا هداية الإنسان إلى الصراط المستقيم، ومنه ما يكون من فعل البشر الصادر عنهم قصدا من أجل تربية الإنسان وتعليمه وتأديبه وهذا فرع عن الأول.

ومن هنا يمكننا أن نخلص إلى أن تعريف التربية إجرائيا في الكتاب والسنة تعني: المهارة في التنشئة الخَلقية والخُلقية في جميع مراحل حياة الإنسان، وفق الكتاب والسنة بما يضمن بعد توفيق الله تعالى من جودة تخريج الإنسان المستقيم على الإسلام القادر على القيام بتكاليف العبودية المستحق للأوصاف المحمودة في الدنيا،والثواب في الآخرة.

أما معنى الاتباع في القرآن الكريم فقد دلت جميع الآيات التي تقدمت الإشارة إليها على إن المقصود بالاتباع في القرآن الكريم، هو ما ذكره العلماء في تعريف الاتباع اصطلاحا. وهو اتباع أوامر رسول الله ﷺ واجتناب نواهيه.

ب. علاقة التربية بالاتباع :

من خلال التعريف الإجرائي للتربية في ضوء الكتاب والسنة، ومن خلال استعراض دلالات الاتباع في القرآن الكريم، نجد أن العلاقة بين التربية والاتباع علاقة تلازم، إذ لا يمكن أن تكون هناك تربية دون اتباع، أو اتباع دون تربية على معنى الاتباع وحقيقته. **فالتربية مهارة في التنشئة، والاتباع هو المنهج الذي تلتزم به التربية في ممارسة تلك المهارة**؛ بما يضمن تخريج شخصية مستقيمة قادرة على حمل أمانة التكليف،وعمارة الأرض،والوصول إلى الخيرية التي خص الله تعالى بها هذه الأمة.

ج. معنى التربية باتباع الرسول ﷺ:

تعني التربية بالاتباع تنشئة الفرد بقدر استطاعته على طاعة رسول الله ﷺ بالتزام أوامره واجتناب نواهيه.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩] قال الشيخ السعدي:"﴿وَٱتَّبِعۡ﴾ أيها الرسول ﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ علمًا، وعملا وحالا ودعوة إليه، ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ على ذلك، فإن هذا أعلى أنواع الصبر، وإن عاقبته حميدة، فلا تكسل، ولا تضجر، بل دم على ذلك، واثبت"[١].

---

(١) تيسير الكريم المنان : (٣٧٥) .

فالأمر بالصبر دليل على أن هناك جهد يبذله المرء في تطبيق الاتباع ، وضبط النفس حتى تستقيم على أمر الله تعالى.

د. ضوابط التربية باتباع الرسولﷺ في القرآن الكريم:

تعتمد التربية بالاتباع على عدد من الضوابط التي يجب الالتزام حتى يتحقق للإنسان التربية الصحيحة، بما يضمن بعد توفيق الله تعالى، من تخريج جيل صالح قادر على تحمل المسؤولية، وأداء الأمانة، والنهضة بأمته ورقي مجتمعه. وهذه الضوابط مستخلصة من الآيات الكريمة التي وجهت إلى ضرورة اتباع الرسولﷺ، فقال تعالى:

﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦ – ١٥٩].

فتضمنت هذه الآيات ضوابط الاتباع التالية :

أولا: العلم بهﷺ:

الاتباع لا يتحقق إلا في ظل العلم بهذا (الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ)الذي تحدثت عنه الكتب السابقة، ولذا بين ابن عباس في تفسيره لهذه الآية شيئا من سيرتهﷺ فقال: "هُوَ نَبِيُّكُمْ كَانَ أُمِّيًّا لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ وَلَا يَحْسِبُ"(١). ولقد تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات والسور التي تصف أحوال رسول اللهﷺ، وتوضح سيرته، وتكشف حتى خلجات نفسه، وتطلعاته المستقبلية، وتحلل مواقفه، وتعطي دلالات عظيمة لفهم شخصه الكريم عليه الصلاة والسلام، وأهمية معرفة سيرته وفقه معانيها، وذلك حتى يستطيع المسلم تهذيب نفسه، واصلاح أحواله وفق منهج بين واضح. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] قال السعدي وهو يبين فوائد هذه الآية الكريمة: " منها: أن التعليم الفعلي، أبلغ من القولي، خصوصا، إذا اقترن بالقول، فإن ذلك، نور على نور.

ومنها : أن المحبة التي في قلب العبد، لغير زوجته ومملوكته، ومحارمه، إذا لم يقترن بها محذور، لا يأثم عليها العبد، ولو اقترن بذلك أمنيته، أن لو طلقها زوجها، لتزوجها من غير أن يسعى في فرقة بينهما، أو يتسبب بأي سبب كان، لأن الله أخبر أن الرسول ﷺ، أخفى ذلك في نفسه.

ومنها: أن الرسول ﷺ، قد بلغ البلاغ المبين، فلم يدع شيئًا مما أوحي إليه، إلا وبلغه، حتى هذا الأمر، الذي فيه عتابه.

(١) معالم التنزيل (٣/ ٢٨٨).

وهذا يدل، على أنه رسول الله، ولا يقول إلا ما أوحي إليه، ولا يريد تعظيم نفسه."(١)
ومن ذلك ما جاء في سورة الضحى والشرح والمجادلة والتحريم وغيرها من القرآن.

ثانيا: الإيمان به:

إن من أهم ضوابط الاتباع الإيمان بوجوب اتباعه فيما يأمر به وينهى عنه، ومجاهدة النفس على ذلك الاتباع، وتربيتها على ما كان عليهﷺ سواء على مستوى المبادئ والقيم التي يدعوا إليها، أو على مستوى الأعمال التي كان يقوم بها، والأحوال التي كان عليها، أو الالتزام بالتوجيهات التي أمر بها أو نهى عنها. لقوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] قال ابن كثير :"أَيْ: مَهْمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ، وَمَهْمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يَنْهَى عَنْ شَرٍّ."(٢) .

ولما كان ما أمر به أو نهى عنه يدخل في أبواب كثيرة ومنها ما يتعلق بالتربية وإصلاح النفس، دل على وجوب الإيمان باتباعه في ذلك الباب.

ثالثا: الاعتدال والتوسط في اتباعهﷺ:

اتباع الرسولﷺ طريق حق بين طرق متطرفة، فرغم أن اتباعهﷺ فرض على المكلف، إلا أن الاتباع يجب أن يكون وفق ما شرع الله تعالى، وفي ذلك حماية للمتبع من مسلكين خطيرين وهما:

---

(١)تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٦٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٦٧).

الأول: الغلو الاعتقادي: وهو رفع رسول الله ﷺ فوق مقام العبودية، فيقع المتبع في تأليهه وتعظيمه فوق مكانته كبشر، كما وقعت النصارى مع المسيح ابن مريم ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. وعَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ"(١). ولذا فإن القرآن الكريم كثيرا ما يصف رسول الله ﷺ بصفة العبودية، ويذكرها في مقامات التشريف، وفي ذلك دلالة على أن شرف العبد بحسن تحقيق معنى العبادة، وأن علة علو قدر رسول الله ﷺ تحقيقه لكمال العبودية لله تعالى، حتى صارت سيرته المعيار الذي تقاس به صحة العبودية من نقصها أو خللها. قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] ، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١] ، وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

الثاني: الغلو العملي، فيشدد على نفسه تشديدا يخالف هديه ﷺ ، إذ التشدد يخرج الإنسان من الاعتدال والوسط إلى التطرف والغلو والعنت والمشقة في الدين والله تعالى يقول: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ.)(٢) .

---

(١) مسند أحمد (١/ ٢٩٥). وقال شعيب الأرناؤوط: "حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيحين".

(٢) صحيح البخاري : ك(الإيمان)/ ب٢٨: (الدين يسر)/(ح٣٩).

فالواجب على الإنسان موافقة هدي المصطفى ﷺفي عبادته وأخلاقه ومعاملاته وفي شؤونه وأحواله جميعا إلا في حالتين:

الأولى: ما كانت خاصة به وحده لا يشاركه فيها أحد، كالوصال في الصيام، والزواج فوق أربع، وعدم أكل الصدقة، ونحوها مما جاء النص ببيانه.

الثانية: ما كانت من الأفعال الجبلية الطبيعية كالقيام والقعود والنوم ونحوها من الأمور التي تقتضيها الطبيعية قبل الشريعة. فهذه مباحة لا يجب علينا التأسي به.

أما ما دون ذلك مما ورد فيه بيان لرسول اللهﷺ، قولا أو فعلا أو تقريرا فإن الإنسان مكلف باتباعه في ذلك. وذلك كهيئة أداء تلك الأعمال الجبلية مثل الشرب جالسا، والنوم على الشق الأيمن، والنهي عن الأكل بالشمال، وغيرها من الآداب فهي تبقى في دائرة الاتباع. ويتفاوت حكم الاتباع فيها بين الوجوب أو الندب أو الكراهة أو الحرمة أو الإباحة على ما هو مقرر عند الفقهاء.

إلا أنه يجب الحذر مما ابتلي به كثير من المسلمون من التعامل مع سنة المصطفى ﷺعلى أنها من فضائل الأعمال. فهذا أوقع الكثير في التفريط في فرض الاتباع، وضعف تطبيقه كمنهج حياة يجب الاستقامة عليه، والتقيد به. فاستبدلت السنة بالمناهج الفكرية، والنظريات الفلسفية، والآراء التربوية الوضعية. وأصبح الحديث عن الجوانب التربوية في السنة يأتي في الفوائد والطرائف والحواشي، بدل أن يكون في الأصول والمقاصد والمقدمات. وحُصر الاتباع فيما لا يوقع الإنسان في البدعة أو انتهاك محرم أو ترك فرض وتضيع واجب.

ثالثا: التعزير والتوقير:

إن لرسول اللهﷺ مكانة عظيمة عند الله تعالى جعلت الأنبياء من قبله يبشرون به، ويلزم اتباعهم باتباعه عند مبعثه قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ

﴿ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾[الأعراف: ١٥٧] وحتى يتحقق صدق الاتباع، ويؤتي ثماره المرجوة كان لابد من تعزيره وتوقيره كما أمر بذلك ﷻ.فالتعزيز: يعني النصرة. والتوقير: التعظيم الصادر عن الهيبة والإجلال[١].

وقال الطبري:"ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنُّصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال."[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣ ﴾[الفتح: ١- ٣] قال ابن عاشور:"﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ لِأَجْلِكَ لِغُفْرَانِ اللَّهِ لَكَ وَإِتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ، وَهِدَايَتِكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَنَصْرِكَ نَصْرًا عَزِيزًا ..جُعِلَتْ مَغْفِرَةُ الله للنبيء ﷺعِلَّةً لِلْفَتْحِ لِأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ مَا أَرَادَ اللَّهُ حُصُولَهُ بِسَبَبِ الْفَتْحِ، وَلَيْسَتْ لَامُ التَّعْلِيلِ مُقْتَضِيَةً حَصْرَ الْغَرَضِ مِنَ الْفِعْلِ الْمُعَلَّلِ فِي تِلْكَ الْعِلَّةِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَشْيَاءِ تَكُونُ لَهَا أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ فَيُذْكَرُ بَعْضُهَا مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ وَإِذْ قَدْ كَانَ الْفَتْحُ لكرامة النبيء ﷺعَلَى رَبِّهِ تَعَالَى كَانَ مِنْ عِلَّتِهِ أَنْ يغفر الله لنبيه ﷺ مَغْفِرَةً عَامَّةً إِتْمَامًا لِلْكَرَامَةِ فَهَذِهِ مَغْفِرَةٌ خَاصَّة بالنبي ﷺ هِيَ غَيْرُ الْمَغْفِرَةِ الْحَاصِلَةِ لِلْمُجَاهِدِينَ بِسَبَبِ الْجِهَادِ وَالْفَتْحِ.

فَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ عِنْدَ حُصُولِ هَذَا الْفَتْحِ غُفْرَانَ جَمِيعِ مَا قَدْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ عَلَى مَثْلِهِ رُسُلَهُ حَتَّى لَا يبْقى لرَسُوله ﷺمَا يَقْصُرُ بِهِ عَنْ بُلُوغِ نِهَايَةِ الْفَضْلِ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين/ابن القيم (ص: ٢٩٢).

(٢) جامع البيان (٢٢/٢٠٨).

فَجَعَلَ هَذِهِ الْمَغْفِرَةَ جَزَاءً لَهُ عَلَى إِتْمَامِ أَعْمَالِهِ الَّتِي أُرْسِلَ لِأَجْلِهَا مِنَ التَّبْلِيغِ وَالْجِهَادِ وَالنَصَبِ وَالرَّغْبَةِ إِلَى اللَّهِ. فَلَمَّا كَانَ الْفَتْحُ حَاصِلًا بِسَعْيِهِ وَتَسَبُّبِهِ بِتَيْسِيرِ اللَّهِ لَهُ ذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ جَزَاءَهُ غُفْرَانَ ذُنُوبِهِ بِعِظَمِ أَثَرِ ذَلِكَ الْفَتْحِ بِإِزَاحَةِ الشِّرْكِ وَعُلُوِّ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْمِيلِ النُّفُوسِ وَتَزْكِيَتِهَا بِالْإِيمَانِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ حَتَّى يَنْتَشِرَ الْخَيْرُ بِانْتِشَارِ الدِّينِ وَيَصِيرُ الصَّلَاحُ خُلُقًا لِلنَّاسِ يَقْتَدِي فِيهِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ."(١)

وقد تمسك صحابة رسول الله ﷺ بهذا الأمر الإلهي فكانوا في غاية التعظيم له والنصرة والإجلال والتقدير، مما جعل شعارهم "السمع والطاعة" كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]

رابعا: التأسي والطاعة وعدم المخالفة:

من ضوابط الاتباع التأسي به ﷺ كما أمر بذلك ﷻ فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] قال ابن كثير: "هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي التَّأَسِّي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ؛ وَلِهَذَا أُمِرَ النَّاسُ بِالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، فِي صَبْرِهِ وَمُصَابَرَتِهِ وَمُرَابَطَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ وَانْتِظَارِهِ الْفَرَجَ مِنْ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى لِلَّذِينِ تَقَلَّقُوا وَتَضْجَّرُوا وَتَزَلْزَلُوا وَاضْطَرَبُوا فِي أَمْرِهِمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أَيْ: هَلَّا اقْتَدَيْتُمْ بِهِ

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٤٧).

وَتَأَسَّيْتُمْ بِشَمَائِلِهِ؟ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾"[1].

ولذا أو جب ﷻ طاعته وحذر من مخالفة أمره فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣، ٦٤] قال السعدي:"أي : يذهبون إلى بعض شئونهم عن أمر الله ورسوله، فكيف بمن لم يذهب إلى شأن من شئونه؟ " وإنما ترك أمر الله من دون شغل له"[2]

خامسا: محبة رسول الله ﷺ:

ويقصد به المحبة الشرعية وهي من أعظم الواجبات وأجل القربات. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ."[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٩١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٧٧).

(٣) مسند أحمد (٢٠/ ٢٠٢).قال شعيب الأرنؤوط :"إسناده صحيح على شرط الشيخين".

وعنه رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُوقَدَ لَهُ نَارٌ فَيُقْذَفَ فِيهَا." (١)

فالمحبة ضابط للاتباع لأن المحبة تقتضي الموافقة للمحبوب فيما يحب وما يبغض. وذلك شامل للأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. وعلى قدر عظم المحبة في القلب تعظم المتابعة والنصرة والتبجيل والتوقير والعمل بالسنة والحرص على القيام بها.ولقد بلغ الصحابة مبلغا عظيما في محبتهم لرسول الله ﷺ، مما جعلهم يضحون بأنفسهم وأموالهم وديارهم محبة ونصرة وتعظيما له. يقول عمرو بن العاص واصفا حبه لرسول الله ﷺ: "وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ."(٢) وجاء في وصف حال صحابة رسول الله ﷺ يوم الحديبية:" ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا،"(٣)ولذا فإن صحابة رسول الله ﷺ لما حققوا كمال محبته، حَسُنَ اتباعهم لسنته، فانتفعوا بالقرآن العظيم، فكان لهم نوراً وشفاء وهداية

---

(١) صحيح البخاري ك٢: (الإيمان) / ب٨:(حلاوة الإيمان)(ح١٦).

(٢) صحيح مسلم ك١: (الإيمان)،/ب:٥٤(كون الإسلام يهدم ما قبله)(ح١٢١)

(٣) صحيح البخاري ك٥٨: (الشروط) /ب١٥: (الشروط في الجهاد)(ح٢٥٨٢).

ومنهج حياة. حتى وصفهم تعالى بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

المطلب الثالث: آثار التربية باتباع الرسولﷺ:

للتربية باتباع الرسولﷺ آثار عظيمة في صلاح أحوال الإنسان، وتهذيب سلوكه، واستقامة شأنه قال ابن قدامة: "وفي اتباع السنة بركة موافقة الشرع، ورضى الرب سبحانه وتعالى ورفع الدرجات، وراحة القلب، ودعة البدن، وترغيم الشيطان، وسلوك الصراط المستقيم."(١) ومن تلك الآثار ما يلي:

الآثار الإيمانية:

والتي من أعظمها حصول محبة الله تعالى لعبده قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [عمران: ٣١] فإذا أحب الله عبده وفقه لكل خير كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا،

---

(١) ذم الموسوسين (٤١).

وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المؤْمِنِ، يَكْرَهُ الموْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ."(١). قال ابن حجر:" وَالْمَعْنَى تَوْفِيقُ اللَّهِ لِعَبْدِهِ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي يُبَاشِرُهَا بِهَذِهِ الْأَعْضَاءِ وَتَيْسِيرُ الْمَحَبَّةِ لَهُ فِيهَا بِأَنْ يَحْفَظَ جَوَارِحَهُ عَلَيْهِ وَيَعْصِمَهُ عَنْ مُوَاقَعَةِ مَا يَكْرَهُ اللَّهُ مِنَ الْإِصْغَاءِ إِلَى اللَّهْوِ بِسَمْعِهِ، وَمِنَ النَّظَرِ إِلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ بِبَصَرِهِ، وَمِنَ الْبَطْشِ فِيمَا لَا يَحِلُّ لَهُ بِيَدِهِ، وَمِنَ السَّعْيِ إِلَى الْبَاطِلِ بِرِجْلِهِ"(٢) .

فهذه الآثار الإيمانية التي يكتسبها العبد بسبب تحقيق الاتباع، كفيلة بتربية الفرد وتنمية ذاته تربية تجعل منه مواطناً صالحاً، وفرداً قادراً على استثمار طاقاته وامكانيته وتوجيهها نحو الطريق الذي يعود بالخير والنماء والتقدم لنفسه ومجتمعه. إذ إن التربية الإيمانية تذكي في النفس الشعور بالمسؤولية، وترسخ لدى الفرد قيم الحق والخير والعدل، فتجعله يسعى في الأرض لنشر الخير والعمل به، وفق رؤية صحيحة وبصيرة من أمره. كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

قال الشيخ السعدي:" ﴿ قُلْ ﴾ للناس ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ ﴾ أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أحثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغّبهم في ذلك وأرهّبهم مما يبعدهم عنه.

---

(١)صحيح البخاري (ح٦٥٠٢).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٤٤).

ومع هذا فأنا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية. ﴿وَ﴾ كذلك ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله."[1]

الآثار العقلية:

ينمو العقل ويتغذى بالعلم النافع. ولما كان الإنسان مكرما بالعقل، كان خطاب الله تعالى للناس بالقرآن المنزل الموصوف بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨ – ٥١]، ولذا كانت مهمة الرسول ﷺ التعلم والتعليم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].ومنذ بداية نبوة المصطفى ﷺ انطلق من هذا الأصل العظيم. فأول آية نزلت عليه أُمر فيها بالتعلم. وكان الوحي ينزل عليه ليعلمه أمر الدين، ويبلغه آيات الله تعالى، ويأمره باتباع الآيات وحسن الانصات إليها، وكان عليه الصلاة والسلام

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠٦)

يعالج من التنزيل ما يعالج فلم يزده ذلك إلا صبراً على تلقي العلم، وحرصاً على حفظه، وطلب الزيادة منه، وحبا ورغبة في كثرة نزول الوحي عليه فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»، فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [مريم: ٦٤][1] وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)﴾ [القيامة: ١٦ – ١٩]. قال ابن كثير: " أَيْ: فَاسْتَمِعْ لَهُ، ثُمَّ اقْرَأْهُ كَمَا أَقْرَأَكَ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أَيْ: بَعْدَ حِفْظِهِ وَتِلَاوَتِهِ نُبَيِّنُهُ لَكَ وَنُوَضِّحُهُ، وَنُلْهِمُكَ مَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَدْنَا وَشَرَعْنَا."[2].

وقد امتن الله تعالى على نبيه بأنه تولى تعليمه وتفهيمه فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. وقد امتد هذا المنهج في الحرص على التعلم والتعليم إلى اتباع الأنبياء، فكان أكثرهم تبعاً هو من كان أكثر الناس علما به وبدينه وبسيرته وهم العلماء ورثة الأنبياء. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] قال الطبري: " يعني: ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله، وقد آتاه الله ما آتاه من

(١)صحيح البخاري (ح٤٧٣١).

(٢)تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٧٨).

الكتاب والحكم والنبوة. ولكن إذا آتاه الله ذلك، فإنما يدعوهم إلى العلم بالله، ويحدوهم على معرفة شرائع دينه، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه، وأئمةً في طاعته وعبادته، بكونهم معلِّمي الناس الكتاب، وبكونهم دَارِسيه."(١). ولذا وصف الله ﷻ العلماء بأنهم أهل النهى وأهل الشهادة وأهل العقل وأهل البصيرة وأهل التذكر والاتعاظ والوعي والإدراك. أما من أعرض عن اتباع الأنبياء فهم الجاهلون، والضالون، والسفهاء، والغافلون، واشباه الأنعام، وهم أهل التقليد والعمى والزيغ والغي وبلادة التفكير. كما قال تعالى: ﴿...فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٨].

إن الأثر العقلي الذي يحدثه اتباع الرسولﷺ يزيد العقل الإنسان إبداعا وذكاء ويقظة، إذ إن الاتباع يقوم على العلم والبينة والفهم لما يراد العمل به أو الكف عنه. وليس اتباعا يقود إلى التخلف والرجعية والتبعية الفكرية بدون دليل ولا حجة كما هو حال المشركين الذين أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا

---

(١) جامع البيان (٦/ ٥٣٨).

يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠، ١٧١] قال الطبري:" قال الله تعالى ذكره: "أوَ لو كانَ آباؤهم" -يعني: آباء هؤلاء الكفار الذين مضوا على كفرهم بالله العظيم-"لا يعقلون شيئًا" من دين الله وفرائضه، وأمره ونهيه، فيُتَّبعون على ما سَلكوا من الطريق، ويؤتمُّ بهم في أفعالهم -"ولا يَهتدون" لرشد، فيهتدي بهم غيرهم، ويَقتدي بهم من طَلب الدين، وأراد الحق والصواب؟ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار: فكيف أيها الناس تَتَّبعون ما وجدتم عليه آباءكم فتتركون ما يأمرُكم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئًا، ولا هم مصيبون حقًّا، ولا مدركون رشدًا؟ وإنما يَتّبع المتبعُ ذا المعرفة بالشيء المستعملَ له في نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه -فيما هو به جاهل- إلا من لا عقل له ولا تمييز."(١).

ولقد أحدثت التربية على الاتباع لدى الرعيل الأول ومن سار على خطاهم؛ نهضة عقلية وفكرية عظيمة، استطاعت _بعد توفيق الله تعالى_ أن تبني حضارة فريدة في التاريخ، امتدت نهضتها إلى جميع الأمم قاطبة فأخرجتها من الظلمات إلى النور، ومن التخلف إلى التقدم والنهضة.

الآثار النفسية:

إن من مهمة الرسولﷺ تزكية النفس وتطهيرها وتهذيبها قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ

(١) جامع البيان / (٣/ ٣٠٧).

﴿أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] قال السعدي :" ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بالتربية على الأعمال الصالحة والتبري من الأعمال الردية، التي لا تزكي النفوس معها"(١).

فالاتباع ليس سلوك ظاهري يأتي به المرء ولا علاقة له بشعور المرء، أو أفكاره وأخلاق قلبه. بل الاتباع يقتضي اتباع ما جاء عنهﷺ فيما يتعلق بأخلاق النفس، ونوايا القلب ومقاصده وما يعتريه من مشاعر وأحاسيس وأفكار. فيعمد المرء إلى مراقبتها وإصلاحها وتقويمها لأنها العمدة في صلاح الظاهر واستقامته كما قالﷺ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" وقولهﷺ: " أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"(٢). ولذا تضمنت أوامره ونواهيه عليه الصلاة والسلام توجيهات عظيمة تتعلق بإصلاح النفس وسبل تنميتها؛ ومن ذلك ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، فَلْيُحِبَّ الْعَبْدَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " (٣).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" لَا طِيَرَةَ. وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ. قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ."(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ مِنَ النَّاسِ النَّارَ الْأَجْوَفَانِ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْأَجْوَفَانِ؟ قَالَ:"الْفَرْجُ وَالْفَمُ"، قَالَ: "أَتَدْرُونَ أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ"(٥).

---

(١) تيسير الكريم المنان (٦٦/١).

(٢) صحيح البخاري ك (الإيمان)/ ب (فضل من استبرأ لدينه)/ ح (٥٢).

(٣) مسند أحمد (٤٣١/١٦) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٤) صحيح البخاري/ ك:(الطب)/ب(الطيرة)/ ح٥٧٥٥.

(٥) مسند أحمد (٤٣٥/١٥) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

الآثار السلوكية :

من أهم آثار اتباع الرسولﷺ أن يرتقي الإنسان في سلوكه وعاداته وأخلاقه، فلا يصدر عنه إن إلا كل جميل، ولا يرى منه ما يشين .قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤] قال الطبري: "قد جاءتكم حجة من الله تبرهن لكم بُطُولَ ما أنتم عليه مقيمون من أديانكم ومللكم، وهو محمد ﷺ، الذي جعله الله عليكم حجة قطع بها"[١]. وقال السعدي: " وفي قوله: "﴿مِن رَّبِّكُمۡ﴾ ما يدل على شرف هذا البرهان وعظمته، حيث كان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي يحمد عليها ويشكر، أن أوصل إليكم البينات، ليهديكم بها إلى الصراط المستقيم، والوصول إلى جنات النعيم."[٢].

الآثار الحضارية :

إن اتباع الرسولﷺ ذو أثر على رقي الأمة، ونهضتها، وعودتها إلى مقام السيادة والقيادة للأمم الأخرى بما لديها من قيم حضارية عظيمة جعلتها كما قال تعالى عنها: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولذا كان مبعثه عليه الصلاة والسلام منة على المؤمنين، إذ خرجوا به من الظلمات إلى النور، ومن التخلف

---

(١) جامع البيان (٩/ ٤٢٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/٢١٧).

الحضاري والقيمي، إلى الريادة الحضارية فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ووصف الله تعالى الاستجابة للرسولﷺبالحياة فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥] عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: "﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أَيْ: لِلْحَرْبِ الَّتِي أَعَزَّكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا بَعْدَ الذُّلِّ، وَقَوَّاكُمْ بِهَا بَعْدَ الضَّعْفِ، وَمَنَعَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ بَعْدَ الْقَهْرِ مِنْهُمْ لَكُمْ."(١). وقال ابن عاشور:" وَهُوَ إِعْطَاءُ الْإِنْسَانِ مَا بِهِ كَمَالُ الْإِنْسَانِ، فَيَعُمُّ كُلَّ مَا بِهِ ذَلِكَ الْكَمَالُ مِنْ إِنَارَةِ الْعُقُولِ بِالِاعْتِقَادِ الصَّحِيحِ وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَالدَّلَالَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَإِصْلَاحِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَمَا يَتَقَوَّمُ بِهِ ذَلِكَ مِنَ الْخِلَالِ الشَّرِيفَةِ الْعَظِيمَةِ، فَالشَّجَاعَةُ حَيَاةٌ لِلنَّفْسِ، وَالِاسْتِقْلَالُ حَيَاةٌ، وَالْحُرِّيَّةُ حَيَاةٌ، وَاسْتِقَامَةُ أَحْوَالِ الْعَيْشِ حَيَاةٌ."(٢)

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٥).

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٣١٣).

الخاتمـــــــــــــة

اتباع الرسولﷺ هو المنهج الذي ينبغي أن يلتزم به التربوي المسلم، فهو فرض شرعي، ومسلك تربوي يعلو ولا يعلى عليه من التزمه هدي، ومن استقام عليه وفق للخير، ومن تمسك به نجى من الانحرافات السلوكية، والتناقضات الفكرية، والأزمات النفسية، والصراعات والمشكلات الاجتماعية. وقد توصلت من خلال هذه الورقة لعدد من النتائج والتوصيات التالية:

١. إن الاتباع في القرآن الكريم يعني طاعة رسول اللهﷺ باتباع أوامره واجتناب نواهيه. وهو المعنى الذي ذهب إليه العلماء في تعريف الاتباع.

٢. إن التربية بالاتباع تعني: تنشئة الفرد بقدر استطاعته على ما كان عليه الرسولﷺ في أحواله الظاهرة والباطنة، بما يحقق له الاستقامة والصلاح في جميع حياته.

٣. التربية بالقرآن الكريم علم يستمد مقاصده وأسسه ومناهجه وأهدافه ووسائله وغاياته من القرآن الكريم.

٤. إن اتباع الرسولﷺ يتضمن اقتفاء أثره في أموره كلها، وعدم مخالفته أو التقدم عليه أو على أمره وملازمة طاعته وموالاته ونصرته وتوقيره وتعظيم شأنه وخدمته في حياته وبعد موته من خلال خدمة سنته والذب عنها والتمسك بها وذلك بإتقان وإحكام بما يعقبه من استقامة وهداية في حال التابع.

٥. إن الاتباع هو المنهج الذي يجب أن يسلكه التربويون في أنشطتهم وبرامجهم التربوية.

٦. إن تدني مخرجات التعليم في كثير من المجتمعات الإسلامية سببه ضعف تطبيق منهج الاتباع في التربية والتعليم.

٧. إن اتباع الرسولﷺ منهج يحرر العقل من أمراض التقليد والتبعية الفكرية ، ويعزز قيم التفكير والإبداع والإنتاج.

٨. إن اتباع الرسولﷺ منهج يضمن سلامة المخرج التربوي، ويعطي معايير دقيقة في القياس والتقويم لتلك المخرجات.

٩. إن الالتزام بمنهج التربية بالاتباع هو السبيل لنهضة الأمة، وعودة سيادتها، إذ إن الاتباع منهج ملزم لجميع أطياف المجتمع وشرائحهم.

١٠. إن الاتباع للرسول ﷺ هو المنهج الذي يحقق الاستقامة والصلاح في أعلى صوره ، ويحمي المجتمع من ظواهر التطرف الفكري والسلوكي الناشئة عن عدم الاتباع.

١١. إن الاتباع منهج شرعي يجب أن يلتزم المسلم فيه بمقاصد الشريعة وغاياتها، ويحذر من التأويل والتحريف واتباع الهوى.

١٢. إن قوة صلة المسلم بنبيه ﷺكقوة صلته بكتاب ربه، فكما أنه ملزم بالمحافظة على تلاوة القرآن وعدم هجره، فكذلك سنتهﷺ لابد من المداومة على تعلمها وتدارسها ونشرها والعمل بها.

التوصيات :

١. أن يعتني المتخصصون في التربية الإسلامية بدراسة منهج الاتباع كمنهج إسلامي فريد له أسسه وقواعده وأهدافه وغايته ومعاييره الخاصة به.

٢. أن تعزز قيمة الاتباع في نفوس الناشئة كقيمة عليا يجب الحرص عليها وتمثلها في جميع مواقف الحياة المختلفة.

٣. أن تعنى مؤسسات التربية والتعليم بتأصيل منهاج التربية والتعليم وفق منهج الاتباع.

٤. أن تمتد إسهامات وزارة التربية والتعليم، والكليات التربوية إلى المجتمع من خلال تثقيف المجتمع وتدريبيهم على فنيات التربية بالاتباع.

٥. أن يعنى طلبة العلم المتخصصين في كتابة السيرة بإبراز منهج الاتباع من خلال كتابتهم في سيرة المصطفىﷺ.

٦. أن تتولى جمعية تبيان إعداد برامج متنوعة خاصة بتفسير القرآن بالسنة ومظاهر تفسير النبيﷺ للقرآن الكريم.

٧. أن يتم تطوير هذا البحث إلى كتاب يصدر من ضمن أعمال جمعية تبيان، ويدخل فيه مباحث مهمة تكمل صورته، ومن أهمها مبحث أساليب القرآن في التربية بالاتباع.

هذا والله أعلم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الأصول الثلاثة، الشيخ محمد بن عبد الوهاب،تحقيق ناصر بن عبد الله الطريم، سعود بن محمد البشر، عبد الكريم بن محمد اللاحم، مطابع الرياض، الرياض.

٢. أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، الرياض.

٣. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط الثانية، ١٤٢٢هـ.

٤. بصائر ذوي التميز، الفيروزأبادي،تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر –تونس، ١٩٨٤هـ.

٦. التفسير من سنن سعيد بن منصور / أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ) /دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ .

٧. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة:الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٨. تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)/تحقيق مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان/ دار ومكتبة الهلال ، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ.

٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١٠. جامع الرسائل ، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق د. محمد رشاد سالم دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠م.

١٢. ذم الموسوسين، موفق الدين ابن قدامة المقدسي(٦٣٩هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، الناشر: الفاروق للطباعة والنشر ومكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

١٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت.

١٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

١٧.الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ.
١٨.لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء، التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
١٩.معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ،١٩٩١م.
٢٠.مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢١.معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية -سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

البيان النبوي
في خطاب الصحابة بالقرآن الكريم

إعداد

د. يوسف بن عبدالله العليوي

صفر ١٤٣٦هـ

ملخص البحث

يتناول البحث نوعًا من أنواع البيان النبوي في خطاب الصحابة ﵃، وهو: الخطاب بالقرآن الكريم؛ فقد كان من أساليب النبي ﷺ في تربية أصحابه وتزكية نفوسهم وتعليمهم أن يتلو عليهم القرآن ويخاطبهم به، حسب المقامات والأغراض التي تقتضي من البيان النبوي أن يتخير الآيات المناسبة ليخاطبهم بها، ويربيهم على هديها.

وجاء في ثلاثة مباحث: المبحث الأول: أنواع الخطاب النبوي بالقرآن، والمبحث الثاني:بنية الخطاب النبوي بالقرآن، والمبحث الثالث: أغراض الخطاب النبوي بالقرآن.

وكانت عينة البحث من ثلاثة وعشرين حديثًا مما ورد في صحيحي البخاري ومسلم.

ومن نتائجه ما يأتي :

١- يعد خطاب النبي ﷺ بالقرآن الكريم ظاهرًا في البيان النبوي سواء مع أصحابه ﵃ أم مع غيرهم.

٢- تنوع الخطاب النبوي بالقرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع: الأول: الخطاب بنص القرآن سواء كان الخطاب كله قائمًا على النص القرآني، أم كان النص جزءًا من الخطاب. والثاني: الاقتباس من القرآن. الثالث: الإشارة إلى القرآن.

٣- تنوعت أجناس القول التي جاء الخطاب بالقرآن في إطارها، ومن هذه الأجناس: الخطبة، والوصية، والحوار، والفتوى، والقصة.

٤- ظهر في البنية التركيبية للخطاب عدة صور وأساليب بلاغية، منها: حسن الابتداء، وحسن الختام، والتكرار، والاستفهام، والإيجاز، والتعريض. وربما مهّد النبي ﷺ للخطاب، وربما عقّب عليه، بحسب ما يقتضيه المقام.

٥- يحقق الخطاب بالقرآن الكريم أغراضًا ووظائف تربوية في تعميق الإيمان وتهذيب السلوك وتوجيه المخاطبين نحو الطريق المستقيم، وتتنوع تلك الأغراض حسب المقامات التي وردت فيها، ومن الأغراض: الترغيب، والترهيب، والعتاب والإنكار، وتأنيس المخاطب والتلطف معه، والتأكيد والتقرير.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله. إن أحسن الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ. أما بعد،

فإن من منن الله على هذه الأمة أن أنزل القرآن العظيم ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾، وبعث فيهم رسوله الكريم محمدًا عليه أتم الصلاة والتسليم ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾؛ فما كان منه ﷺ إلا أن حمل أصحابه على هدي القرآن، فزكّى الله به قلوبهم، وأصلح به أقوالهم وأعمالهم، وهداهم إلى الصراط المستقيم، فكانت تزكيته لهم خير تزكية وتربيته لهم خير تربية.

وإن العمق التربوي الذي أحدثه القرآن الكريم في الصحابة ﷺ وغرسه فيهم رسول الله ﷺ كان أعظم العوامل التي جعلتهم جيلاً قرآنيًا فريدًا، لم تنجب البشرية جيلاً مثله ولن تنجب.

إن البشر مهما كانوا ومهما بلغ كلامهم من حسن البيان فإنه لا يكون له من التأثير في النفوس والسلوك مثلما هو لآيات القرآن العظيم، وهذا سر من أسرار إعجازه؛ فإن صنيعه بالقلوب عَجَب عُجَاب، وقد عُدّ وجهًا من وجوه إعجازه كما قال الخطابي (٣٨٨هـ): ((قلت في إعجاز القرآن وجهًا آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك

لا تسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولا منثورًا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه. تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها... ومصداق ما وصفناه في أمر القرآن في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وفي قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، في آي ذوات عدد منه، وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد، ومن عظيم آياته ودلائل معجزاته))[(١)].

ولذا كان من أساليب النبي ﷺ في تربية أصحابه وتزكية نفوسهم وتعليمهم أن يتلو عليهم القرآن ويخاطبهم به، حسب المقامات والأغراض التي تقتضي من البيان النبوي أن يتخير الآيات المناسبة أن يخاطبهم بها، ويربيهم على هديها.

---

(١) بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٧٠-٧١.

وخطاب النبي ﷺ لأصحابه بالقرآن الكريم ظاهر في بيانه في أحاديث كثيرة، لكنني لم أره مطروقًا من قبل في الدراسات البلاغية أو التربوية.

وأردت في هذا البحث أن أكشف عن هذا النوع من البيان النبوي في الخطاب وأغراضه وأساليبه البليغة.

وجاء في ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول: أنواع الخطاب النبوي بالقرآن، وفي المبحث الثاني: بنية الخطاب النبوي بالقرآن، وفي المبحث الثالث: أغراض الخطاب النبوي بالقرآن.

وكانت عينة البحث من ثلاثة وعشرين حديثًا مما ورد في صحيحي البخاري ومسلم، واكتفيت في العزو إليهما برقم الحديث فيهما، وإذا استدعى الأمر تكرار الحديث لم أخرجه مرة أخرى بناء على ذكره أولاً.

ولعل هذا البحث يسهم في العودة إلى المنبع الأول –القرآن الكريم– في التربية والإصلاح؛ فإنه لا صلاح إلا بالقرآن، ولا تربية إلا على منهاجه، وقد قال الله جل جلاله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨]. وإذا كان خير القرون قد كفاهم الوحي، فهو لغيرهم كفاية، وقد قال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ورحم الله ابن

باديس (١٣٥٩هـ) الذي قال: ((القرآن الذي كَوَّن رجال السلف لا يكثر عليه أن يُكَوِّن رجالاً في الخلف، لو أُحسن فهمه وتدبره، وحملت الأنفس على منهاجه))[١].

إن الخطاب الدعوي والتربوي خطاب قرآني، يتلو القرآن، ويستشهد به، ويقتبس منه، ((ولقد تقوم الآية الواحدة المستشهد بها في بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة))[٢]. وقد استحب بعض العلماء تلاوة آية على الأقل في خطبة الجمعة، وأوجبها بعضهم[٣]، وعِيب على الخطبة خلوها من آي القرآن الكريم، وذكر الجاحظ (٢٥٥هـ) أن خطباء السلف وأهل البيان يسمون الخطبة التي لم توشح بالقرآن: الشوهاء، وأورد عن عمران بن حِطّان الخارجي أنه قال: خطبت عند زياد بن أبيه خطبة ظننت أني لم أقصر فيها عن غاية، ولم أدع لطاعن علة، فمررت ببعض المجالس، فسمعت شيخًا يقول: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن[٤]، وقال اختيار الدين الحسيني (٩٢٨هـ): ((من لم يُدخِل في سواد إنشائه وإنشاده المنظوم والمنثور من الاقتباسات الفرقانية نورًا فماله من نور))[٥].

نسأل الله ﷻ أن يهدينا بالقرآن العظيم وبهدي سيد المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) آثار ابن باديس: ١٤٢/٢. وينظر: التجربة الدعوية للشيخ عبدالحميد بن باديس: ١٨١-١٨٢.

(٢) حسن التوسل: ٧٦.

(٣) ينظر: المجموع: ٣٨٩/٤، والمغني: ١٧٤/٣-١٧٦.

(٤) البيان والتبيين، للجاحظ: ٦/٢.

(٥) أساس الاقتباس، للحسيني: ٣.

المبحث الأول: أنواع الخطاب بالقرآن

جاء خطاب النبي ﷺ لأصحابه ﷺ بالقرآن على أنواع ثلاثة:

الأول: الخطاب بنص القرآن.

وهذا النوع من الخطاب جاءت عليه كثير من الأحاديث، وهو على نمطين:

أ- أن يكون الخطاب كله قائمًا على نص القرآن، فيكتفي النبي ﷺ به عن أي كلام آخر معه.

ومن ذلك حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا فاقض فيّ ما شئت... قال: فلم يرد النبي ﷺ شيئًا، فقام الرجل فانطلق، فأتبعه النبي ﷺ رجلاً دعاه، وتلا عليه هذه الآية: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤]. فقال رجل من القوم: يا نبي الله هذا له خاصة ؟ قال : « بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً »[1].

ومن ذلك حديث معقل بن يسار رضي الله عنه حينما عضل أخته، فأنزل الله جل جلاله: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ ﴾إلى آخر الآية [البقرة:٢٣٢]، فدعاه رسول الله ﷺ فقرأ عليه[2].

ب- أن يكون القرآن جزءًا من الخطاب.

---

(١) أخرجه البخاري: (٥٢٦)، ومسلم: (٢٧٦٣) وهذا لفظه.

(٢) أخرجه البخاري: (٥٣٣١) .

وهو الغالب في الخطاب بالقرآن، ومن ذلك خطبته ﷺ حينما رأى الفاقة في قوم من مضر، فحمد الله وأثنى عليه، وقرأ قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ الآية [النساء:١]، وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨]، ثم حثّ على التصدق[١].

ومنه حديث عائشة رضي الله عنها في سؤال أزواج النبي ﷺ النفقة، فاعتزلهن شهرًا، ثم أنزل الله ﷻ آيتي الأحزاب لتخيير أزواج النبي ﷺ بين بقائهن مع رسول الله ﷺ أو تسريحهن، قالت عائشة: لما أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بِي، فقال: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»... ثم قال: «إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ إلى: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٨-٢٩]». فقلت: ففي أيّ هذا أستأمر أبَوَيّ ! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت[٢].

الثاني: الاقتباس من القرآن .

الاقتباس فن بلاغي معدود في أساليب علم البديع، ويعرف بأنه: تضمين الكلام شيئًا من لفظ القرآن أو الحديث، لا على أنه منه[٣]. وقول البلاغيين: ((لا على أنه منه)) يفيد أن المتكلم قد اقتبس لفظ القرآن أو الحديث ثم أدمجه في كلامه، ليعد بعد

---

(١) أخرجه مسلم: (١٠١٧).

(٢) أخرجه البخاري: (٤٥٠٨)، ومسلم: (١٤٧٥).

(٣) ينظر: الإيضاح وشروح التلخيص: ٥٠٩/٤-٥١٠.

ذلك من كلام المتكلم، لا من كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، ولهذا يصح أن يغير المتكلم في الكلام المقتبَس بزيادة أو نقصان تغييرًا يسيرًا لا يخرجه عن الاقتباس، وأن ينقله عن معناه الأصلي إلى معنى آخر(١).

والاقتباس من القرآن والحديث يؤكد الكلام، ويكسبه رونقًا عظيمًا، ويؤثر في النفوس تأثيرًا بليغًا، كيف لا، وهما قد بلغا في فصاحة الألفاظ وشريف المعاني وحسن التأثير شأنًا عظيمًا.

والاقتباس يقع بالجملة أو أكثر من ألفاظ القرآن أو الحديث. وذكر بعض العلماء أن الاقتباس يكون بالكلمة المفردة(٢). ولو كان ذلك على إطلاقه لصار كثير من كلام الناس اقتباسًا(٣)، ولكن يصح أن يقع بما دون الجملة فيما يتميز أنه من لفظ القرآن الكريم أو الحديث الشريف، ولا تذهب النفس مع ذكره إلا إلى موضعه منهما، ولا أظن أولئك العلماء يقصدون إلا هذا، والله أعلم.

واقتباس النبي ﷺ من القرآن ظاهر في كلامه، ويشير إليه شراح الحديث أحيانًا، قال الثعالبي (٤٢٩هـ): ((هذا النبي ﷺ -هو أفصح العرب لَهجة، وأعذبهم عَذْبة، وأحسنهم إفصاحًا وبيانًا، وأرجحهم في الحكمة البالغة ميزانًا- قد اقتبس من معاني القرآن وألفاظه في الكثير من كلامه، والجمّ الغفير من مقاله))(٤).

ومن الاقتباس من القرآن قول النبي ﷺ في غزوة خيبر: «اللهُ أَكْبَرُ. خَرِبَتْ خَيْبَرُ. إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»(٥)، وفي هذا الحديث اقتباس من قول

---

(١) ينظر: المرجع السابق، والاقتباس، للعسكر: ٢٨-٣٣.

(٢) ينظر: الاقتباس، للعسكر: ٢٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق.

(٤) الاقتباس من القرآن الكريم، للثعالبي: ٢٤.

(٥) أخرجه البخاري: (٣٧١)، ومسلم: (١٣٦٥).

الله ﷻ في سورة الصافات وهي مكية: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧].

وفي مقامات التربية جاء من الاقتباسات ما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ» الحديث[١]، قال ابن حجر (٨٥٢هـ): ((هو موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]))[٢].

ومن الاقتباس ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ شبابًا لا نجد شيئًا، فقال لنا رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَن اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ» الحديث[٣]، وقوله: «أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ» موافق لقوله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

ومنه حديث أبي هريرة في تفسير اليهود التوراة للمسلمين: «لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [البقرة:١٣٦]»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٣٥٣، ٤٦٨٩)، ومسلم: (٢٣٧٨).

(٢) فتح الباري، لابن حجر: ٤١٤/٦.

(٣) أخرجه البخاري: (١٩٠٥ و٥٠٦٦) ، ومسلم: (١٤٠٠). والباءة: النكاح والتزوج، والمقصود القدرة على مؤنة النكاح، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٦٠/١، وشرح صحيح مسلم: ١٧٣/٩.

(٤) أخرجه البخاري: (٤٤٨٥، ٧٣٦٢، ٧٥٤٢).

ومنه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لاَ يَنْفَعُهُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»(١).

ومن الاقتباس الظاهر ما ورد في قصة موسى والخضر(٢)، ويكاد تكون كلها اقتباسًا.

الثالث: الإشارة إلى القرآن.

وفي هذا النوع لا يذكر النبي ﷺ لفظ القرآن، ولكن يشير إليه، ويُذكّر به.

ومن ذلك قوله ﷺ لعائشة وحفصة حينما راجعتاه في إمامة أبي بكر رضي الله عنه للصلاة أثناء مرضه الذي توفي فيه: «مَهْ. إِنَّكُنَّ لانْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ. مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ»(٣).

وهو يشير إلى قصة امرأة العزيز مع النسوة في قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ

(١) أخرجه مسلم: (٢١٤).

(٢) أخرجه البخاري: (١٢٢، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٧)، ومسلم: (٢٣٨٠).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٦٤، ٦٧٩، ٧١٢)، ومسلم: (٤١٨).

عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٠-٣٢].

ومن ذلك حديث عثمان بن عفّان ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ عند انصرافنا من صلاتنا هذه (قال مسعر: أراها العصر) فقال: «مَا أَدْرِي، أُحَدِّثُكُمْ بِشَيْءٍ أَوْ أَسْكُتُ؟» فقلنا: يا رسول الله، إن كان خيرًا فحدثنا، وإن كان غير ذلك فالله ورسوله أعلم. قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ فَيُتِمُّ الطُّهُورَ الَّذِى كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ، فَيُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهَا»[١].

وهو يشير في قوله: «الطُّهُورَ الَّذِى كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ» إلى قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ الآية [المائدة:٦].

ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا، يا رسول الله؟ قال: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟» قلن" بلى. قال: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا. أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟» قلن: بلى. قال: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم: (٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري: (٣٠٤) ، ومسلم: (٨٠).

يشير بقوله: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟» إلى قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[البقرة:٢٨٢].

ومن ذلك أيضًا قوله ﷺ لابن عمر حينما طلق امرأته وهي حائض: «فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ»[1].

يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١]، على أنه ورد في رواية عن ابن عمر أن النبي ﷺ قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ﴾[2].

المبحث الثاني: بنية الخطاب بالقرآن

أولاً: أجناس الخطاب:

ورد الخطاب بالقرآن في إطار عدد من أجناس القول وأساليب التعبير، ومنها:

١- الخطبة:

ووردت في قصة القوم المضريين الذين جاؤوا النبي ﷺ فرأى الفاقة فيهم، فصلى الظهر، ثم صعد المنبر، فخطب، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ فيها الآيتين من سورة النساء والحشر، ثم حثّ على التصدق.

---

(١) أخرجه البخاري: (٤٩٠٨، ٥٢٥٢)، ومسلم: (١٤٧١).

(٢) قال النووي في شرح صحيح مسلم: ١٠/٦٩: ((هذه قراءة ابن عباس وابن عمر، وهي شاذة، لا تثبت قرآنًا بالإجماع، ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا وعند محققى الأصوليين، والله أعلم)).

ومن ذلك خطبة النبي ﷺ في النساء يوم العيد، فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة، وقرأ عليهن قبل ذلك آية بيعة النساء في سورة الممتحنة[١].

وقد كان النبي ﷺ يَذْكر في خطبه آيات من القرآن الكريم يُذَكّر بها الناس، كما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان، يجلس بينهما، يقرأ القرآن، ويذكر الناس[٢]. وفي صحيح مسلم أنه ﷺ كان يخطب بسورة "ق"[٣]، وقال ابن القيم (٧٥١ هـ): ((مما حُفِظ من خطبه ﷺ أنه كان يكثر أن يخطب بالقرآن وسورة "ق"))[٤].

٢- الحوار:

قد يأتي الخطاب بالقرآن في إطار حوار يجري بين النبي ﷺ وأحد الصحابة رضي الله عنهم، وربما كان النبي ﷺ هو الذي يبدأ الحوار، وقد يكون خطاب النبي استجابة لمن بدأ الحوار.

ومن ذلك مثلاً حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه حينما لم يستجب لنداء النبي ﷺ له وكان يصلي، فبدأ معه النبي ﷺ الحوار قائلاً: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟». فقال: كنت أصلي. فقال: «أَلَمْ يَقُلْ اللهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال:٢٤]؟!» الحديث[٥].

---

(١) أخرجه البخاري: (٩٧٩، ٤٨٩٥)، ومسلم: (٨٨٤).

(٢) أخرجه مسلم: (٨٦٢).

(٣) أخرجه مسلم: (٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣).

(٤) زاد المعاد، لابن القيم: ١/٤٢٤.

(٥) أخرجه البخاري: (٤٤٧٤، ٤٦٤٧، ٤٧٠٣).

والنبي ﷺ لم يفجأ الصحابي بالإنكار عليه، بل حاوره ليعرف حقيقة ما وقع فيه، فابتدأ أولاً بالسؤال عن الدافع إلى تخلفه عن الاستجابة للدعوة، فلما تيقن أنه وقع فيما ينكر، ارتقى إلى معاتبته والإنكار عليه بصيغة الاستفهام.

ومن الحوار ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟» قالوا: نعم. قال: «فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلامِ إِذَا فَقِهُوا»[1].

ولا أظن النبي ﷺ إلا أنه كان يدرك مقصد سؤالهم لكنه أراد أن يبين لهم ما هو أولى بالجواب على طريقة أسلوب الحكيم[2]، فهم يسألون عن أصول العرب التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها، فأجاب النبي ﷺ أولاً بهذا الجواب: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ» مقتبسًا من الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:٢٤]؛ وفيه تعريض بأن الشرف الذي يسعى إليه ويسأل عنه إنما يكون من جهة العمل الصالح[3].

(١) أخرجه البخاري: (٣٣٧٤، ٤٦٨٩)، ومسلم: (٢٣٧٨).

(٢) من أساليب البلاغة، وهو: تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد، أو تلقي السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المهم له. وينظر: شروح التلخيص: ٤٧٩/١، والتبيان في البيان، للطيبي: ٣٥٧/٢، ومعجم المصطلحات البلاغية، لأحمد مطلوب: ١٩٩/١.

(٣) ينظر: فتح الباري، لابن حجر: ٤١٤/٦.

٣- الوصية:

ربما ضمّن النبي ﷺ وصاياه شيئًا من القرآن الكريم، مما يناسب المقام، ومن ذلك مثلاً حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثم قرأ: «﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]»(١).

والنبي ﷺ بقراءته الآية يؤكد ما يوصيهم به، ويقرره في نفوسهم، فيكون ذلك أكثر ترغيبًا وحثًّا على الصلاة.

ومن ذلك قول الرسول ﷺ لشباب الصحابة: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَن اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».

وقوله ﷺ: «فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ» مقتبس من قول الله عز وجل: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠]، وقد رتب النبي ﷺ المعاني ترتيب الآية، فقدم غض البصر على إحصان الفرج؛ من باب تقديم السبب على المسبب كما ذكره بعض البلاغيين في أسباب التقديم(٢)، لكون الغض من أهم أسباب الإحصان ووسائله، قال أبو حيان (٧٤٥هـ) في تفسير الآية: ((قدم غض البصر على حفظ الفرج؛ لأن النظر

---

(١) أخرجه البخاري: (٥٢٩، ٥٤٧، ٤٥٧٠)، ومسلم: (٦٣٣).

(٢) ينظر: التبيان في البيان، للطيبي: ١/٢٠٥.

بريد الزنا ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر، لا يكاد يقدر على الاحتزاز منه، وهو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، ويكثر السقوط من جهته))[1].

وهذه الوصية تناسب حال الشباب كما قال ابن حجر (٨٥٢هـ): ((خص الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ))[2].

٤-الفتوى:

يأتي الصحابة إلى رسول الله ﷺ يستفتونه فيما يقع لهم من أحوال، وربما ضمّن النبي ﷺ خطابه قرآنًا، وقد يكون الجواب كله قرآنا، ومن ذلك قول النبي ﷺ لعمر لما جاءه في شأن ابنه عبدالله حينما طلق امرأته وهي حائض: «لِيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ يُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ فَتَطْهُرَ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ» وفي رواية قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ﴾[3].

ومن ذلك حديث الرجل الذي أصاب المرأة، فجاء ليقضي النبي ﷺ فيه ما شاء، فتلا عليه النبي ﷺ قول الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤].

ومنه حديث سؤال عائشة رضي الله عنها النبيَ ﷺ عمن يفعل الخير وهو كافر، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لاَ يَنْفَعُهُ؛ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ».

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيان: ٥٤٧/٦.

(٢) فتح الباري، لابن حجر: ١٠٨/٩، وينظر: شرح صحيح مسلم، للنووي: ١٧٣/٩.

(٣) قال النووي في شرح صحيح مسلم: ٦٩/١٠: ((هذه قراءة ابن عباس وابن عمر، وهي شاذة، لا تثبت قرآنًا بالإجماع، ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا وعند محققى الأصوليين، والله أعلم)).

٥- القصة :

وردت قصة واحدة تكاد تكون كلها اقتباسًا من القرآن الكريم، وهي قصة موسى والخضر عليهما السلام، كما رواها ابن عباس ﵄ قال: حدثنا أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ: «قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ. فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ؛ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ. فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا، فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنْ الْمِكْتَلِ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا. فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا؛ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنْ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ. قَالَ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا. فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ -أو قال: تَسَجَّى بِثَوْبِهِ- فَسَلَّمَ مُوسَى. فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلامُ. فَقَالَ: أَنَا مُوسَى. فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا. قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؛ يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لا أَعْلَمُهُ. قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا. فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ. فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ،

فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا. قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. قَالَ: لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ. فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا. فَانْطَلَقَا فَإِذَا غُلامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ. قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ». قال النبي ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»[١].

ثانيًا: الخصائص الأسلوبية:

١- حسن الابتداء[٢]:

مما عُني به البلاغيون ابتداء الخطاب، وعدوه من المواضع التي ينبغي على المتكلم أن يتأنق فيها غاية التأنق؛ لأنه أول ما يطرق السمع ويصل إلى القلب، فإن كان الابتداء حسنًا أقبل السامع على الكلام فوعاه، وإلا أعرض عنه وجفاه[٣].

وإذا كان الابتداء متضمنًا المقصود من الخطاب فإن هذا براعة استهلال، وهو مظهر من مظاهر تماسك الخطاب وانسجامه[٤].

---

(١) أخرجه البخاري: (١٢٢، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٧)، ومسلم: (٢٣٨٠).

(٢) بحثه البلاغيون بأسماء عديدة، منها: حسن الابتداءات، وحسن المطلع أو المطالع، وحسن الافتتاح، ومبادئ الكلام، والإبداع في الاستهلال، وبراعة المطلع، وبراعة الاستهلال. ينظر: العمدة، لابن رشيق: ٢١٧/١، والمثل السائر، لابن الأثير: ١١٩/٣، وشروح التلخيص: ٥٣١/٤، والتبيان، للطيبي: ٤٨٣/٢، ومعجم المصطلحات البلاغية، لأحمد مطلوب: ٣٠/١ و٢٦٣ و٣٨٨ و٤٠٠، و٤٤١/٢.

(٣) ينظر: العمدة، لابن رشيق: ٢١٨/١، والمثل السائر، لابن الأثير: ١٢٠/٣، وشروح التلخيص: ٥٣١/٤.

(٤) فرّع بعض البلاغيين (براعة الاستهلال) من (حسن الابتداء) إذا كان مضمنًا فيه المقصود من الخطاب. ينظر: شروح التلخيص: ٥٣٣/٤، والتبيان، للطيبي: ٤٨٣/٢، ومعجم المصطلحات البلاغية: ٣٨٩/١.

وجاءت الابتداءات النبوية في غاية من الحسن والبيان، ومن ذلك مثلاً رسالته ﷺ إلى هرقل، في مقام الدعوة إلى الإسلام، وكان مما ابتدأها تحية السلام: «سَلامٌ عَلَى مَن اتَّبَعَ الْهُدَى...» ، وهو موافق لقول الله ﷻ عن موسى ﵇: ﴿قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧].

أما في المقامات التربوية فيأتي الابتداء بالقرآن سابقًا خطاب الأمر أو النهي؛ لتهيئة النفوس لتقبله، والاستجابة له، كما في الخطبة التي حث فيها على التصدق للقوم الفقراء من مضر، وكذا في خطبته يوم العيد التي حث فيها النساء على الصدقة.

٢- حسن الختام:

عُني البلاغيون أيضًا بختام الخطاب، وعدوه كذلك من المواضع التي ينبغي على المتكلم أن يتأنق فيها غاية التأنق؛ ((لأنه آخر ما يقرع السمع، ويرتسم في النفس، وربما حفظ لقرب العهد به، فإن كان مختارًا حسنًا تلقاه السمع واستلذه، حتى جبر ما وقع فيما سبق من التقصير، كالطعام اللذيذ الذي يتناول بعد الأطعمة التفهة، وإن كان بخلاف ذلك كان على العكس، حتى ربما أنسى المحاسن الموردة فيما سبق))(١).

وأما البيان النبوي فإن الخواتيم تأتي فيه على أبلغ ما يقوله البشر، مما يقتضيه المقام ويناسب السياق، ومن ذلك أن يختم ﷺ بالقرآن، وهو كثير في الأحاديث، ويأتي خصوصًا في المقامات التي تتطلب تقريرًا للخبر وتأكيدًا له، كما في حديث علي ﷺ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مِخْصرَة، فنَكَّس، فجعل يَنكُت بمخصرته، ثم قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ

---

(١) أنوار الربيع، لابن معصوم: ٣٢٤/٦، وينظر: العمدة، لابن رشيق: ٢٣٩/١، وشروح التلخيص: ٥٤٣/٤، والتبيان، للطيبي: ٤٩٠/٢.

مَنْفُوسَةٍ إِلا وَقَدْ كَتَب اللهُ مَكَانَهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً». فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟... فقال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ: أَمَّا أَهْل السَّعادةِ فيُيَسَّرونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعادةِ، وأَمَّا أَهْل الشَّقاوةِ فيُيَسَّرونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقاوةِ» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠](١).

وكذا قوله ﷺ في حديث ابن مسعود ﵁: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» ثم قرأ مصداقه من كتاب الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية [آل عمران:٧٧](٢).

٣- التكرار:

التكرار في البيان النبوي ظاهرة ذكرها بعض الصحابة ﵃، كما روى أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثًا(٣)، وعن ابن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ كان إذا دعا دعا ثلاثًا(٤).

(١) أخرجه البخاري: (١٣٦٢، ٤٩٤٥)، ومسلم: (٢٦٤٧) وهذا لفظه.

(٢) أخرجه البخاري: (٢٣٥٧، ٢٤١٦، ٢٥١٥)، ومسلم: (١٣٨) وهذا لفظه.

(٣) أخرجه البخاري: (٩٤ و٩٥ و٦٢٤٤).

(٤) أخرجه مسلم: (١٧٩٤).

وكثيرًا ما يأتي التكرار لتأكيد المعنى وتقريره وزيادة التنبيه عليه ترغيبًا أو ترهيبًا أو لغير ذلك[1]، ومما جاء حديث أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثَة لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». قال أبو ذر: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار.

وقد كان لهذا التكرار مزيد تأكيد على عظم الجرم والترهيب منه، مما جعل أبو ذر ﷺ يقول: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»[2].

ومن التكرار: تكرار قراءة بعض السور في خطبة الجمعة أو في بعض الصلوات، كقراءة سورة "ق" في الخطبة، كما روت أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها قالت: لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحدًا سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس[3]. قال النووي (٦٧٦هـ): ((قال العلماء: سبب اختيار "ق" أنها مشتملة على البعث والموت والمواعظ الشديدة والزواجر الأكيدة))[4].

٤- الاستفهام:

الأصل في الاستفهام أن يكون لطلب العلم بشيء غير معلوم، إلا أنه كثيرًا ما يخرج عن هذا الأصل إلى معان أخرى، تفهم من خلال السياق وقرائن الأحوال، كالتقرير والتعجب والإنكار والاستبطاء وغيرها[5]،

---

(١) ينظر: شروح التلخيص: ٢١٨/٣.

(٢) أخرجه مسلم: (١٠٦).

(٣) أخرجه مسلم: (٨٧٣).

(٤) شرح صحيح مسلم، للنووي: ١٦١/٦.

(٥) ينظر: شروح التلخيص: ٢٤٦/٢، ٢٩٠.

وقد كثر الاستفهام في البيان النبوي، وأكثره جاء على غير الأصل، ويعلل ذلك أحد الباحثين في البلاغة النبوية في موطأ مالك بأن ((الاستفهام أكثر أساليب الكلام تعبيرًا عن المعاني، في المواقف والمواطن التي يراد بها التأثير في الناس، وتهييج مشاعرهم، وإلهاب أحاسيسهم، وصولاً إلى استمالتهم إلى صف الإيمان، وحملاً لهم على التزام أحكام الله، وردعًا لهم عن الوقوع في محارمه، ولذلك كان رسول الله ﷺ يستعمل الاستفهام ليمكن في نفوسهم المعاني التي يريدها))[١].

ومما وقع من الخطاب بالقرآن في صيغة استفهام قوله ﷺ لأبي سعيد بن المعلى ﷺ حينما لم يستجب لنداء النبي ﷺ له، وكان أبو سعيد يصلي: «أَلَمْ يَقُلْ اللهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟!».

وورد مثل هذا الموقف مع أُبيّ بن كعب ﷺ كما روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج على أُبيّ بن كعب وهو يصلي، فقال: «يَا أُبَيّ» فلم يجبه، فخفف أُبي صلاته، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وَعَلَيْكَ السَّلامُ، مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ؟» فقال: يا رسول الله، إني كنت في الصلاة. قال: «أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ أَنْ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾» قال: بلى، ولا أعود إن شاء الله... الحديث[٢].

---

(١) أساليب الطلب في الحديث النبوي: ٧٣.

(٢) أخرجه أحمد: ١٥/٢٠٠، والترمذي: برقم (٢٨٧٥) وقال: حسن صحيح، والحاكم: ١/٧٤٥، وصححه. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: برقم (٢٨٧٥).

وعدول النبي ﷺ في العتاب والإنكار إلى أسلوب الاستفهام -وهو كثير في عتابه ﷺ لأصحابه- لعله لما ذكره بعض العلماء أن النبي ﷺ يعاتب وينكر بأسلوب الاستفهام للتخفيف من حدة الإنكار على أصحابه ﷺ[١]، والله أعلم.

كما أن في العدول إلى أسلوب الاستفهام في مقام العتاب والإنكار استثارة للنفس وتنبيهًا لها لعلها أن تتأمل في سوء صنيعها وترجع، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) إلى أن المقصود في الاستفهام إنما هو محض التنبيه، فقال بعد أن تحدث عن بعض الشواهد في معنى الإنكار: ((اعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع، ويعيى بالجواب))[٢].

وفيه أيضًا تذكير للمخاطب بما هو معلوم لديه، ولذا جاءت صيغة الاستفهام بـ"أَلَم" وهي تأتي كثيرًا في الأمر المعلوم الذي لا يخفى على المخاطب، أو مما لا ينبغي أن يخفى عليه. وأُبَي ﷺ من كُتّاب الوحي وأقرأ أمة محمد لكتاب الله ﷻ، ولعل ذلك يفسر مجيء الاستفهام مع أبي بهذه الصيغة: «أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ...؟».

٥- الإيجاز:

من الأساليب التي جاء عليها الخطاب بالقرآن: الإيجاز، خاصة فيما كان إشارة إلى النص القرآني، ومن ذلك مثلاً قوله ﷺ لأزواجه منكرًا عليهن اعتراضهن على إمامة أبي بكر: «مَهْ. إِنَّكُنَّ لانْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ. مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ».

فقوله ﷺ: «لانْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ» قول موجز وتشبيه بليغ يشير إلى موقف امرأة العزيز مع النسوة فيما ذكره الله في قصة يوسف ؑ.

(١) فتح الباري، لابن حجر: ١٩٧/٢.

(٢) دلائل الإعجاز، للجرجاني: ١١٨.

ولعل حال المرض الذي يعانيه النبي ﷺ اقتضت هذا الإيجاز، مع علم المخاطب بالمشبه به وموضعه من القرآن ودلالات التشبيه به.

ومن الإيجاز قول رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ، فَيُتِمُّ الطُّهُورَ الَّذِى كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ، فَيُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهَا».

فقوله ﷺ: «الَّذِى كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ» إيجاز، يشير به إلى ما ذكره الله في سورة المائدة (آية: ٦)، ولعل علم المخاطب بما كتب الله عليه من الطهور في القرآن اقتضى هذا الإيجاز، مع كون الخطاب مبنيًا على الإيجاز والتركيز على الترغيب في إتمام الطهور المكتوب والصلوات المفروضة، والله أعلم.

٦- التعريض:

التعريض في الكلام خلاف التصريح، يقال: عرضت لفلان، أو بفلان؛ إذا قلت قولاً وأنت تعنيه، من غير أن توجه له المقصود من قولك صراحة. فالتعريض يكون في استعمال الكلام في حال تُفْهِم المقصود من غير أن يكون اللفظ مستعملاً في ذلك المقصود. أي: إن سياق الكلام وأحوال المتكلم والمخاطب تدل على مقصود المتكلم بكلامه من غير أن يكون اللفظ دالاً دلالة صريحة على المقصود؛ ولذا عرف التعريض بأنه: المعنى الحاصل عند اللفظ لا به. أو هو: المعنى المدلول عليه بالقرينة دون اللفظ[1].

وقد يكون للتعريض من الأثر في النفوس ما لا يبلغه التصريح؛ لأنه يعين صاحبه على إخفاء ما يريد من عتاب أو نقد أو سؤال أو شكاية أو غير ذلك، حتى لا يفهم مراده إلا من يقصده بالتعريض، ولذا فإن التعريض وسيلة مهمة يحسن بالمرء أن يستخدمها في دعوة الناس وإرشادهم، وأمرهم ونهيهم، وتربية الأبناء ونصحهم.

---

(١) ينظر: الطراز، للعلوي: ١٨٠، ومعجم المصطلحات البلاغية، لمطلوب: ٢/٢٧٦.

ومن التعريض النبوي بالخطاب القرآني حديث علي بن أبي طالب ﵁ أن رسول الله ﷺ طَرَقه وفاطمة بنت النبي ﵇ ليلةً، فقال: «أَلا تُصَلِّيَانِ؟» قال علي ﵁: فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إليَّ شيئًا، ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤][(١)]. وجاء في رواية أخرى عند أحمد والنسائي أن النبي ﷺ أيقظهما، ثم رجع إلى بيته فصلى، فلما لم يسمع لهما حسًّا رجع إليهما فأيقظهما، وقال: «قُومَا فَصَلِّيَا». قال عليّ: فجلست وأنا أعرك عيني وأقول: إنا والله ما نصلي إلا ما كُتب لنا، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. قال: فولّى رسول الله ﷺ وهو يقول ويضرب بيده على فخذه: «مَا نُصَلِّي إلا مَا كُتِبَ لَنَا، مَا نُصَلِّي إلا مَا كُتِبَ لَنَا، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾»[(٢)].

والاستفهام النبوي «أَلا تُصَلِّيَانِ؟» للتحضيض والحث إلى الصلاة، لكن عليًّا ﵁ لم يستجب إلى حث رسول الله ﷺ وواجه هذا الحث بالجدل، فما كان من النبي ﷺ إلا أن جعل يضرب فخذه كناية عن التأسف والتعجب من جواب علي ﵁، وعدم الموافقة له على هذا الاعتذار، وكرر النبي قول علي، ثم قرأ الآية، تعريضًا لعلي ﵁ بما ينبغي عليه من الاستجابة والمبادرة إلى ما يحثه عليه رسول الله ﷺ من الخير، وترك الجدل فيه، خاصة وأن الآية نزلت في الكفار الذين يجادلون في آيات الله، مما يوحي

(١) أخرجه البخاري: (١١٢٧ و٧٣٤٧) ، ومسلم: (٧٧٥).

(٢) أخرجه أحمد: ١١٣/٢ (٧٠٥) ، والنسائي: ٢٠٦/٣ (١٦١١)، وصححه الألباني .

للمخاطب بوجه من المشابهة معهم، وفي هذا ترهيب من الفعل وأعظم زاجر عن معاودته[1]، والله أعلم.

ومن التعريض قول النبي ﷺ: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ» جوابًا للصحابة الذين سألوه: من أكرم الناس؟ وسبق الإشارة إليه قريبًا في الحديث عن الحوار.

٧- التمهيد للخطاب القرآني أو التعقيب عليه:

قد يمهد النبي ﷺ للخطاب بالقرآن بما يناسب مقتضى الحال، كما في قصة عمر بن الخطاب ﷺ يوم الحديبية، حيث دعاه النبي ﷺ لما نزلت عليه سورة الفتح ليقرأها عليه، لكن النبي ﷺ مهّد قبل ذلك بقوله: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» ثم قرأ السورة، والقصة رواها زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر كان يسير مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ليلاً، فسأله عمر عن شيء ثلاث مرات، فلم يجبه رسول الله ﷺ، فقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كلّ ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيري، ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل فيّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخًا يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن، وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ» ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[2].

ولعل النبي ﷺ أدرك ما كان يخشاه عمر ﷺ من أن ينزل فيه قرآن لاعتراضه على رسول الله ﷺ، وعدم إجابة الرسول لسؤله، فمهد له بما يطمئن قلبه ويؤنسه.

---

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم، للنووي: ٦/٦٥، وعمدة القاري، للعيني: ١٤٦/٢٥.

(٢) أخرجه البخاري: (٤١٧٧).

وقد يعقب النبي ﷺ على الخطاب القرآني بما يؤكد الغرض من إيراده، كما في قصة زيد بن أرقم ﵁، قال: كنت في غزاة، فسمعت عبدالله بن أُبَيّ يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل. فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبدالله بن أُبَيّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه؛ فأصابني همّ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومَقَتك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، فبعث إليّ النبي ﷺ، فقرأ، فقال: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»[1].

ومن التعقيب ما ورد في قصة موسى والخضر عليهما السلام، ففي نهاية القصة قال النبي ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا».

إن القصة تحوي عدة مضامين تربوية، إلا أن معنى "الصبر" ظاهرٌ أنه من أهم مقاصد القصة، ولذا جاء التعقيب مركزًا عليه: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ».

---

(١) أخرجه البخاري: (٤٩٠٠-٤٩٠٤).

المبحث الثالث: أغراض الخطاب بالقرآن

وهذا هو غاية البيان النبوي من تخير آيات القرآن الكريم والخطاب بها، فالنبي ﷺ لم يكن يتخيرها ويضمنها خطابه لمجرد توشيحه بالقرآن وتحسينه بالاقتباس منه، وإنما لما لها من التأثير العميق في نفوس الصحابة ﵃، وما تحققه من أغراض ووظائف تربوية لتعميق الإيمان وتهذيب السلوك وتوجيه المخاطبين نحو الطريق المستقيم، والله ﷻ قد قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]، وقال: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة:١٦].

وتتنوع الأغراض حسب المقامات التي وردت فيها، وربما كان المقام الواحد يحتمل أكثر من غرض، لكني أشير إلى الأبرز منها، ومن هذه الأغراض:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ الآية [النساء:١]، وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨]

١- الترغيب.

ومما جاء في هذا الغرض الخطبة التي خطبها النبي ﷺ حينما رأى الفاقة في قوم من مضر، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، والآية التي في الحشر: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ

﴿نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر:١٨]»، ثم حثّ على التصدق، فقال: «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ» حتَّى قَال: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

إن المقام الذي خطب فيه النبي ﷺ مقام ترغيب للصحابة ﷺ على التصدق على هؤلاء الفقراء الحفاة العراة الذين ظهر من حالهم ما جعل وجه رسول الله ﷺ يتمعَّر، فرقّ لهم، وعجّل بالصلاة؛ ليجتمع الناس فيحثهم على الصدقة، ويبادر إلى سدّ حاجتهم، وقدّم بين يدي الحث على التصدق آيتين ترغبان الصحابة ﷺ،وتحفزهم إلى ما يريده النبي ﷺ منهم، ومناسبتهما للمقام ظاهرة؛ أما الآية الأولى من سورة النساء ففيها تذكير بحق الأخوة والتعاون على البر والتقوى، قال النووي (٦٧٦هـ): ((سبب قراءة هذه الآية أنها أبلغ في الحث على الصدقة عليهم، ولما فيها من تأكد الحق لكونهم إخوة))[(١)]،وهذا مما يناسبه النداء بوصف الناس:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

وأما آية الحشر ففيها التذكير بالآخرة ترغيبًا إلى العمل الصالح والمبادرة إليه: ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾، وهذا مما يناسبه النداء بوصف المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

وفي كلا الآيتين تكرر الأمر بالتقوى أربع مرات؛ تقوية لجانب الخوف من الله ﷻ ومراقبته، وهذا مما يدفع إلى المبادرة إلى العمل الصالح ومنه التصدق في هذا المقام.

ولقد كان لهذا الابتداء بالخطاب القرآني أثره في صحابة رسول الله ﷺ ما جعلهم يبادرون إلى التصدق مع ما بكثير منهم من الحاجة، قال جرير ﷺ: فجاء رجل من

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي: ١٠٢/٧.

الأنصار بصُرّة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل، كأنه مذهبة[1]، وحق لرسول الله ﷺ وهو الرحيم بأمته أن يتهلل ويُسرّ ((فرحًا بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى، وبذل أموالهم لله، وامتثال أمر رسول الله ﷺ، ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين، وشفقة المسلمين بعضهم على بعض، وتعاونهم على البر والتقوى)) [2].

ومن الترغيب حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج في عيد فطر فصلى، ثم خطب، ثم أتى النساء ومعه بلال رضي الله عنه فوعظهن وذكّرهن، وأمرهن بالصدقة، وكان قبل أن يأمرهن تلا عليهن قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢]، فلما فرغ من قراءتها قال لهن: «أَنْتُنَّ عَلَى ذَلِكَ؟» قالت امرأة: نعم، يا رسول الله. قال: «فَتَصَدَّقْنَ».

إن النبي ﷺ أراد أن يحث النساء على الصدقة، لكنه مهد للاستجابة له بالتذكير بآية مبايعة النساء، وخاصة قول الله فيها: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾، فكان الأمر بالتصدق مبنيًا على تقرير ما في الآية من طاعته ﷺ، قال ابن حجر (٨٥٢هـ) في التناسب بين الأمر بالتصدق والآية: ((ومناسبته للآية من قوله: ﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فإن ذلك من جملة المعروف الذي أُمرن به))[3].

---

(١) أخرجه مسلم: (١٠١٧).

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي: ١٠٢/٧.

(٣) فتح الباري، لابن حجر: ٤٦٨/٢.

وظاهرٌ مناسبة تخير هذه الآية لحال المخاطب، وإلا فثمة آيات أخر فيها الأمر بطاعة الرسول ﷺ والنهي عن معصيته، لكن لما كانت هذه الآية تخاطب النساء خاصة والنبي ﷺ في مقام مخاطبتهن اقتضى هذا المقام الخطاب بها.

وكان لهذا الخطاب أثره في نساء الصحابة رضي الله عنهن؛ فبادرن إلى الاستجابة لحث رسول الله ﷺ وتصدقن بما معهن من حُلي، قال ابن عباس: فبسط بلال ثوبه، فجعلن يلقين الفَتَخ والخواتم فيه.

والنبي ﷺ يكثر من حثّ النساء على الصدقة، مع أنهن لا يملكن كما يملك الرجال، ولعل ذلك لكثرة ما يقع منهن من الخطايا كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»[1]، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ...»[2]، والصدقة من أعظم ما يكفر الله عز وجل به الذنوب كما في قول الله عز وجل: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]، وفي الحديث: «الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»[3]. وربما كثر حثهن عليه مع ما سبق ((لغلبة البخل عليهن، وقلة معرفتهن بثواب الصدقة وما يترتب عليها من الحسن والفضل في الدنيا قبل يوم الآخرة))[4]، وقد يكون لانشغال المرأة ببيتها وزوجها

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٠٤ و١٤٦٢) ، ومسلم: (٨٠).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر: ١/١٩٣ و٢/٤٦٨، وعمدة القاري، للعيني: ٢/١٢٢-١٢٣.

(٣) أخرجه أحمد: ٣/٣٢١ و٣٩٩، و٥/٢٣١، والترمذي: (٦١٤، ٢٦١٦)، وابن ماجه: (٣٩٧٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ١/١٨٩ (٥٠١).

(٤) عمدة القاري، للعيني: ٣/٢٧٢.

وأولادها، بحيث لا تفرغ للأعمال الصالحة من صلاة وصيام وغيرهما مما يتطلب وقتًا أو جهدًا بدنيًا، فتكون الصدقة مع عظم أجرها أسهل على المرأة من تلك الأعمال، ولعل الأسباب كلها متحققة في النساء عمومًا، فتكون جميعها مقصودة في الخطاب، والله أعلم[1].

٢- الترهيب:

ومما ورد على هذا الغرض حديث ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا** ﴾ إلى آخر الآية [آل عمران:٧٧].

إن الحلف على مال امرئ مسلم بغير حق فيه كذب وظلم وهضم لحقوق المسلمين وإثارة للعداوة بينهم ونشر للفساد في مجتمعهم، ولذا لم يكتف النبي ﷺ بمجرد النهي عن هذا الفعل، بل كان المقام يقتضي التخويف منه والترهيب: «لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»، ثم ترقّى النبي ﷺ في الترهيب بقراءة الآية، التي تتضمن شيئًا من لوازم غضب الله ﷻ على من فعل ذلك المنكر، مما يزيد الأمر ترهيبًا وتخويفًا.

وقد جاءت هذه الآية مقتبسة في خطاب نبوي آخر في مقام الترهيب، كما في حديث أبي هريرة ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، وفي حديث عن أبي ذر أن النبي ﷺ كرر هذا القول ثلاث مرار. وقد كان هذا الترهيب عظيمًا مما جعل أبو ذر ﷺ يقول: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟

---

(١) ينظر: رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين: ٩٥-٩٨.

إن الأفعال التي توعد النبي ﷺ عليها بهذا الوعيد الشديد أفعال شنيعة، لا يقتصر أثرها على من عملها، بل يتعدى إلى غيره وإلى المجتمع المسلم، فيشيع الكبر والأثرة والفساد والشقاق.

والاقتباس في الحديثين ليس مقتصرًا على تلك الآية بل هي وآية أخرى، هي قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

والاقتباس لا يصلنا فقط بهاتين الآيتين وما فيهما من الترهيب الصادر من العظيم ﷻ، بل يصلنا بسياقهما الذي يكشف عن مدى توافق الخطاب النبوي مع الخطاب القرآني، وإيراد السياقين يكشف عن ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٤-١٧٧]. ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٧٥-٧٧].

إن المعاني التي تضمنها البيان النبوي نجدها حاضرة في هاتين الآيتين:

فالذي يمنع فضل ماله ومائه عن ابن السبيل والمستحقين له، أو يمنّ في عطائه، يناسبه قوله ﷻ: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾.

والذي يُنَفِّق سلعته بالحلف الكاذب يناسبه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾.

والذي لا يفي لإمامه إلا على حظ الدنيا يناسبه ﷻ: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾ ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

وهكذا يضع الاقتباسُ المخاطَب أمام هذه الآيات فتزيده ترهيبًا وتخويفًا.

٣- العتاب والإنكار:

ومما جاء في هذا الغرض حديث أبي سعيد بن المعلى ﷺ حينما كان يصلي فلم يستجب لنداء النبي ﷺ له، فقال له رسول الله ﷺ: «أَلَمْ يَقُلْ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾؟!»، وكذلك قوله ﷺ لأبيّ بن كعب ﷺ في مثل هذا الموقف: «أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ أَنْ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾» قال: بلى، ولا أعود إن شاء الله.

ولقد كان لهذا العتاب القرآني أثره في نفوس أصحابه ﷺ وترتبيتهم على الاستجابة لأمر الله ورسوله، وما كان من أُبي ﷺ إلا أن قال: لا أعود إن شاء الله.

ومما جاء في مقام الإنكار حديث مَعقِل بن يَسار ﷺ حيث كانت أخته تحت رجل، فطلقها ثم خَلَّى عنها، حتى انقضت عدتها، ثم خطبها، فحَمِي معقل من ذلك أَنَفًا، فقال: خَلَّى عنها وهو يقدر عليها، ثم يخطبها، فحال بينه وبينها، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ إلى آخر الآية [البقرة:٢٣٢]، فدعاه رسول الله ﷺ فقرأ عليه.

وكان كافيًا لمعقل ﷺ أن يخاطبه رسول الله ﷺ بالقرآن فحسب ليرجع إلى أمر الله ﷻ ويدع أخته لزوجها، وقد قالت الرواية عنه: فترك الحمية، واستقاد لأمر الله.

ومن ذلك قوله ﷺ لأزواجه لما راجعنه في إمامة أبي بكر للناس أثناء مرضه الذي توفي فيه: «مَهْ. إِنَّكُنَّ لأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ. مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ».

وهذا مقام إنكار وزجر، ولذا استعمل النبي ﷺ اسم الفعل "مه" الذي يأتي في مثل هذا المقام، بمعنى: اكفف أو اسكت ونحوهما[١]، كما استعمل النبي ﷺ أسلوب التشبيه البليغ، الذي يحذف منه الأداة ووجه الشبه، وهو من آكد أنواع التشبيه، وأكثرها مبالغة في الوصف، إذ هو قائم على تناسي التشبيه، وعلى ادعاء اتحاد المشبه بالمشبه به، وكأن المشبه هو عين المشبه به في جميع صفاته لا في الوصف الذي صيغ التشبيه له. والتشبيه هنا يتلاءم مع جنس المخاطب، فالمشبه به نسوة، والمخاطب كذلك، قال ابن حجر (٨٥٢هـ): ((والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن، ثم إن هذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحد، وهي عائشة فقط[٢]، كما أن (صواحب) صيغة جمع والمراد زليخا فقط، ووجه المشابهة بينهما في ذلك أن زليخا استدعت النسوة، وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة، ومرادها زيادة على ذلك، وهو أن ينظرن إلى حسن يوسف ويعذرنها في محبته، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه، ومرادها زيادة على ذلك، وهو أن لا يتشاءم الناس به))[٣]، والله أعلم.

٤- التأكيد والتقرير:

ومما جاء على هذا الغرض حديث علي رضي الله عنه حينما سئل الرسول ﷺ: أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ: أَمَّا أَهْلُ السَّعادةِ فيُيَسَّرونَ لِعَمَلِ

---

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ٥٤٢/١٣.

(٢) وفي قول النبي ﷺ لحفصة يراد به حفصة أو هي وعائشة.

(٣) فتح الباري، لابن حجر: ١٥٣/٢.

أَهْلِ السَّعادةِ، وأَمَّا أَهْل الشَّقاوةِ فيُيَسَّرونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقاوةِ» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠].

ومن ذلك حديث جرير بن عبد الله ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثم قرأ: «﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]».

ففي هذين الحديثين يحتج النبي ﷺ بالقرآن ويستشهد به تأكيدًا لما قاله، وذلك أقوى في تقرير المعنى في نفس المخاطب؛ من أجل اليقين بالخبر، والاستجابه للأمر والنهي، والله أعلم.

٥- تأنيس المخاطب وتطييب قلبه.

وفي ذلك حديث زيد بن أرقم ﷺ حينما أصابه همّ، أجلسه بيته بسبب تكذيبه على خبره عن المنافقين، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾، فبعث إليه النبي ﷺ، فقرأ عليه الآيات، ثم قال: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ».

ويظهر أن قراءة النبي ﷺ القرآن على زيد خاصة لتأنيسه وتطييب قلبه بعد أن أصابه الهم الذي ألزمه بيته بسبب تكذيبه، وأي أُنْس سيكون له بعد أن صدقه الله ﷻ !

ومثله قصة عمر بن الخطاب ﷺ يوم الحديبية كما رواها سَهْل بن حُنَيْف ﷺ أن عمر جاء إلى النبي ﷺ بعد الصلح، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: «بَلَى». فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بَلَى». قال: فعلام نعطي الدَّنية في ديننا؟! أنرجع ولـمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟! فقال: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا». فانطلق عمر إلى أبي بكر، فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدًا. فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أَوَفَتح هو؟! قال: «نَعَمْ»[1].

فدعوة النبي ﷺ لعمر، وقراءة السورة عليه خاصة كان لتطييب قلبه وزيادة يقينه بكلام الله ﷻ، بعد أن وقع في نفسه شيء من الصلح.

وكان لذلك تأثير في نفس عمر ﷺ، كما قال سهل ﷺ في رواية عنه: فطابت نفسه ورجع.

---

(١) أخرجه البخاري: (٣١٨٢)، ومسلم: (١٧٨٥).

الخاتمة

تناول البحث نوعًا من أنواع البيان النبوي في خطاب الصحابة ﷺ، وهو الخطاب بالقرآن الكريم، وجاء في مقدمة وثلاثة مباحث، تناول في المبحث الأول: أنواع الخطاب النبوي بالقرآن، وفي المبحث الثاني: بنية الخطاب النبوي بالقرآن، وفي المبحث الثالث: أغراض الخطاب النبوي بالقرآن.

وكان من نتائج هذا البحث ما يأتي:

١- يعد خطاب النبي ﷺ بالقرآن الكريم ظاهر في البيان النبوي سواء مع أصحابه أم مع غيرهم.

٢- تنوع الخطاب النبوي بالقرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع: الأول: الخطاب بنص القرآن سواء كان الخطاب كله قائمًا على النص القرآني، أم كان النص جزءًا من الخطاب. والثاني: الاقتباس من القرآن. الثالث: الإشارة إلى القرآن.

٣- تنوعت أجناس القول التي جاء الخطاب بالقرآن في إطارها، ومن هذه الأجناس: الخطبة، والوصية، والحوار، والفتوى، والقصة.

٤- ظهر في البنية التركيبية للخطاب عدة صور وأساليب بلاغية، منها: حسن الابتداء، وحسن الختام، والتكرار، والاستفهام، والإيجاز، والتعريض. وربما مهّد النبي ﷺ للخطاب، وربما عقّب عليه، بحسب ما يقتضيه المقام.

٥- يحقق الخطاب بالقرآن الكريم أغراضًا ووظائف تربوية في تعميق الإيمان وتهذيب السلوك وتوجيه المخاطبين نحو الطريق المستقيم، وتتنوع تلك الأغراض حسب المقامات التي وردت فيها، ومن الأغراض: الترغيب، والترهيب، والعتاب والإنكار، وتأنيس المخاطب والتلطف معه، والتأكيد والتقرير.

وأرى أن هذا الموضوع لا يزال مفتوحًا لتناوله وتعميق البحث فيه والكشف عن المزيد من أغراضه وأساليبه.

أسأل الله ﷻ أن ينفع به كاتبه وقارئه، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- آثار ابن باديس، جمع الدكتور عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢- أساس الاقتباس، لاختيار الدين الحسيني، مطبعة مهران، استانبول، ١٢٩٨هـ.

٣- أساليب الطلب في الحديث النبوي: دراسة لغوية بيانية في الموطأ، محمد سعيد عبدالله، دار الثقافة، ٢٠٠٠م.

٤- الاقتباس من القرآن الكريم، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: د.إبتسام الصفار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٥هـ.

٥- الاقتباس: أنواعه وأحكامه، للدكتور عبد المحسن العسكر، دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٦- أنوار الربيع في أنواع البديع، لابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان بالنجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.

٧- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي- دار الفكر- بيروت- الطبعة الثانية/١٤٠٣هـ.

٨- بيان إعجاز القرآن، للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد سلام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

٩- البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ.

١٠- التبيان في البيان، لشرف الدين الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

١١- التجربة الدعوية للشيخ عبدالحميد بن باديس، مركز البحوث والدراسات في مجلة البيان، الرياض، ١٤٣٥هـ.

١٢- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، لشهاب الدين الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

١٣- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

١٤- رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين، ليوسف العليوي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

١٥- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٦- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

١٧- سنن النسائي، بشرح السيوطي، وحاشية السندي، عناية: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ.

١٨- شرح صحيح مسلم، للنووي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٩- شروح التلخيص، يحوي: الإيضاح للقزويني، وعروس الأفراح للسبكي، ومختصر التفتازاني، ومواهب الفتاح للمغربي، وحاشية الدسوقي على مختصر التفتازاني، دار السرور، بيروت.

٢٠- صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٢١- صحيح سنن الترمذي، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٢- صحيح سنن النسائي، للألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٣- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، تركيا، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.

٢٤- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي، مراجعة وضبط: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

٢٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ.

٢٨- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: ابن باز، وترقيم عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت.

٢٩- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.

٣٠- المثل السائر، لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣١- المجموع شرح المهذب، للنووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي.

٣٢- المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبد الله الحاكم، دار المعرفة، بيروت.

٣٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، إشراف: د.عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٤٢١هـ.

٣٤- معجم المصطلحات البلاغية، للدكتور أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ.

٣٥- المغني، لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

٣٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين ابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي والزواوي، أنصار السنة المحمدية، باكستان.

فهرس المحتويات

العنوان	اسم الباحث	الصفحة
تقديم	أ.د.محمد السريع	٥-٦
مقدمات تعريفية بالملتقى	إدارة الملتقى	٧-٨
أبحاث المحور الأول		٩
التربية القرآنية منهج تأصيلي (المفهوم والأسس والضوابط نموذجا)	د. أحمد صالح بني سلامة	١١-٥٦
التربية بالقرآن الكريم (المفهوم، والأسس، والضوابط)	د.علي بن عبده أبوحميدي	٥٧-١٠٨
التربية بالقرآن (المفهوم، والأسس، والضوابط)	د. محمد مصطفى أحمد شعيب	١٠٩-١٧٢
التربية القرآنية بين النظرية والتطبيق	د.عبدالله موسي أبو المجد	١٧٣- ٢١٩
منهج القرآن الكريم في التربية	د. عوض بن حمدالحسني	٢٢١-٢٩٠
أبحاث المحور الثاني		٢٩١
التربية باتباع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتطبيقاتها في القرآن الكريم	د. وفاء عبد الله الزعاقي	٢٩٣-٣٤١
البيان النبوي في خطاب الصحابة بالقرآن الكريم	د. يوسف العليوي	٣٤٢-٣٨٥